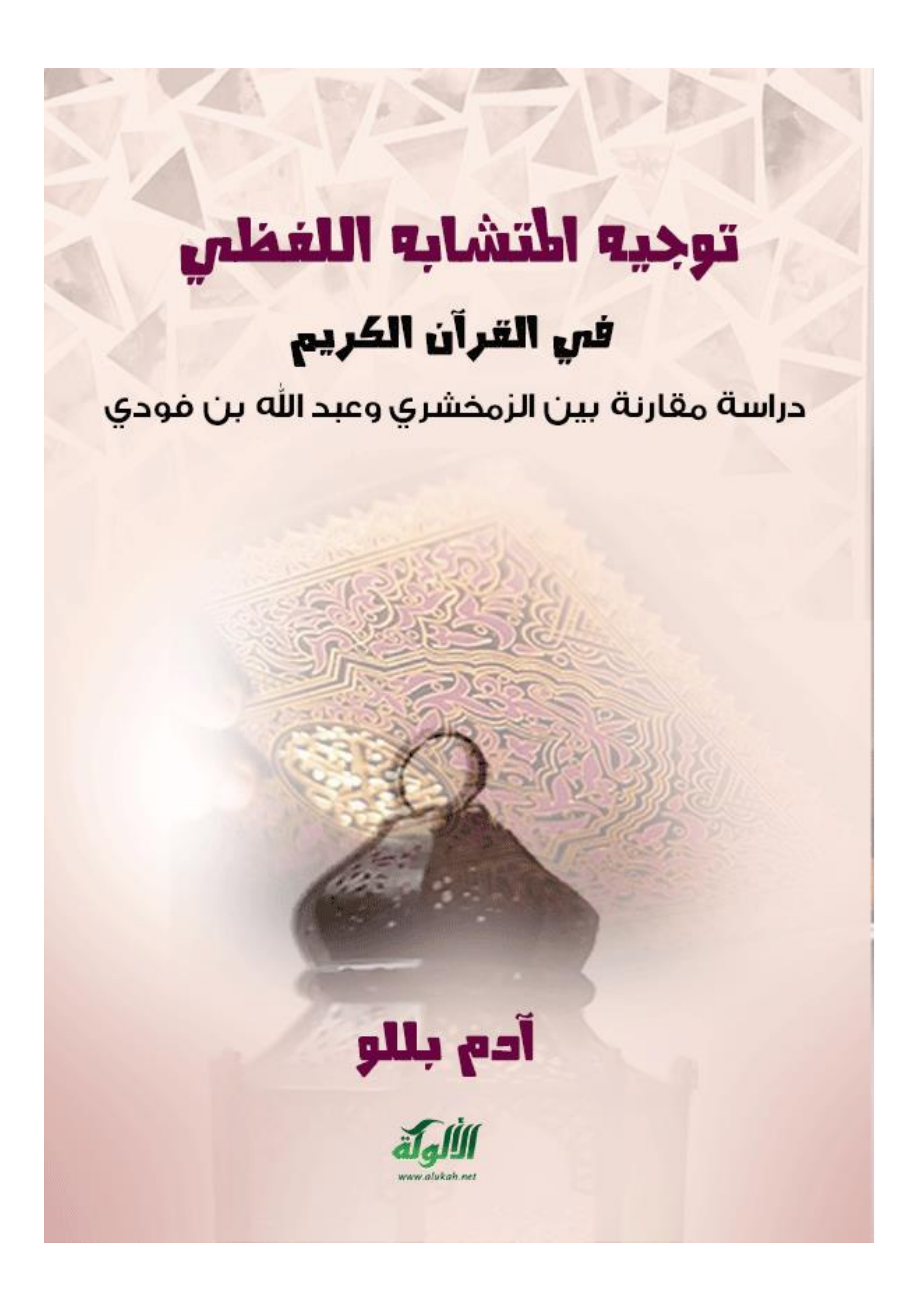

توجيه المتشابه اللفظي
في القرآن الكريم
دراسة مقارنة بين الزمخشري وعبد الله بن فودي
آدم بللو
الألوكة
www.alukah.net

الفصـــــل الأول: خطّة البحث

أوّلا:المقدمة

ثانيا:دوافع البحث.

ثالثا:أهداف البحث.

رابعا:أهمية البحث.

خامسا:الدراسات السابقة في الموضوع.

سادسا:منهج البحث.

سابعا:حدود البحث.

ثامنا:محتوى البحث.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب المبين، وتكفّل بحفظه إلى يوم الدين، واختار له الصفوة المختارة منذ نزوله للبيان والتبيين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وقائد المفسرين، محمد بن عبد الله، وعلى آله الذين شهدوا نزول الآيات والحكم المبين، وصحابته الذين قاموا بحفظ هذا الكتاب المبين، والتابعين لهم إلى يوم الجزاء والدين، أمّا بعد:

فإنّ صناعة التفسير اهتمّ بها طائفة من العلماء الأجلاّء، دراسة وتلاوة وتفسيراً، فتعدّدت اتّجاهات المفسرين، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام ويكاد يسرد فيه الفقه من باب الطّهارة إلى أمّهات الأولاد، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، والآخر متّجه إلى جمع المرفوع والمأثور، والأخباريّ ليس له شغل إلاّ القصص واستيفائها، وقد حفّلت المكتبة الإسلامية بكنوز من المصنّفات في تفسير القرآن، وبأعلام من المفسرين الذين ضحّوا بحياتهم في بيان معاني القرآن الكريم وكشف الخفاء عن وجوه إعجازه وأسراره .

ولئن كان حظّ بعض التفاسير وافراً من الشهرة والانتشار فكثر ناسخوه سابقاً، وطابعوه لاحقاً ، فلقد نزل الغبار والغمار على بعض التفاسير القيّمة، والذخيرة النّافعة ، فلم تُعْطَ حقّها من الدراسة والتحقيق، والعناية بمناهج مؤلّفيها في أسلوب التفسير، فحصرت الاستفادة من تلك الكتب في قليل من الباحثين ، ولعّل لتفاسير أعلام إفريقيّة الغربيّة أو السّوداني الغربي ؛ الحظّ الأوفر من عدم الانتشار ، وما ذلك إلاّ لتقاعسهم عن عرض تراثهم.

ثانيا:دوافع البحث وأهدافه:

تتجسد أهم الأسباب المؤدية إلى اختيار هذا الموضوع فيما يلي:

١- إبراز خفايا الأسرار المنطوية تحت الآيات المتشابهة المختلفة في القرآن الكريم التي تدل على بلوغه القمة في الإعجاز والبيان.

٢- إرادة تسهيل الوصول والفهم إلى أماكن التشابه والاختلاف بمختلف أنواعها، التي هي محطّ نظر حفّاظ كتاب الله والباحثين، وخاصة في معرفة تفسير القرآن بالقرآن.

٣- بيان علاقة معرفة المتشابه اللفظي بكثير من مباحث علوم القرآن الكريم وأنواعه، كمعرفة مشكل القرآن ومختلفه، ومعرفة الوجوه والنظائر، ومعرفة علم الفواصل القرآنية، وفنّ التكرار في القرآن، وعلم المناسبات بين آياته وسوره، وغير ذلك من فنون وأنواع علوم القرآن.

٤- إظهار منزلة تفسير ضياء التأويل لابن فودي، واهتمامه ببيان أسرار القرآن وخفايا إعجازه البيانية.

٥- مقارنة جهود المفسرين القدامى في توجيه الآيات المتشابهة في اللفظ، متمثلة في جهود الزمخشري في بيان ذلك في كشافه، وجهود المحدثين كذلك في توجيهها، متمثلة في جهود عبد الله ابن فودي في تفسيره المسمى: ضياء التأويل في معاني التنزيل.

٦- رغبة المساهمة في خدمة هذا الكتاب العزيز وهذا العلم(علم الآيات المتشابهة في القرآن) الذي قلّ المشتغلون به والمهتمّون بالكتابة فيه، وهم قلة قليلة من العلماء القدامى، وبعض المفسرين في تفاسيرهم، والذين سيأتي ذكرهم فيما بعد.

٧- إخراج الجهود الفكرية المختفية في كتب التفاسير، التي اهتمّت بهذا الجانب الذي يتعلق بجانب مهمّ من جوانب علم الإعجاز القرآني، والبلاغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

٨- إيراد بعض الأمثلة الشاهدة على قدم هذا العلم وتطبيق بعض الصحابة له في توجيههم لبعض الآيات المتشهابة مما يبيّن نشأة هذا العلم ثمّ تطوره إلى المرحلة التي سيتحدث عنها الباحث في هذا الموضوع.

٩- إلى آخر ما هنالك من الدوافع والأهداف التي قد لا تبدو جليا إلا بعد قراءة هذا البحث لمن قرأه أو نظر فيه.

ثالثا: أهمية البحث:

ولا شكّ أن هذه الدراسة تنبع أهميتها من طبيعة موضوعها الذي يتعلق بجانب مهم من جوانب الإعجاز القرآني، ومحاولة الكشف عن هذا الجانب، من خلال إجراء هذه الدراسة في تراث القدامى والمحدثين من المفسرين، وكونه كذلك في الآيات القرآنية المتشابهة التي عرّقت جبين حفاظ كتاب الله في تمييز أوجه التشابه والاختلاف بين آيتين متشابهين أو آيات متشابهة في سور مختلفة، وحيّرت عقول الباحثين في سرّ إيرادها متباينة عن مثيلتها أو مثيلاتها، مما يدعو القارئ لهذه الآيات إلى الوقوف وقفة متدبر لأسرار كتاب الله، الذي أنزل للتدبر والتفكر في بيان معانيه، وتراوده بعض الأسئلة من مثل:-

١-لماذا يقدم الله تعالى كلمةً في آية قرآنية ويؤخّرها في آية أخرى تشبهها؟.

٢-لماذا يذكر الله تعالى كلمةً أو تركيب في آية قرآنية ويحذفها في آية أخرى تشبهها؟.

٣-لماذا يذكر الله تعالى في القرآن كلمةً بلفظ المعرفة، ويذكرها مرّة أخرى بلفظ النكرة؟.

٤-لماذا يذكر الله تعالى في القرآن كلمةً بلفظ التذكير، وفي آية أخرى بلفظ التأنيث؟.

٥-لماذا يذكر الله تعالى في القرآن الكريم كلمةً بلفظ الجمع، وفي أخرى يذكرها بلفظ الإفراد؟.

فمثل هذه الأسئلة يجد القارئ إجاباتها في ثنايا الكتب التي اهتمّت بتوجيه الآيات التي تتشابه لقرّاء القرآن ويريدون معرفة أسرار تشابهها واختلافها، وهي كتب متنوعة في منهجها وأساليبها وسنرشد إليها في حديثنا عن هذا العلم الكبير الجليل.

٦-ومن أهمية هذا البحث أيضا: انصباب هم الباحث في موضوع دراسته على اختيار رائد علم الإعجاز البياني في تفسير القرآن، الذي هو جار الله الزمخشري وكتابه الذي لم يؤلف مثله في بيان أسرار البيان القرآني، ومقارنته بتفسير علامة السودان والمفسر الإفريقي عبد الله ابن فودي، الصكتي النيجيري، في كتابه الذي لم يوفر له حقه من البحث والنظر، وإبراز ما احتواه من جهود جبارة، بذلها مؤلفه في جمعه من كتب العلماء وتفاسيرهم.

٧- أن علم الآيات المتشابهات يملأ النفس إيمانا بعظمة الله وقدرته حين يقف الإنسان في تفسير هذا النوع من الآيات على دقائق الأسلوب البياني للقرآن الكريم، فدراسته تعين على الفقه في كتاب الله، وإظهار إعجازه وغزارة معانيه وأسراره، والبحث عن دقائقه، وذلك من أعظم القُرَب؛ لأنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب من الله تعالى.

٨-أن المتشابه اللفظي معين على المحافظة على علوم القرآن الكريم، وذلك لأنّ البحث في أوجه التشابه ومحاولة توجيهها يحتاج إلى النظر في اللغة والنحو والبلاغة وأصول الفقه وغيرها من علوم القرآن، فكان المتشابه اللفظي بذلك سببا في تحصيل علوم كثيرة.

إلى غير ذلك مما يظهر فيما بعد، من أهمية هذا البحث، وحاجتنا إلى الكتابة فيه وتقييده.

رابعا: الدراسات السابقة في الموضوع:

لقد اهتم العلماء القدامى والمعاصرين بالكتابة والتأليف في هذا العلم العظيم، وإن لم يكثر عددهم فيه، مقارنة بغيره من العلوم الإسلامية التي تعد مؤلفاتها بالمئات أو بالألوف، و لكنّ المؤلفين في هذا العلم يمكن عدّهم بالأصابع والعشرات، فمن أوائل المصنفين في هذا الموضوع:

١- علي ابن حمزة الكسائي (ت:١٨٩هـ) في: متشابه القرآن، لكنّه لا يوجه الآيات، وإنما يذكر الآية ومثيلتها من الآية أو الآيات الأخرى.

٢- الإمام ابن المنادي (ت:٣٣٦هـ)[١] في كتابه:"متشابه القرآن العظيم".

٣-الخطيب الإسكافي[١](ت:٤٢١هـ) في: درة التنزيل وغرة التأويل، وقد قام بتوجيه الآيات المتشابهة من سور القرآن الكريم.

---

[١] هو: أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن يزيد أبو الحسين بن المنادي، سمع جده محمدا وأباه جعفرا، كان ثقة أمينا ثبتا صدوقا ورعا حجة فيما يرويه، صنف كتبا كثيرة، وجمع علوما جمة،توفي سنة ٣٣٦هـ.

٤-محمود ابن حمزة الكرماني[٢] (ت:٥٠٥هـ) في:البرهان في توجيه متشابه القرآن أو أسرار التكرار في القرآن.

٥-علي ابن محمد السخاوي (ت:٦٤٣هـ) نظمه في:هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في متشابه الكتاب.

٦-أحمد ابن الزبير الغرناطي[٣] (ت:٧٠٨هـ) في:ملاك التأويل بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه الكتاب العزيز.

٧-بدر الدين ابن جماعة[٤] (ت:٧٧٣هـ) في:كشف المعاني في المتشابه من المثاني.

٨-جلال الدين عبد الرحمن ابن الكمال السيوطي (ت:٩١١هـ) في:قطف الأزهار في كشف الأسرار.

فهذه الكتب الثمانية هي التي ذكرها الذين تحدثوا عن كتب المتشابه اللفظي من أمثال الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، وحاجي خليفة في كشف الظنون.[٥]

---

[١] وهو: محمد بن عبد الله أبو عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي، صاحب التصانيف ومنها: غلط كتاب العين، والغرة، ومبادئ اللغة، وشواهد كتاب سيبويه، ونقد الشعر، توفي سنة ٤٢٠هـ.

[٢] هو: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي، أحد العلماء النبلاء، صاحب التصانيف ومنها: لباب التفسير، والإيجاز في النحو، والإفادة في النحو، كان في حدود الخمسمائة ومات بعدها.

[٣] هو: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم الثقفي الغرناطي النحوي، شيخ القراء والمحدثين بالأندلس، ولد سنة ٦٢٧هـ، وله باع في القراءات وعللها وطرقها، وأحكام العربية، وله تاريخ الأندلس، وقد أخذ عنه الإمام أبو حيان، مات سنة ٧٠٨هـ .

[٤] وهو شيخ الإسلام محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي، ولد سنة ٦٣٠هـ وروى الكثير.

[٥] انظر: الزركشي، بدر الدين، محمد ابن عبد الله/ البرهان في علوم القرآن/ دار الحديث سنة: ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، القاهرة، مصر/ ص:٨٧.

-والسيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن ابن الكمال/ الإتقان في علوم القرآن/ ط١، دار الغد الجديد، سنة: ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م/ ج٣،ص:٢٧٦.

-حاجي خليفة، مصطفى ابن عبد الله/ كشف الظنون/ ج٣،ص:١٧٨.

وأما من المفسرين الذين يهتمون بتوجيه المتشابه اللفظي من الآيات القرآنية في تفاسيرهم ويكثرون من ذلك، بحيث لا يكادون يتركون آية لها شبيهة أو مثيلة في اللفظ إلا وقفوا عندها وبينوا التشابه والاختلاف بين هذه الآيات وذكروا سبب اختصاص كل كلمة في آيتها فمنهم:

١-الزمخشري محمود ابن عمر جار الله، في:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.

٢-فخر الدين محمد ابن ضياء الدين الرازي،[١] في: التفسير الكبير:(مفاتيح الغيب).

٣-القاضي البيضاوي عبد الله ابن عمر، في: أنوار التنزيل و أسرار التأويل.

٤-أبو السعود محمد ابن محمد العمادي الحنفي في:إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم.

٥-محمود بن عبد الله الآلوسي[٢] في: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني.

٦-شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني في:غاية الأماني في تفسير الكلام الربّاني.

٧-عبد الله بن فودي في: ضياء التأويل في معاني التنزيل.

٨-ابن جزي محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي في:التسهيل لعلوم التنزيل.

أما من المعاصرين الذين كتبوا في هذا الموضوع من غير المفسرين:

-السامرائي، محمد فاضل صالح/ دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل/ط٣، دار عمار، عمان، الأردن، سنة١٤٢١هـ -٢٠١١م/ص:٢٥-٢٦.

[١] هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي بن الإمام القرشي البكري من ذرية أبي بكر الصديق الشافعي المفسر المتكلم ولد سنة ٥٤٤هـ وهو من تلامذة البغوي، له المحصول في الأصول وشرح الأسماء الحسنى وشرح المعضل للزمخشري وغير ذلك توفي سنة ٦٠٦هـ

[٢] هو: الشهاب محمود بن علي الألوسي البغدادي، مفتي بغداد، له تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، توفي سنة ١٢٧٠هـ

١-الدكتور فاضل صالح السامرائي، الأستاذ بكلية الآداب، جامعة بغداد، فقد تحدث عن هذا الموضوع في كتبه مثل كتابه: (التعبير القرآني) و(معاني النحو) و(بلاغة الكلمة في التعبير القرآني). و(على طريق التفسير البياني).

٢-الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود في كتابه: من بلاغة النظم القرآني.

٣-الدكتور محمد فاضل صالح السامرائي في كتابه:دارسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي.

٤- الشيخ فواز بن سعد الحنين في: الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد ، وهو يحتوي على اثنتين وعشرين قاعدة في ضبط متشابه القرآن الكريم ، وقد بذل فيه مؤلفه جهداً مشكوراً .

٥- الدكتور محمد محمود القاضي في: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق.

٦- السيد محمود محمد السند في:أوجز البيان في متشابهات القرآن

٧- عبد المحسن حمد العباد البدر في: آيات متشابهات الألفاظ في القرآن الكريم وكيف التمييز بينها.

٩- عبد المجيد ياسين المجيد في: المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم.

١٠-الدكتور منال الطويجي في: المتشابهات من كلمات القرآن.

١١-/ أحمد عبد الفاتح الزواوي في: هداية الحيران في متشابه ألفاظ القرآن.

١٢-الدكتور منير محمود المسيري في:دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم.

١٣-الدكتور محمد رجائي أحمد الجبالي في رسالة الدكتوراه بعنوان:توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين (أحمد الغرناطي وفاضل السامرّائي دراسة مقارنة).

هذا ويتميز بحثنا عن الكتب والبحوث السابقة بالأمور الآتية:

١-لم يكن فيما سبق من المؤلفات في المتشابه اللفظي من درس هذا الموضوع في كتاب من كتب التفسير التي تهتم بتوجيه المتشابه اللفظي، فجاء بحثنا هذا جديدا في اتجاهه إلى دراسة منهجها في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

٢-لم يكن فيما سبق ذكره من الكتب والبحوث من قام بالمقارنة بيت جهود العلماء الذين ألّفوا في هذا الموضوع، حتى يخرج لنا بنتائج قيمة في تعاملهم مع هذه الآيات المتشابهة في الألفاظ، إلا المحاولة التي قام بها الدكتور رجائي أحمد الجبالي في المقارنة بين ابن الزبير الغرناطي وفاضل السامرّائي غير أنّ كتابيهما لا يعدّان من كتب التفاسير بخلاف تفسير الزمخشري وابن فودي .

٣-لم أرى من بين الذين درسوا تفسير الكشاف سواء في الماجستير أو الدكتوراه من تحدّث ولو قليلا أو أشار ولو أدنى إشارة إلى اهتمام الزمخشري بالمتشابه اللفظي، فضلا أن يبيّن منهجه في توجيه ذلك، أو أن يذكر بعض النماذج للزمخشري في توجيه بعض الآيات القرآنية المتشابهة. و يمكن القول بوضوح:أنّ هذا البحث أول بحث ومشروع تطرّق إلى جمع توجيه المتشابه اللفظي من كتب التفسير بصفة عامة، و دراسته في تفسير الزمخشري (الكشّاف) وتفسير عبد بن فودي (ضياء التأويل).

٤-سيهتم هذا البحث في جمع الآيات المتشابهة في مختلف سور القرآن الكريم من تفسير ابن فودي والزمخشري ثم شرحها وتحليلها بأقوال المهتمين بهذا الموضوع، والمقارنة بينها والتعليق على منهجهما في توجيه تلك الآيات.

٥-إخراج مصادر الزمخشري وابن فودي في توجيه المتشابه اللفظي مما يزيد في الثروة العلمية لدى الباحثين في التفاسير والكتب التي تهتمّ بهذا الجانب العلمي الرفيع.

سادسا: منهج البحث:

سيعتمد الباحث في هذا البحث على منهج الاستقرار والتتبع للآيات المتشابهة في القرآن الكريم، ثم دراستها في تفسير ابن فودي والزمخشري وعرض أقوالهما ثم المقارنة بينها و تحليلها ومناقشة ذلك على ضوء ما سار عليه المشتغلون بهذا العلم.

أمّا عن المنهج الذي اتبعته في كتابة هذا البحث ؛ فهو أنني أكتف إيراد توجيه كل واحد منهما على حدة، وأبدأ دائما بذكر توجيه الزمخشري أولا ثمّ أتبعه بتوجيه عبد الله بن فودي وذلك في مبحث الذي قارنت بينهما عدا ما انفرد كل واحد منهما به من الآيات المتشابهة، وأحيانا – وليس دائما– أتطرّق إلى التحليل، والتعقيب، والاستنتاج، لكلامهما، وقد أخرج في بعض المباحث برأي مستقلّ جديد، وقمت كذلك باستقراء ما انفرد كل واحد منهما به من التوجيهات للآيات المتشابهة.

وأمّا عن المنهج التحليلي لطريقة هذا البحث فهو كما يلي:

١–تخريج الآيات القرآنيّة وترقيمها في داخل الورقة دون الهامش لكثرة الاستشهاد بها في البحث .

٢–تخريج الأحاديث النبوية دون التعرض لدرجتها؛ بذكر الكتاب والجزء والصفحة، ورقم الحديث إن وجد.

٣–عرّفت ببعض الأعلام المذكورين غير المشهورين، طلباً للاختصار وكسبا للوقت .

٤–إذا كانت الإحالة عن تفسير الكشّاف للزمخشري أو ضياء التأويل لابن فودي فقد التزمت أن تكون بعد النص مباشرة في داخل الورقة دون الهامش.

٥–تأصيل النقول بالرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤلف، وذلك عند توفر هذه المصادر لديّ .

٦-حاولت ذكر معلومات أي كتاب { مصدر أو مرجع } ورد ذكره في الهامش؛ بذكر اسم المؤلف ولقبه، ثمّ عنوان الكتاب، ثم تاريخ النشر،ثم دار النشر وبلد النشر عند وجودها، وإذا لم يكن للكتاب تاريخ الطبع أرمز له بـ {بدون تط } أي بدون تاريخ الطبع.

سابعا: حدود البحث:

سيتناول هذا البحث توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم في الحدود الآتية:

١-سينحصر مجال بحثنا على تفسير ابن فودي والزمخشري بشكل رئيس، مع ذكر أقوال بعض العلماء عند مناقشة مقالهما وتوجيههما للآيات المتشابهة في مختلف سور القرآن.

٢-لا نتعرض للآية التي تتكرر ذكرها في أكثر من سورة واحدة، إلا إذا خالفت مثيلتها من الآية أو الآيات الأخرى في: التقديم والتأخير، أو ذكر بعض الكلمات وحذف بعضها، أو خالفتها في التعريف والتنكير، أو في التذكير والتأنيث، أو غير ذلك من أنواع المتشابه اللفظي الذي سنذكره في الفصل الأول تحت المبحث الثاني منه.

٣-سيتناول هذا البحث جميع الآيات القرآنية التي تعرّض لها ابن فودي أو الزمخشري.

٤-لا نتحدث عن الآيات التي لم يتعرضا لها، إلا على سبيل التمثيل أو الشرح أو عند التحليل و النقد.

ثامنا: محتوى البحث إجمالا (الخطة المقترحة):

وسيحتوي هذا البحث على مقدمة وفصول مقسّمة إلى مباحث، وخاتمة، وهي موضّحة على النحو الآتي:

أولا–المقدّمة:

وهي في بيان أهميّة الموضوع ودوافع البحث وأهدافه ، ومنهج البحث وحدوده والدراسات السابقة في الموضوع، و منهج الدّراسة ومحتوى البحث إجمالاً.

–الفصل الأول: التعريف بعلم المتشابه

–المبحث الأول: تعريف المتشابه اللفظي و الفرق بينه و بين المتشابه المعنوي

–المبحث الثاني:أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

–المبحث الثالث: نشأة علم المتشابه اللفظي و تطوّره

–المبحث الرابع:من مباحث علوم القرآن و أنواعه المتعلقة بموضوع المتشابه اللفظي

–الفصل الثاني: منهج الزمخشري في توجيه المتشابه اللفظي

–المبحث الأول:التعريف بتفسير" الكشّاف عن حقائق التأويل" و منهجه

–المبحث الثاني: مصادر الزمخشري في تفسير "الكشاف"

–المبحث الثالث: الآيات التي انفرد الزمخشري بتوجيهها عن ابن فودي

–الفصل الثالث: منهج عبد الله بن فودي في توجيه المتشابه اللفظي

–المبحث الأول:التعريف بعبد الله بن فودي و تفسيره

–المبحث الثاني:مصادر ابن فودي في ضياء التأويل

–المبحث الثالث:الآيات التي انفرد ابن فودي بتوجيهها عن الزمخشري

–الفصل الرابع: دراسة مقارنة في الآيات المتشابهة بين الزمخشري وابن فودي

-المبحث الأول: دراسة المتشابه اللفظي في الحروف.

-المبحث الثاني:دراسة المتشابه اللفظي في اللفظ والتركيب.

-المبحث الثالث:دراسة المتشابه اللفظي في فواصل الآي.

الفصـــــــــــــــــل الثاني

التعريف بعلم المتشابه اللفظي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

تعريف المتشابه اللفظي والفرق بينه وبين المتشابه المعنوي

المبحث الثاني:

أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

المبحث الثالث:

نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوّره

المبحث الأول:تعريف المتشابه اللفظي و الفرق بينه و بين المتشابه المعنوي

أولا: تعريف المتشابه في اللغة:

تدور معاني مادة (شبه) في اللغة حول معنيين:

الأول: التماثل،

الثاني:الالتباس.

فمن الأول قوله تعالى:﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢٥)﴾(البقرة).

ومن الثاني:قوله تعالى:﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠)﴾(البقرة).

وأكثر ما يستعمل في التماثل صيغة (تشابه)، و في الالتباس صيغة: (اشتبه).[١]

وفي القاموس المحيط: "تشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا[٢].

وفي المعجم الوسيط:"تشابه الشيئان: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا وفي التنزيل:﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠)﴾(البقرة).).[٣]

وفي القاموس الفقهي:" المتشابه في القرآن الكريم:المتماثل. ومنه قول الله تعالى:﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ(١٤١)﴾(الأنعام) أي متشابه في المنظر، وغير متشابه في المطعم.[٤]

---

[١] الحنين، فوّاز بن سعد،/ الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد/ ص:٨.

[٢] الآبادي ، فيروز، القاموس المحيط/ص:

[٣] مجمع اللغة العربية بالقاهرة/ المعجم الوسيط/ دار الدعوة بدون تاريخ/ ج١/ ٤٧١.

[٤] سعدي أبو حبيب، ١٩٨٨م/ القاموس الفقهي، ط٢،دمشق، دار الفكر/ص:١٩٠.

وفي مشكل القرآن لابن قتيبة:"وأصل التشابه: أن يشبه اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان، قال الله عزّ وجل في وصف ثمر الجنة:﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا(٢٥)﴾(البقرة) أي متفق المناظر، مختلف الطعوم.

وأما عن معاني هذه المادة كما جاءت في القرآن بمختلف أوزانها ومشتقاتها فقد تناول ذلك(المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته) ولا بأس أن نذكر عنه ذلك فيما يلي:-

١-(مُشْتَبِهٌ) [اسم الفاعل] مفتعل، متقارب يشبه بعضه بعضا من وجه:﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ (٩٩)﴾(الأنعام). (التقارب،التشابه).

٢-(تَشَابَهَ) [ماضي مبني للمعلوم] تفاعل:-

أ-تشابه الرجلان: أشبه كل منهما الآخر:﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)﴾(البقرة) (التشابه).

ب-تشابه الأمر:اختلط:﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦)﴾(الرعد) (الاختلاط).

٣-(مُتَشَابِهٌ) (اسم الفاعل) متفاعل:-

أ-يشبه بعضه بعضا، لونا أو جودة أو صورة، ويختلف طعما:﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ (٩٩)﴾(الأنعام). (التشابه).

ب-يصدق بعضه بعضا:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ(٢٣)﴾(الزمر)، وقيل: يشبه بعضه بعضا في الإعجاز والنظم والتصديق.

٤-(مُتَشَابِهَاتٌ) [اسم فاعل/جمع مؤنث سالم] متفاعلات، وتحتمل أكثر من وجه في التأويل، أو غامضات لا تفهم معانيها:﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ(٨)﴾(آل عمران) (الغموض).

٥-(شُبِّهَ) [فُعِّل]وشبه عليه الأمر:التبس واختلط:﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ(١٥٧)(النساء) أي وقعت لهم الشبهة فظنوا أنّهم صلبوا المسيح وإنما صلبوا غيره (الغموض)[1]

الخلاصة:

بعد هذا العرض السريع لمادة (شَبَهَ) في كتب اللغة وغيرها، نخلص إلى أنّ هذا اللفظ يطوف بين معنيين أساسيين كما ذكرنا في البداية:-

١-الأول: التماثل والتساوي، وقد يكون هذا التماثل شديدا، أو يكون في صفة أو جانب من الجوانب. وهذا المعنى الأول من معنيي التشابه هو الذي أخذ منه تسمية علم المتشابه اللفظي من آيات القرآن، وهو الذي يدور حوله مضمار هذا البحث إلا ما نذكره من الفرق بينه وبين المعنى الثاني من معنيي التشابه وهو الالتباس والخلط وعدم الوضوح الذي أخذ منه النوع الثاني من المتشابه؛ ألا وهو المتشابه المعنوي الذي يتعلق بفهم معنى الكلمة وتفسيرها على حقيقة ما تؤول إليه.

٢-الثاني:الالتباس والخلط، وعدم الوضوح، وتمييز المقصود من الكلام، إما لاحتماله معان متعددة، أو كونه من المغيبات، والتي يتجنب الخوض فيها اختيارا للأولى والأسلم.[2]

وبعد انتهاءنا بالحديث عن المتشابه في اللغة نأتي إلى الحديث عنه في اصطلاح المتخصصين لنرى تعريفه عندهم فنقول:

ثانيا: المتشابه في الاصطلاح:-

---

[1] أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م/ المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ط١، الرياض، السعودية/ ص: بتصرف.

[2] الجبالي،محمد رجائي أحمد،٢٠١٢م/ رسالة دكتوراه غير منشورة: توجيه المتاشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى و المحدثين: أحمد الغرناطي، و فاضل السامرّائي ، دراسة مقارنة/ ص:٣٧.

بدأ ظهور اصطلاح المتشابه اللفظي بشكل مبدئي في عصر التابعين، وذلك عند تفسيراتهم للمحكم والمتشابه اللذان ورد ذكرهما في قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾(آل عمران) وما جاء في قوله تعالى عن التشابه بين آيات كتابه العزيز في سورة الزمر:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣)﴾(الزمر).

ولنذكر عن بعض التابعين الذين روي عنهم تفسير المتشابه اللفظي في القرآن بما يقارب ما استقرّ عليه الاصطلاح في تعريف المتشابه اللفظي في القرآن الكريم قبل ذكره:-

١-روي عن مجاهد أنّه قال:" المتشابهات: ما أشبه بعضه بعضا في المعاني وإن اختلف ألفاظه".

٢-روي عن عبد الرحمن بن زيد أنّه قال:"المتشابه هو: ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، فقصة باختلاف المعاني واتفاق الألفاظ، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني". وضرب له مثلا فقال:" إنّ قصة موسى تكررت في أمكنة كثيرة، وهو متشابه، وكله معنى واحد، ومتشابهه: اسلك يدك، أدخل يدك..."

٣-عن قتادة، قوله تعالى:﴿اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف.

٤-عن السديّ (كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال: المتشابه: يشبه بعضه بعضا.

٥- عن سعيد بن جُبَير، في قوله تعالى:(كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال: يشبه بعضه بعضا، ويصدّق بعضه بعضا، ويدلّ بعضه على بعض.

٦-عن الحسن، في قوله:﴿اللَّهُ نزلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ قال: ثنّى الله فيه القضاء، تكون السورة فيها الآية في سورة أخرى آية تشبهها".

هذه الروايات ذكرها ابن جرير الطبري في تفسيره[1].

٧-ابن زيد في قوله: (مَثَانِيَ) مردّد، رُدِّد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة.

٨- وقال ابن كثير:"وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ:وُيرْوى عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ مَعْنَى قَوْلِهِ:{مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ} أَنَّ سِيَاقَاتِ الْقُرْآنِ تَارَةً تكونُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، فَهَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ، وَتَارَةً تكونُ بِذِكْرِ الشَّيْءِ وَضِدِّهِ، كَذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ الْكَافِرِينَ، وَكَصِفَةِ الْجَنَّةِ ثُمَّ صِفَةِ النَّارِ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا، فَهَذَا مِنَ الْمَثَانِي، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿إِنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الِانْفِطَارِ:١٤، ١٣] ، وَكَقَوْلِهِ :﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[الْمُطَفِّفِينَ:٧] ، إِلَى أَنْ قَالَ:﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [الْمُطَفِّفِينَ:١٨] ، ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص:٤٩] ، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [ص:٥٥]، وَنَحْوِ هَذَا مِنَ السِّيَاقَاتِ فَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الْمَثَانِي، أَيْ: فِي مَعْنَيَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ السِّيَاقُ كُلُّهُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَهُوَ الْمُتَشَابِهُ وَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ:﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٧] ، ذَاكَ مَعْنًى آخَرُ"[2].

ونستخلص مما سبق ذكره من تفسيرات التابعين وبعض الصحابة:أن المتشابه بمعنى الآيات المكرّرات المتشابهة في معانيها وألفاظها، له أصل في أقوال السلف، ويمكن القول بأنّه تأصيل و تأسيس لما اصطلح على تسميته بـ"علم المتشابه اللفظي" كما سمّاه الزركشي في البرهان تحت النوع الخامس، وبـ: "الآيات المشتبهات " كما سمّاه به السيوطي في الإتقان في النوع الثالث والستون، كما سماه من قبل في كتابه " التحبير في علم التفسير" بـ:" الأشباه".

---

[1] الطبري، محمد ابن جرير، أبو جعفر، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، المحقق: أحمد محمد شاكر/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ط١/ مؤسسة الرسالة، /ج٢١،ص:٢٧٩-٢٨٠.

[2] ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، المحقق:سامي بن محمد سلامة/ تفسير القرآن العظيم/ دار طيبة، ط٢/ ج٧،ص:٩٤.

أما علي ابن حمزة الكسائي الذي يقال أنّه أول من وصلنا كتابه في هذا العلم، فقد سمّاه بـ:"مشتبهات القرآن" وفي بعض نسخه:"متشابه القرآن"،وسمّاه محمود ابن حمزة الكرماني في كتابه "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" بـ :"متشابه القرآن" أيضا، وقد سبقه إلى هذه التسمية ابن المنادي.

أما التعريف الاصطلاحي الذي عرف به هذا العلم عند غير التابعين الذين سبق ذكرهم، فنجد أول محاولة لذلك عند الزركشي في البرهان حيث قال:"هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص و الأنباء"[1]، ووافقه السيوطي على هذا التعريف في الإتقان، وعلّق محمد طلحة بلال الميار على تعريف الزركشي فقال:"ويلاحظ على هذا التعريف أنّه يخصص موضع المتشابه بما يقع منه في القصص، وهذا حق، إلا أنّه غير منحصر فيها، بل يقع التشابه في غير القصص والأنباء" ثم ذكر له تعريفًا فقال:"هي الآيات المكررات في اللفظ بسياقها أو مع إبدال".[2] ويمكن أن نأخذ تعريفا آخر لهذا العلم عند السيوطي في كتابه "التحبير في علم التفسير" فيقول عن تعريف المتشابه اللفظي:"هو الآيات المتشابهة مما في إحدى المتشابهتين مما ليس في الأخرى من تقديم أو تأخير أو زيادة".[3] وهذا التعريف أشمل مما سبق ذكره عن الزركشي في البرهان وتبعه السيوطي عليه في الإتقان، فتعريف الإمام السيوطي للمتشابه اللفظي في القرآن في كتابه "التحبير في علم التفسير" أحسن مما ذكره بعد ذلك في الإتقان، لأنّه ألّف التحبير أوّلا، ثم ألّف الإتقان بعده.

---

[1] الزركشي، بدر الدين، محمد بن بهادر ابن عبد الله، ١٣٩١هـ، المحقق:محمد أبو الفضل إبراهيم/ البرهان في علوم القرآن/ دار المعرفة، بيروت /ج١،ص:١١٢.

[2] الميار، محمد طلحة،/إعانة الحفاظ على ضبط الآيات المتشابهة في الألفاظ/ ص:٩٣.

[3] السيوطي، عبد الرحمن بن كمال، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م/التحبير في علوم التفسير/ دار الفكر، بيروت، لبنان/ص:١١٠.

وعرّفه الدكتور محمد رجائي أحمد الجبالي بقوله:"هو تكرار اللفظ في الآية أو في السورة، أو في سور شتّى، دون تكرار المعنى، وقد يتطابق المتشابه اللفظي في المبنى، لكنّه يختلف في المعنى والغرض".[1]

وهذا تعريف حسن، ولكن يلاحظ على قوله في أول التعريف:"هو تكرار اللفظ في الآية" عدم شموله لأنواع التشابه بين الآيات، لأنّ التكرار في الآيات القرآنية أحيانا يكون في لفظ واحد وأحيانا يكون في ألفاظ متعددة، وقد يكون في جمل، وغير ذلك.

وعرّفه الراغب الأصفهاني في كتابه"المفردات في غريب القرآن" بقوله:"والمتشابه من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إمّا من حيث اللفظ أو من حيث المعنى".[2]

وهذا التعريف إذا تأمّلناه سنلاحظ أنّه اشتمل على نوعين من التشابه وهما:-

١-**التشابه من جهة اللفظ**: وهو موضوع حديثنا، وهو الذي اصْطُلِحَ على تسميته بـ"المتشابه اللفظي" أو "متشابه القرآن" أو "الآيات المتشابهة" كما ذكرنا ذلك قبل قليل.

٢-**التشابه من جهة المعنى**:وهذا النوع من التشابه هو الذي يسمى بـ"المتشابه المعنوي" وهو ضد المحكم، وهو الذي جاء ذكره في سورة آل عمران في قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)﴾(آل عمران)، وقد وقع اختلاف شديد و عويس بين السلف والخلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم، والعلماء من بعدهم في تفسيرات المحكم والمتشابه من آيات القرآن وتبعا لذلك اختلفوا: هل يجوز أن يقال:في القرآن شيء لا يعلم معناه؟، وهل

---

[1] الجبالي،محمد رجائي أحمد،٢٠١٢م/ رسالة دكتوراه غير منشورة: توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى و المحدثين: أحمد الغرناطي، و فاضل السامرّائي ، دراسة مقارنة/ص:٤٨.

[2] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، بدون تاريخ/المفردات في غريب القرآن/ المكتبة التوفيقية/ص:٢٥٧.

يجوز كذلك أن يخاطبنا الله بما لا نعلم معناه؟، ومن أراد الاستقصاء في معرفة هذا الخلاف فعليه بمراجعة ما ذكره الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان،[1]، والشوكاني في"فتح القدير".[2]

وقد ظهر للباحث بعد البحث والتتبع عن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، أنّ البعض قد خلّط الحديث بين نوعي المتشابه(اللفظي والمعنوي) وبعض المؤلفات في هذا الموضوع تذكر الكتب المؤلفة في المتشابه اللفظي، مع أنّها تتحدث عن المتشابه الذي هو ضد المحكم أو ما سمي بالمتشابه المعنوي، فمثلا الدكتور حسين نصّار، ألّف كتابا باسم "المتشابه" واقتبس في أول الكتاب من مقال الإمام السيوطي في معترك الأقران في إعجاز القرآن قوله:"الوجه التاسع من وجوه إعجازه: إنقسامه إلى محكم ومتشابه" وذكر كذلك في آخر الكتاب مؤلفات في المتشابه، ولم يميّز منها ما كان في المتشابه الذي هو ضد المحكم، وما كان في المتشابه اللفظي من آي القرآن،و لنذكر بعض هذه المؤلفات التي ذكرها:-

١-"**متشابه القرآن**" أو "الرد على الملحدين في متشابه القرآن" أو "ما سأل عنه الملحدون من آي القرآن" هذه الأسماء الثلاثة هي اسم لكتاب واحد، لمحمد بن المستنير المعتزلي المعروف بـ "قطرب".

٢-"**متشابه القرآن**" لأبي سهل بشر بن المعتمر الهلالي المعتزلي رئيس معتزلة بغداد، (ت:٢١٠).

٣-**متشابه القرآن**" لأبي الهذيل محمد بن عبد الله المعتزلي الملقب بـ"العلاّف"،(ت:٢٣٥).

٤-"**متشابه القرآن**" لأبي الفضل جعفر بن حرب الهمداني المعتزلي (ت:٢٣٦).

٥-"**متشابه القرآن**" لأبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من أشهر المعتزلة، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة في عصره، (ت:٣٠٣).

---

[1] انظر النوع السادس و الثلاثون(٣٦) في البرهان للزركشي، و النوع السادس و الأربعون(٤٦) في الإتقان.

[2] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد،١٤١٤هـ/فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير/ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت،ط١/ج١،٣٦٠.

هذه الكتب الخمسة ذكرها الدكتور حسين نصار، وكلها تحمل اسم متشابه القرآن، وهي لرجال من المعتزلة، وهناك مؤلفات غيرها للمعتزلة تحمل هذا الاسم ولم يذكرها الدكتور حسين نصار وهي:-

٦-" **المتشابه في علم القرآن**" لأبي الحسن علي بن عيسى الرمّاني المعتزلي(ت:٣٨٤هـ).

٧-"**متشابه القرآن**" لأبي الحسن قاضي القضاة عماد الدين عبد الجبار بن أحمد من معتزلة البصرة، والكتاب مطبوع، وقد ذكر ابن نديم في الفهرست تحت الكتب المؤلّفة في متشابه القرآن، كثير من مؤلفات المعتزلة، وهو خير من يذكر عنهم هذه المؤلفات لأنّه معتزلي أيضا.[١]

وقد بدا للباحث أنّ المعتزلة اهتموا بالمتشابه الذي هو ضد المحكم، وألّفوا في ذلك مؤلفات يشرحون ويفسرون فيها آيات القرآن عامة، وآيات الصفات والعدل والتوحيد، على ما يوافق مذهبهم، فمن يطالع كتاب القاضي عبد الجبار المعتزلي "متشابه القرآن" يفهم ذلك عنهم، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه.[٢]

ونعود إلى استمرار ذكر المؤلفات في المتشابه التي ذكرها الدكتور حسين نصّار ومنها:-

٦-"ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظي من آي التنزيل" لمحمد بن جعفر بن الزبير الغرناطي(ت:٧٠٨هـ).

٧-" درّة التنزيل وغرّة التأويل لأبي عبد الله الخطيب الإسكافي(ت:٤٢١هـ).

٨-"البرهان في توجيه متشابه القرآن" لأبي القاسم محمود بن حمزة الكرماني(ت:٥٠٥هـ).

٩-"مشتبهات القرآن" لعلي بن حمزة الكسائي(ت:١٦٩هـ).[٣]

وهذه المؤلفات كلها مطبوعة، وهي ظاهرة بشكل واضح أنّها في أحد نوعي المتشابه وهو المتشابه اللفظي، وليس المتشابه المعنوي الذي هو ضد المحكم.

---

[١] ابن نديم،محمد بن إسحاق أبو الفرج، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م،المحقق: إبراهيم رمضان/الفهرست/دار المعرفة- بيروت – لبنان، ط٥٦/١/٢.

[٢] و انظر: عبد العزيز حاجي،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م/تفسير آيات العقيدة/دار الصابوني،القاهرة،مصر/ج٦٧٣/٢-٦٧٩.

[٣] الدكتور،حسين نصّار١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م/المتشابه/مكتبة الخانجي، القاهرة،مصر،ط١٥٣/١-١٥٥.

الخلاصة:

وخلاصة ما ذكرناه فيما سبق؛ أنّه حدث خلط وعدم تمييز، عند بعض العلماء والباحثين، فلم يفرقوا بين نوعي المتشابه –كما استقرّ عند العلماء المحققين المتخصصين– عندما يتحدثون عنه.

ومما نؤكد به ما ذكرنا من أنّ المتشابه الذي ورد ذكره في القرآن نوعان، هو ما ذكره الزركشي في البرهان فقال:" وقال بعضهم المتشابه اسم لمعنيين:

١– **أحدهما**: لما التبس من المعنى لدخول شبهة بعضه في بعض نحو قوله:" إن البقر تشابه علينا".

والثاني اسم لما يوافق بعضه بعضا ويصدقه قوله تعالى :"كتابا متشابها مثاني". ثم علّق الزركشي قائلا:

"فإن كان المراد بالمتشابه في القرآن الأول؛ فالظاهر أنه لا يمكنهم الوصول إلى مراده، وإن جاز أن يطلعهم عليه بنوع من لطفه، لأنه اللطيف الخبير، وإن كان المراد الثاني، جاز أن يعلموا مراده".[١]

[١] الزركشي، بدر الدين، محمد بن بهادر ابن عبد الله،١٣٩١هـ/ البرهان في علوم القرآن/٧٤/٢.

المبحث الثاني:أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

لقد اختلف العلماء والباحثون في تصنيف وتقسيم أنواع التشابه، والاختلاف بين آيات القرآن، فلا تكاد تجد فيها اتفاق اثنين منهم على هذا التصنيف، وذلك لأنّ كل عالم أو باحث في هذا الموضوع، ينظر فيها فيجد أمامه جمّا غفيراً من الصور والأشكال والهيئات والأحوال المختلفة من الآيات التي تشبه بعضها بعضا في الألفاظ، فتراه يحاول فهم نوع هذا التشابه و الاختلاف، فيسلك في استخراج ذلك طريقته الاجتهادية في ذكر نوعها أو شكلها، فممن حدّد نوعية التشابه بين الآيات المتشابهات من المصنّفين في هذا العلم:-

١-الإمام ابن المنادي في كتابه"متشابه القرآن العظيم".

٢-عبد الرحمن ابن الجوزي في كتابيه: "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" و"المدهش في الوعظ".

٣-بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي في كتابه:"البرهان في علوم القرآن".

٤-محمد فاضل السامرّائي في دراسته المتشابه اللفظي في كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي بعد أن ذكر تصنيف الزركشي لأنواع المتشابه اللفظي في البرهان.

٥-محمد طلحة الميّار في كتابه"إعانة الحفاظ على ضبط المتشابهات في الألفاظ".

٦-الدكتور فاضل صالح السامرّائي في كتابه:"التعبير القرآني".

والآن نبدأ بذكر تصنيف ابن المنادي لأنّه أول من حاول ذكر أنواع التشابه بين الآيات المتشابهة في كتابه"متشابه القرآن العظيم":-

١-التصنيف الأول: تصنيف ابن المنادي:-

١-التقديم والتأخير.

٢-الجمع والتوحيد.

٣-الإبدال.

٤-الإظهار والإدغام.

٥-التأنيث والتذكير.

٦-أواخر الآي (وهو ما يسمى بفواصل الآي).[١]

٢-**التصنيف الثاني**:**تصنيف ابن الجوزي**:- وأما ابن الجوزي فقد اقتصر في ذكر أنواع المتشابه اللفظي على ثلاثة أنواع وهي:-

١-الإبدال.

٢-الزيادة والنقصان.

٣-التقديم والتأخير.

٣-**التصنيف الثالث**:**تصنيف الزركشي**:- وقد اقتصر على ذكر ثمانية أنواع له وهي:

١-**الأول**: أن يكون في موضع على نظم وفى آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر ووقع في القرآن منه كثير.

٢-**الثاني**: ما يشتبه بالزيادة والنقصان.

٣-**الثالث**: التقديم والتأخير وهو قريب من الأول.

٤-**الرابع**: بالتعريف والتنكير.

٥-**الخامس**: بالجمع والإفراد.

---

[١] انظر:الميّار محمد طلحة،إعانة الحفاظ/ص:١٩٠.

٦-**السادس**: إبدال حرف بحرف غيره.

٧-إبدال كلمة بأخرى.

٨-الإدغام وتركه.

٤-التصنيف الرابع: تصنيف محمد فاضل السامرّائي:- قال الدكتور محمد فاضل صالح السامرّائي بعد أن ذكر تصنيف الزركشي:" ويمكن أن نضيف إلى الأقسام التي ذكرها الزركشي أقساما أخرى وهي:-

١-مل اختلف في التوكيد وعدمه.

٢-ما اختلف في صيغ الوصف.

٣-ما تباين في صيغ جموعه.

٤-ما اختلف من حيث التجرد و الزيادة.

٥-ما اختلف في أحرف الزيادة.

٦-ما اختلف فيه الفعل من حيث البناء للمعلوم والمجهول.

٧-ما اختلف فيه الفعل من حيث التذكير والتأنيث.

٨-التكرار.[١]

٥-**التصنيف الخامس**:**تصنيف محمد طلحة الميّار**:يقول في كتابه:"إعانة الحفاظ على ضبط الآيات المتشابهات في الألفاظ" بعد أن ذكر تصنيف بعض العلماء للتشابه اللفظي في القرآن:و في رأي أنّه يمكن تفشيم الإبدال إلى قسمين:-

[١] السامرّائي،محمد فاضل،٢٠١١م/ المتشابه اللفظي في كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي/دار عمار،عمّان،المملكة الأردنية/ص:٢٤.

١-**القسم الأول:إبدال كلي**: وذلك بتغيير صيغة اللفظ، ويكون له صور وهي:

١-إبدال حرف بآخر ٢-إبدال كلمة بأخرى من لفظها ٣-التعريف والتنكير.

٤-الجمع والإفراد ٥-التأنيث والتذكير ٦-الإظهار والإدغام.[1]

٦-**التصنيف السادس:تصنيف فاضل صالح السامرّائي**: وقد قسّمه إلى خمسة أقسام وتحت بعض الأنواع أقسام وهي:-

١-التقديم و التأخير.

٢-الذكر و الحذف: و قسمّه إلى قسمين:-

القسم الأول:قد يحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر، حسبما يقتضيه السياق فقد يحذف حرفا أو يذكره أو يجتزئ بالحركة، للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفنّ والجمال.

القسم الثاني:وهو أن يذكر في موطن ما لا يذكره في موطن آخر يبدو شبيها به، وليس عدم ذكره من باب الحذف، وإنّما هو قد يزيد لفظا أو أكثر مراعاة لما يقتضيه السياق أو يستدعيه المقام.

٣-التوكيد:وقد قسّمه إلى عشرة أقسام وهي:-

١-الإتيان باللام التي تفيد التوكيد في مكان، وعدم الإتيان به في مكان آخر.

٢-إدخال نون التوكيد على الفعل في الموضع الذي يقتضيه وتركه فيما لا يقتضيه.

٣-التأكيد بـ"إن" في موضع وعدمه في موضع آخر.

٤-التوكيد بالحروف الزائدة في موضع وتركها في موضع آخر.

---

[1] الميّار،محمد طلحة/إعانة الحفاظ على ضبط الآيات المتشابهات في الألفاظ/ص:١٨٧-١٨٨.

٥-أن يأتي بألفاظ التوكيد المعروفة في المواطن التي تقتضي ذلك، ويتركها في مواطن أخرى تبدو شبيهة بها.

٦-استعمال ضمير الفصل الذي يفيد التوكيد حسبما يقتضيه ذلك، ويتركه في سياق آخر عند عدم اقتضاء ذلك.

٧-أن يختصّ حرفا بالدلالة على التوكيد دون نظيره.

٨-تكرار اللفظ الذي يريد توكيده حسبما يقتضيه كل موطن من الكلام.

٩-تأكيد التعبير في موطن وتخفيفه في موطن آخر.

١٠-زيادة التوكيد بعد تخفيفه في موطن آخر.

٤-التشابه و الاختلاف.

٥-فواصل الآي.[١]

ملاحظة: هذه الأقسام لأنواع المتشابه عند الدكتور فاضل صالح السامرّائي لم يذكرها في مكان واحد، إنما تتبع الباحث كتابه:"التعبير القرآني" واستخرجها و ذكرها كما سبق.

وقد ظهر للباحث زيادات أخرى جديدة في أنواع المتشابه، غير ما سبق ذكرها من العلماء و الباحثين، وذلك بعد البحث والنظر و التتبع لها وهي:

١-الاختلاف و التشابه في استعمال حروف الاستفهام.

٢- الاختلاف والتشابه في صياغة الجمل تارة بالصيغة الاسمية وتارة بالفعلية.

٣- الاختلاف والتشابه في استعمال صيغة الجمع؛ إما جمع كثرة أو جمع قلّة.

[١] السامرائي،فاضل صالح،الدكتور،١٩٩٨م/التعبير القرآني/دار عمّار،عمّان،المملكة الأردنية /ص:٢١٨،١٧٣،١٢٥،٧٤،٤٩،

٤- الاختلاف والتشابه في استعمال حروف الاستئناف.

٥- الاختلاف والتشابه في استعمال زمن الفعل.

٦- الاختلاف والتشابه في استعمال صيغ المصدر.

٧- الاختلاف والتشابه في الإظهار (استعمال الاسم الظاهر) والإضمار (استعمال الضمير دون الاسم الظاهر).

٨- الاختلاف والتشابه في تنويع الخطاب بين الغيبة والتكلم.

٩- الاختلاف والتشابه في استعمال صيغة التفضيل(أفعل التفضيل) وتركه.

١٠- الاختلاف والتشابه في إعراب الفعل مرفوعا ومجزوما.

والآن نذكر بعض الأمثلة على أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مما ذكره العلماء والباحثون السابقون، ومما زدنا من زيادتها عندنا بشكل موجز:-

١-الاختلاف في استعمال حروف الاستفهام:-

أ-مثال ذلك: الاستفهام بـ "ما" ومرّة بـ"ماذا" فيقول مرّة في إبراهيم عليه السلام:(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠)(الشعراء). وقال في سورة الصافات:(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥)(الصافات).

ب-ومنه أيضا الاستفهام بالهمزة تارة في قوله تعالى:﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ (٧٢)﴾(الحج) وبـ"هل" تارة أخرى في قوله تعالى:﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ(٦٠)﴾(المائدة).

٢-الاختلاف في تنويع الخطاب من المفرد إلى الجمع:-

وهذا نستخرجه من الآيتين السابقتين في كلمتي "ذلك" في سورة المائدة من قوله تعالى:﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ وفي كلمة "ذلكم" في سورة الحج من قوله تعالى:﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ﴾.

٣-الاختلاف في صياغة الجمل تارة بالصيغة الاسميّة وتارة بالفعلية ومن أمثلة ذلك:-

١-﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥)﴾(الأنعام) استعمل الصيغة الاسمية في (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) و في آل عمران قوله تعالى:﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)﴾(آل عمران) خالف ما في سورة الأنعام فجاء بالصيغة الفعلية فقال:﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾. ومثاله أيضا:﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)﴾(الأنعام) فجاء هنا بالصيغة الاسمية، و جاء في سورة هود بالصيغة الفعلية في قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)﴾، وقد جاء هذا النوع من المثال أيضا في آية واحدة في سورة الأنفال:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ(٣٣)﴾. (الأنفال)، و تجد سورة الكافرون مشتملة على هذا النوع أيضا:﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤)﴾.

٤-الاختلاف في استعمال الكلمة بين الإفراد والجمع:-

١-في قوله تعالى:﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً (٨٠)﴾(البقرة). بصيغة المفرد، وجاء في سورة آل عمران بصيغة الجمع فقال:﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ (٢٤)﴾.

٢-ومثاله أيضا قوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦)﴾(الأنبياء) فأفرد السماء هنا، وفي سورة الدخان جمعها فقال:﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨)﴾(الدخان).

٣-ومثال آخر في قوله تعالى في سورة الأنبياء:﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)﴾ فأفرد السماء في هذه، وجمعها في سورة الفرقان:﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦)﴾(الفرقان).

٥-الاختلاف في استعمال صيغة الجمع أحيانا جمع كثرة، وحينًا جمع قلّة:-

يقول تعالى في قصة بني إسرائيل في سورة البقرة:﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ(٥٨)﴾(البقرة) فجاء بجمع الكثرة في"خطاياكم" وفي نفس القصة في سورة الأعراف(على قراءة حفص في الآيتين) جاء بجمع القلّة"خطيئاتكم" جمع المؤنث السالم فقال:﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١)﴾(الأعراف).

٦-الاختلاف في استعمال الكلمات المتقاربة في المعنى مع وجود الفرق في الدلالة:-

مثل قوله تعالى:﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ(١٩١)﴾(البقرة) وفي آية أخرى من السورة قال تعالى:﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ(٢١٧)﴾(البقرة). ومن هذا المثال أيضا قوله تعالى:﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ(٢٩)﴾(هود) و في سورة الشعراء قوله تعالى:﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٠٩)﴾ ومثال هذا في الفعل قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ(٨٧)﴾ فاستعمل فعل "فزع" بدل "صعق" الوارد في آية أخرى في سورة الزمر:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)﴾ ومن قوله تعالى في سورة يوسف:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)﴾ فجاء بفعل "أنزل" بدل "جعل" الوارد في سورة الزخرف:﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)﴾.

٧-الاختلاف في استعمال حرف بحرف آخر قريب منه في المعنى، وهذا الحرف إمّا حرف جرّ أو حرف عطف أو حرف نفي:-

١-ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى:﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)﴾(البقرة) وقال في سورة الجمعة:﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)﴾ فنفى التمني في آية البقرة بحرف النفي "لن" فقال:" وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ" ونفاه في سورة الجمعة بحرف النفي "لا" فقال:" وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ".

٢- ومثاله في حرف العطف قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ (٥٢)﴾(فصلت) فعطف الفعل "كفرتم" بحرف العطف"ثمّ" وفي سورة الأحقاف عطفه بواو العطف فقال:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ(١٠)﴾.

٣-ومثاله في حرف الجرّ قوله تعالى:﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى (٢٩)﴾ وفي سور أخرى غير لقمان(الرعد:٢، والزمر:٥، وفاطر:١٣) قال:﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

٨-الاختلاف في استعمال حرف الاستئناف:-

كما في قوله تعالى:﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦)﴾(الإسراء) فاستأنف بحرف "الواو"، وفي سورة الروم استأنف بالفاء فقال:﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨)﴾(الروم).

٩-الاختلاف في استعمال زمن الفعل:-

١-مثاله في قوله تعالى:﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠)﴾(الشعراء). فاستعمل فعل الماضي في "سلكناه" في هذه السورة، وفي سورة الحجر استعمل فعل المضارع "نسلكه" فقال:﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢)﴾(الحجر).

٢-ومثال آخر من هذا قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)﴾ استعمل فعل الماضي في هذه السورة فقال:"سعوا" و كذلك فعل في سورة السبأ فقال:﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ(٥)﴾ و في آية أخرى من سورة

السبأ استعمل فعل المضارع فقال:﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)﴾.

١٠-الاختلاف في استعمال صيغ المصدر:-

ومثاله في قوله تعالى في الأحقاف:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا(١٥)﴾ فاستعمل المصدر "إحسانا" وفي سورة العنكبوت استعمل المصدر"حسنا" فقال:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا (٨)﴾.

١١-الاختلاف في الإظهار والإضمار:-

١-ومثاله قوله تعالى:﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(٦١)﴾(النحل) فأضمر كلمة الظهر بهاء الضمير "عليها"في هذه السورة،وفي سورة فاطر جاء بالاسم الظاهر "على ظهرها" فقال:﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا(٤٥)﴾(فاطر).

٢-ومثال آخر لهذا قوله تعالى في سور النمل:﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٥٦)﴾ فجاء في هذه السورة بالاسم الظاهر "آل لوط" وفي سورة الأعراف أضمر هذا الاسم واستعمل ضميره "هم":﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ(٨٢)﴾

٣- ومثال أخر منه أيضا قوله تعالى:﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)﴾(سبأ) أظهر اسم الجلالة في هذه السورة، وفي سورة الإسراء أضمره فقال:﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا(٥٦)﴾.

١٢-الاختلاف في إبدال كلمة بكلمة مخالفة لها في المعنى:-

ومثاله قوله تعالى:﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ(١٣٣)﴾(الأنعام) استعمل كلمة "الغني" في هذه الآية، وفي سورة الكهف بدّلها بكلمة "الغفور" وهي مغايرة لها في المعنى فقال:﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا(٥٨)﴾(الكهف)، وهذا كما في كلمة "فانفجرت" الواردة في سورة البقرة، و في الأعراف جاء بكلمة مغايرة لها في المعنى وهي "فانبجست".

١٣-الذكر و الحذف:-

١-ومثاله قوله في سورة الأعراف:﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا(٧٤)﴾ فحذف حرف "من" هنا، وذكره في سورة الشعراء فقال:﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)﴾.

٢-ومثاله أيضا:﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ(١٦٥)﴾ فحذف حرف "في" وذكره في سورة فاطر فقال:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ(٣٩)﴾.

١٤-الاختلاف في التوكيد و عدمه:-

١-ومثاله قوله تعالى:﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)﴾(البقرة) فأكّد الفعل هنا بنون التوكيد الثقيلة " تَكُونَنَّ" وتركه في آل عمران فقال:﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠)﴾.

٢- ومن هذا المثال أيضا قوله تعالى:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣)﴾(البقرة) ترك التوكيد هنا وأكّده في سورة الأنفال بكلمة "كل" فقال:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)﴾(الأنفال).

١٥-التذكير و التأنيث:-

١-ومثاله قوله تعالى:﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١)﴾(الأنبياء) أنّث الضمير هنا فقال:"فيها" وفي سورة التحريم ذكّره فقال:﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ

الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)﴾(التحريم).

٢- ومثال آخر له:﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧)﴾(هود) فذكّر الفعل "أخذ" في قصّة صالح وقومه، وأنّثه بعد ذلك في نفس السورة في قصّة شعيب فقال: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤)﴾.

٣- ومثاله أيضا قوله تعالى:﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ (٤٤)﴾(آل عمران) ذكّر الضمير هنا فقال "نوحيه" و أنّثه في سورة هود فقال:﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ)(٤٩)﴾(هود).

١٦-الاختلاف في تنويع الخطاب بين الغيبة و التكلم:-

ومثاله قوله تعالى:﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)﴾(مريم) وقال في نفس السورة أيضا:﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣)﴾ الاختلاف بين هاتين الآيتين هو في استعمال لفظ الغيبة :(عليه، ولد،يموت،يبعث)، واستعمال لفظ التكلم في:(عليّ،ولدت،أموت،أبعث) و هذا في سورة واحدة (مريم) في قصّتي يحي وعيسى عليهما السلام.

١٧-الاختلاف في التعريف والتنكير:-

١-ومثاله قوله تعالى:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ(٧)﴾ جاء لفظ الكذب معرّفا هنا(الكذب)، وجاء في سور أخرى منكّرا فقال:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (الأنعام:٢١،٩٣،١٤٤،والأعراف:٣٧،يونس:١٨،والعنكبوت:٦٨،وهود:١٨،والكهف:١٥).

٢-ومثال آخر لهذا قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا(١٢٦)﴾(البقرة) جاء بلفظ النكرة في هذه السورة، وفي سورة إبراهيم جاء بلفظ المعرفة فقال:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا(٣٥)﴾(إبراهيم).

١٨-الاختلاف في الاستعمال صيغة التفضيل وتركه:-

ومثاله قوله تعالى:﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ(٢٢)﴾(هود) جاء في هذه السورة بصيغة التفضيل "الأخسرون" وتركه في سورة النحل فقال:"الخاسرون" يقول تعالى:﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩)﴾.

١٩-الاختلاف في الاستعمال صيغة الفعل أو وزنه:-

ومثاله قوله تعالى في سورة النمل:﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(٥٣)﴾ جاء هنا بصيغة "أفعل" في فعل "أنجينا" وفي سورة الفصلت استعمل وزن الفعل:"فعّل" فقال:﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ(١٨)﴾(فصلت)، وكلا الفعلين متعدّيان إلا أنّ تعدية الأول بالهمزة، وتعدية الثاني بالتضعيف.

٢٠-الاختلاف في استعمال الفعل مرفوعا و مجزوما:-

ومثاله قوله تعالى:﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ (التوبة) و قال تعالى:﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٧)﴾(هود) و الاختلاف بين الآيتين هو في استعمال "ولا تَضُرُّوهُ" في سورة التوبة مجزوما، عطفا على جواب الطلب المجزوم في قوله تعالى:"إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ" فيُعَذِّبْكُمْ فعل مضارع مجزوم على أنّه جواب الطلب، وعطف (تضّروه) عليه فكان مجزوما بحذف النون؛ لأنّه من أفعال الخمسة، وفي سورة هود استعمل مرفوعا فقال:"ولا تَضُرُّونَهُ" عطفا على الفعل المرفوع:" وَيَسْتَخْلِفُ".

٢٢-الاختلاف في التقديم والتأخير:-

وهذا النوع كثيرا جدّا في القرآن الكريم مثل:"تقديم السماء على الأرض وتقديم الأرض على السماء" و"تقديم الإنسان على الجنّ وتقديم الجن على الإنسان" و" تقديم اللعب على اللهو" و"تقديم اللهو على اللعب" و"تقديم الضرّ على النفع" و"تقديم النفع على الضرّ" إلى آخر هذا النوع من التشابه والاختلاف في التقديم والتأخير، كل ذلك بحسب ما يقتضيه فنّ القول و سياق التعبير، ونعطي بعض الأمثلة عليه فنقول:-

١-﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى(٢٠)﴾(القصص) وقال في سورة يس:﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ(٢٠)﴾(يس) قدّم الرجل على المدينة في الآية الأولى، وفي الآية الثانية قدّم المدينة على الرجل.

٢-﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)﴾(الكهف) وقال في سورة الإسراء:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا(٨٩)﴾(الإسراء). قدّم القرآن على الناس في سورة الكهف، وفي سورة الإسراء قدّم الناس على القرآن.

٣-﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾(الأنعام) و قال تعالى في سورة غافر:﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) قدّم:" كلمة الشهادة" على "خالق كلّ شيء" في سورة الأنعام، و قدّم:" خالق كلّ شيء" على :"كلمة الشهادة".

٤-﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٤)﴾(النحل) وقال في سورة فاطر:﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٢)﴾ قدّم كلمة "مواخر" على "فيه" في آية النحل، و قدّم كلمة"فيه" على "مواخر" في سورة فاطر. إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة في النوع من التشابه والاختلاف بين الآيات القرآنية.

٢٣- الاختلاف بالإضافة وعدمها: ومثال ذلك قوله تعالى:﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (طه:١٣٠)، وقوله:﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ (ق:٣٩).

فجاءت الآية الأولى بالإضافة (وقبل غروبها) بينما جاءت الآية الثانية بالإطلاق (وقبل الغروب).

المبحث الثالث: نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوّره

يمكن تصنيف مراحل نشأة علم المتشابه وتطوّره إلى خمسة مراحل على النحو الآتي:-

١-مرحلة جمع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من دون توجيه.

٢-مرحلة التدوين غير المستقل لتوجيه المتشابه اللفظي في التفاسير.

٣-مرحلة التدوين المستقل لتوجيه المتشابه اللفظي في مؤلفات مفردة.

٤-مرحلة المؤلفات المشتملة على مباحث في المتشابه اللفظي و توجيهه.

٥-مرحلة نظم الآيات المتشابهة وشرحها في مؤلفات مفردة.

المرحلة الأولى:-

جمع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم من دون توجيه

بدأت هذه المرحلة مبكرًا على يد أعلام القرّاء؛ حيث وجدوا أنّ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم يختلط ويلتبس على حفظة القرآن الكريم، فعمدوا إلى جمع الآيات المتشابهة لفظا، لأجل حفظة كتاب الله، تجنّبا للخلط واللبس والنسيان، وذلك من دون توجيه لهذه الآيات، أو بيان لأسباب ترددها في أكثر من موضع من القرآن، ومن دون بيان لأوجه الاختلاف المعنوي فيما بينها.

وقد أشار ابن المنادي إلى الأسباب التي دفعت القرّاء إلى جمع المتشابه في القرآن فقال:"و إنما حملهم على وضعهم إيّاه للقَرَأَة ردّاً من سوء الحفظ، وحداهم كون القرآن ذا قصص، وتقديم

وتأخير، وكثرة ترداد أنبائه ومواعظه، وتكرار أخبار من سلف من الأنبياء والمهلكين الأشقياء، يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسوره، وقد يجئ حرف من هذا الضرب فيأتي بالواو مرّة، بالفاء مرّة... فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط".[1]

ولعل أول مصنّف وضع في هذا الباب(متشابه القرآن) هو كتاب الكسائي:(ت:١٨٩هـ)، وقد أشار إلى ذلك السيوطي فقال:" أفرده بالتصنيف خلق، أوّلهم فيما أحسب: الكسائي"،[2] ولو تتبعنا الذين صنّفوا في هذه المرحلة–جمع المتشابه اللفظي في القرآن من دون توجيه_ بحسب الأسبقية لوجدنا أعلاما آخرين من القرّاء، قد سبقوا الإمام الكسائي لكن_وللأسف_ كتبهم مفقودة أو مختفية ولم تظهر كما ظهر كتاب الإمام الكسائي (مشتبهات القرآن).

ومن المؤلفات التي تلت كتاب الكسائي في الأسبقية من الكتب المطبوعة؛ التي لم تفقد كتاب:(متشابه القرآن العظيم) لابن المنادي:(ت:٣٣٦هـ)، وهذان الكتابان هما أقدم الكتب التي وصلت إلينا وطبعت، وهناك كتب أخرى مفقودة، لكنّ بعض المصنفين في آثار ومؤلفات السابقين ذكروها في مؤلفاتهم، كابن النديم في "الفهرست" والحاجي خليفة في:"كشف الظنون":

١–كتاب حمزة الزيّات، ذكره ابن النديم.

٢–كتاب خلف بن هشام الراوي عن حمزة الزيات، ذكره ابن النديم، وابن المنادي.

٣–كتاب نافع المدني، ذكره ابن النديم.

٤–كتاب وقف عليه قالون الراوي عن نافع المدني، ذكره ابن المنادي.

٥–كتاب وقف عليه إبراهيم ابن عبدان المقرئ، ذكره ابن المنادي.

٦–كتاب موسى الفرّاء، ذكره ابن المنادي.

٧–كتاب محمود بن الحسن، ذكره ابن المنادي.

---

[1] الجبالي،محمد رجائي،٢٠١٢م/ توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

[2] السيوطي،عبد الرحمن بن الكمال،١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م /الإتقان في علوم القرآن/ج٣/٣٩٠.

٨-كتاب الإمام أبي الحسن الكسائي.

٩-كتاب وقف عليه الحسن بن داود الإسكافي المقرئ وأدرجه ابن المنادي بتمامه في أواخر كتابه.

١٠-كتاب الإمام محمد بن محمد بن علي بن همام، ذكره بن الجزري في غاية النهاية.

١١-كتاب متشابه القرآن لابن المنادي.[١]

المرحلة الثانية:

التدوين غير المستقل لتوجيه المتشابه اللفظي في كتب التفاسير

بدأ توجيه الآيات المتشابهة في القرآن الكريم على يد المفسرين بصورة ضيقة، إذ كانوا يتعرضون للآيات المتشابهة عند تفسيرهم لآية وردت في سور مختلفة، وإن وجدوا الاختلاف في بعض ألفاظ الآية وجّهوا ذلك في أثناء تأويل معنى الآية، ومما يدل على أنّ توجيه المتشابه اللفظي بدأ أوّلا عند المفسرين ثمّ تطوّر حتى استقل وصار علما بنفسه، وتكوّنت له مباحثه ومؤلفاته؛ ما ذكره ابن جرير الطبري في سورة النساء في قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢)﴾(النساء) يقول ابن جرير عند تفسيرها:" فإن قال قائل: وما وجه تكرار قوله:"ولله ما في السموات وما في الأرض" في آيتين، إحداهما في إثر الأخرى؟

قيل: كرّر ذلك، لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والأرض في الآيتين. وذلك أن الخبر عنه في إحدى الآيتين: ذكرُ حاجته إلى بارئه، وغنى بارئه عنه – وفي الأخرى: حفظ بارئه إياه، وعلمه به وتدبيره. (٢)

فإن قال: أفلا قيل:"وكان الله غنيًّا حميدًا"، وكفى بالله وكيلا؟

---

[١] انظر: الميار محمد طلحة، إعانة الحفاظ،ص:١١٨،١٢٣-١١٩/ و ابن النديم في الفهرست،ص:٥٧، و الجبالي، محمد رجائي أحمد/توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى و المحدثين،ص:٧٤-٧٥.

قيل: إن الذي في الآية التي قال فيها:"وكان الله غنيًّا حميدًا"، مما صلح أن يختم ما ختم به من وصف الله بالغنى وأنه محمود، ولم يذكر فيها ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير. فلذلك كرّر قوله:"ولله ما في السموات وما في الأرض"[1].

ومثال آخر لتوجيه المتشابه اللفظي عند الطبري قوله عند تفسير الآية السادسة من سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)﴾:"وأدْخلت الواو في هذا الموضع، لأنه أريد بقوله: (ويذبحون أبناءكم) ، الخبرُ عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بني إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح. وأما في موضعٍ آخر من القرآن، فإنه جاء بغير الواو: (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) [سورة البقرة: ٤٩] ، في موضع، وفي موضع (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ) [سورة الأعراف: ١٤١] ، ولم تدخل الواو في المواضع التي لم تدخل فيها لأنه أريد بقوله: (يذبحون) ، وبقوله: (يقتلون) ، تبيينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم. وكذلك العملُ في كل جملة أريد تفصيلُها،فبغير الواو تفصيلها، وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فبالواو.(جامع البيان:ج١٦/٥٢٤).

لكنّ توجيه المتشابه اللفظي في كتب التفاسير لم يظهر بشكل أوسع إلا على يد الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري، رائد وإمام التفسير البياني وإعجاز القرآن، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته، ثم سار على نهجه القاضي البيضاوي في تفسيره (أنوار التنزيل و أسرار التأويل)، والآن نذكر أسماء بعض كتب المفسرين الذين يهتمون بتوجيه الآيات المتشابهة في تفاسيرهم، ويكثرون من ذلك، بحيث لا تجد آية متشابهة إلا وقد وقفوا عندها وبيّنوا التشابه و الاختلاف بينها، وذكروا سبب اختصاص كل مكان بما جاء به من زيادة أو نقص أو تقديم أو تأخير إلى غير ذلك، فمن هؤلاء المفسرين:-

١-محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره:" الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"(ت:٥٣٨هـ).

---

[1] الطبري،محمد بن جرير،١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م/جامع البيان في تأويل القرآن/مؤسسة الرسالة،ط١/ج٩،ص:٢٩٧.

٢-فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي في:"مفاتيح الغيب"(ت:٦٠٦هـ).

٣-القاضي البيضاوي عبد الله بن عمر في:"أنوار التنزيل و أسرار التأويل"(ت:٦٨٥هـ).

٤-أبي حيان محمد بن يوسف في:" البحر المحيط"(ت:٧٥٣هـ).

٥-أبو السعود محمد بن محمد العمادي في:"إرشاد العقل السليم"(ت:٩٨٢هـ).

٦-محمود بن عبد الله شهاب الدين الآلوسي في:"روح المعاني"(ت:١٢٧١هـ).

٧-أبو محمد عبد الله بن فودي الصكتي النيجيري في تفسيره:"ضياء التأويل في معاني التنزيل"(ت:١٢٣٥هـ).

٨-أبو القاسم، محمد بن أحمد ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) في تفسيره:" التسهيل لعلوم التنزيل".

المرحلة الثالثة:-

التدوين المستقل لتوجيه المتشابه اللفظي في مؤلفات مفردة خاصة

توجيه المتشابه اللفظي هو لون من التفسير، لم يتعرض له أكثر المفسرين، وأول من أفرد كتابا مستقلا في توجيه المتشابه اللفظي، وأخرجه من كتب التفاسير هو الإمام الخطيب الإسكافي، رائد هذا العلم ومؤسسه، وأول من التفت إليه، ورسم خطوطه، ووضع فيه أول كتاب، سمّاه:"درّة التنزيل وغرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز" وحذا حذوه الكرماني في:"البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجّة والبيان" وابن الزبير الغرناطي في:"ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه الكتاب العزيز".

فهؤلاء الثلاثة هم روّاد التفسير التوجيهي للآيات المتشابهة في القرآن الكريم، وكل من صنّف بعدهم فهو يقتبس من نورهم ومستضيء بنورهم وواطئٌ مواضع أقدامهم، ومن غير هؤلاء، هناك من العلماء من ألف في توجيه المتشابه اللفظي قديما وحديثا ومنهم:-

١-بدر الدين أبو عبد الله بن جماعة (ت:٧٣٣هـ) في:"كشف المعاني في متشابه من المثاني".

٢-جلال الدين السيوطي(ت:٩١١هـ) في:"قطف الأزهار في كشف الأسرار".

٣-شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت:٩٢٦هـ) "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن" و يمكن وضع هذا الكتاب في المرحلة الرابعة لإدخاله فيه أسئلة القرآن ومتشابه المعاني.

٤-الدكتور فاضل السامرّائي وله كتب كثيرة في توجيه المتشابه اللفظي منها:-

-التعبير القرآني.

-معاني النحو.

-أسئلة بيانية في القرآن الكريم.

-لمسات بيانية من نصوص التنزيل.

-بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

-على طريق التفسير البياني.

٥-ياسين المجيد في كتابه:"المبنى و المعنى في الآيات المتشابهات.

٦-محمود القاضي في "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم-رؤية في التفسير من خلال اللغة و السياق".[١]

٧- الدكتور منير محمود المسيري في:"دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم" دراسة تحليلية.

٨-الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطيّار في:"الآيات المتشابهات التشابه اللفظي حكم وأسرار فوائد وأحكام. وهو كتاب نفيس جدّاً.

المرحلة الرابعة:-

المؤلفات المشتملة على مباحث في المتشابه اللفظي وتوجيهه

هناك كتب في علوم القرآن تناولت موضع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم و توجيهه في أبواب و فصول، فمن هؤلاء:-

---

[١] انظر: الجبالي محمد رجائي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى و المحدثين/ص:٧٦-٨١،٧٨-٩١.

١-الإمام بدر الدين الزركشي في:"البرهان في علوم القرآن" تحدث عن المتشابه اللفظي و وجّه بعض الآيات فيه في هذه الأنواع:-

-النوع الثالث (٣).

-النوع الخامس (٥).

-النوع الخامس و الثلاثون (٣٥).

-النوع السادس و الأربعون (٤٦).[1]

٢-الفيروزآبادي في:"بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز".

٣-ابن الجوزي في:"فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" و في:"المدهش في الوعظ".

٤-الإمام السيوطي في كتبه:"الإتقان في علوم القرآن" و:"معترك الأقران في إعجاز القرآن" و في :"التحبير في علوم التفسير" تحدث عن المتشابه اللفظي و وجّه بعض الآيات فيه في هذه الأنواع:-

-النوع الثاني و الأربعون(٤٢).

-النوع الرابع و الأربعون(٤٤).

-النوع الثامن و الأربعون(٤٨).

-النوع السادس و الخمسون(٥٦).

-النوع التاسع و الخمسون(٥٩).

-النوع الثالث و الستّون(٦٣).[2]

٥-الشيخ محمد نور أحمد أبو الخير ميرداد في:"إرشاد الرحمن في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن.

٢-الزركشي،محمد بن عبد الله،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م/البرهان في علوم القرآن/دارالحديث،القاهرة،مصر، ص:٧٥٩،٦٤٤،٦٣٥،٦٣٣،٣٥٧،٨٧،٥٠.

[2] السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال،٢٠٠٦م/ الإتقان في علوم القرآن/ دار الغد الجديد ط١،القاهرة، مصر/ج٢،٢٣٨،و:ج٣،٣٠ و:ج٣،٦٧ و:ج٣،١٦٣، و:ج٣،٢٤٨، و:ج٣،٢٧٦.

وسوف نفصل الحديث عمّا احتواه كتاب الزركشي:"البرهان" وكتاب السيوطي:"الإتقان" في المبحث الرابع من مباحث علوم القرآن المتعلقة بموضوع المتشابه اللفظي إن شاء الله.

المرحلة الخامسة:–

نظم الآيات المتشابهة وشرحها في مؤلفات مفردة

لم يزل النظم هو النهج الأمثل لتقريب مبادئ العلوم وقواعدها، وتلخيص المطوّلات، و تقييد الشوارد، لسهولة حفظ المنظوم بخلاف المنثور، والنظم العلمي– الشعر التعليمي– نشأ تقريبا في القرن الثاني الهجري، حيث قام فريق من العلماء والشعراء بنظم العلوم والمعارف والسير، والقصص والأخبار، بقصد تيسير حفظها، وتذليل مباحثها، وتقريب معانيها إلى الطلاب والدارسين، ويتصف الشعر التعليمي بالإيجاز والاختصار، ويعدّ البحر:"الرجز"– وبالأخص المزدوج منه– هو الأكثر رواجا لجميع المنظومات العلمية، وقد شمل النظم العلمي كلّ العلوم و المعارف وموضوعاتها كالتفسير، والعقيدة، والقراءات، والنحو، واللغة، والفقه، والفرائض، والتاريخ، وغيرها من العلوم.

وقد حظي علم المتشابه اللفظي كغيره من العلوم والفنون بمنظومات عدّة جمعت طائفة من الآيات المتشابهات التي هي مظنّة خطأ الحفاظ، ولعلّ من أوائل ما وصلنا من منظومات المتشابهات، هي منظومات الإمام السخاوي علي بن محمد الهمداني المتوفى سنة:(٦٤٣هـ) وهي أشهر المنظومات في هذا الباب و بلغت أبياتها:(٤٣١) بيتا، وفي بعض النسخ:(٤٢٥) وقد عرض لها عدد كبير من الباحثين والعلماء بالشرح والتحقيق من شروحها:

١–فتح الكريم الوهاب شرح هداية المرتاب للقوصوني علب بن خليل البستاني.

٢–التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية، للشيخين محمد سالم محيسن و شعبان محمد إسماعيل.

٣–كشف الحجاب شرح هداية المرتاب للقارئ الشيخ محمد نجيب خياطة (ت:١٣٨٧هـ).

٤-توضيح منظومة السخاوي في المتشابه، لشهاب الدين أحمد بن أحمد بن بدر الطيبي (ت:٩٧٩هـ).

٥-الحواشي على هداية المرتاب، لمحمد بن سعيد باقشير المتوفى:(ت:١٠٧٧هـ).

٦-الحاوي بشرح منظومة السخاوي، لعبد الله بن الشريف المصري.

٧-شرح لأحمد بن عبد الله المكي الفقيه.[1]

وتلت منظومة الإمام السخاوي منظومات أخرى متممة لها أو مستقلة بنفسها ومنها:

٢-منظومة:"تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن" لأبي شامة المقدسي (ت:٦٦٥هـ)، أشار إليها عبد القيوم السندي في بحثه:"منظومتان في المتشابه القرآن" قائلا: لما كانت منظومة السخاوي عملا أوّليا في هذا الباب فمن ثم لم تكن مستوعبة لجميع المتشابهات، و لذلك نرى تلميذه أبا شامة المقدسي يحاول لمّ شملها وإكمال ما تبقى من المتشابهات بمنظومته:" تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن".

٣-منظومة:"كفاية القارئ في مشتبهات القرآن الكريم" لمحمد هاشم الحارثي السندي (ت:١١٧٤هـ)، ووصفها عبد القيوم السندي بأنها: أوسع المنظومات في المتشابه اللفظي حيث أنّها تشتمل على ألف وثمانية بيت.

٤-منظومة الدمياطي في متشابه الآي و الألفاظ، للشيخ محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي (ت:١٢٨٧هـ).

٥-منظومة الغلاوي عبد الله بن أحمد بن مصطفى التكروري.

٦-منظومة الدنفاسي.

٧-رجز القرآن لحسن الماحي قدورة.

٨-معدودات القرآن، و هو جزء من:"البحر المحيط" لمحمد بن أنبوجا التشيني من علماء القرن الهادي عشر الهجري.

---

[1] انظر:الميار،محمد طلحة/إعانة الحفاظ/ص:٢١٧-٢١٨.

٩-منظومة متشابهات القرآن، للشيخ القارئ يحي بن عبد الرزاق الغوثاني أحد المعاصرين.[1]

هذا وقد سلك الناظمون للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم طرائق متنوعة، يمكن تلخيصها في ثلاثة طرق:

١-**الطريقة الأولى**: وهي النظر إلى أوائل حروف الألفاظ المتشابهة ثم تبويبها هجائيا، فيذكرون اللفظ المتشابه مرتبين له على حسب الحرف الأول منه، فمثلاً قوله تعالى في البقرة:"أبى و استكبر" يجعلونه في حرف الهمزة، وهذه الطريقة سلكها السخاوي أوّلاً، وتبعه عليها الغلاوي و الدمياطي.

٢-**الطريقة الثانية**: وهي طريقة ابن أنبوجا، وهي النظر في عدد تكرار الألفاظ، ثم عقد أبواب عددية من الواحد إلى الثلاثين فأكثر، وإدخال الألفاظ المتكررة فيها بحسب الباب الموافق لعددها، وترتب الألفاظ في هذه الأبواب؛ إما على ترتيبها في القرآن، أو على حرف المعجم، ويمكن أن تعدّ منظومة الدنفاسي ورجز القرآن ضمن هذه الطريقة، و إن كان ناظماهما لم يرتبا الألفاظ على الأبواب العددية، لكنّ مقصودهما العدّ.

٣-**الطريقة الثالثة**: طريقة التلخيص السوري بذكر متشابهات كلّ سورة على حدة، وهذه الطريقة انتهجها ابن أنبوجا في:"متشابه القرآن".[2]

المبحث الرابع:من مباحث علوم القرآن وأنواعه المتعلقة بموضوع المتشابه اللفظي

لقد تتبعت بعض كتب علوم القرآن فوجدتها تشتمل على عدد كثير من المتشابه اللفظي و توجيهه، في فصول ومباحث وأنواع كثيرة، فلنأخذ على سبيل المثال كتاب:" البرهان في علوم القرآن" للزركشي، فإنّه وإن لم يكن موضوع كتابه"علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"؛ إلا أنّه قد تحدّث عنه في أنواع وفصول ومباحث كثيرة، و قد عثرت على أمثلة كثيرة لتوجيه الآيات المتشابهة في كتاب البرهان، في هذه الأنواع والمباحث:-

---

[1] انظر:الميار، محمد طلحة/إعانة الحفاظ/ص:٣٣٠-٣٣١. و:جبالي،محمد رجائي/توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى و المعاصرين/ص:٧٩-٨٠.

[2] انظر:الميار،محمد طلحة/ إعانة الحفاظ/ص:٣٣١-٣٣٢.

١-النوع الثالث (٣): معرفة الفواصل و رؤوس الآي.

٢-النوع الخامس (٥):علم المتشابه.

٣-النوع الخامس والثلاثون (٣٥):معرفة موهم المختلف.

٤-النوع السادس والأربعون (٤٦): في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة، وذكر تحت أسلوب التكرار أو التأكيد، وأسلوب الحذف، وأسلوب التقديم والتأخير، وأسلوب تذكير المؤنث وتأنيث المذكر، أمثلة في موضوع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه.[١]

أما الإمام السيوطي الذي أخذ معظم كتابه المسمى بـ:"الإتقان في علوم القرآن " من كتاب الزركشي:"البرهان في علوم القرآن"، فقد وجدت أمثلة توجيه المتشابه اللفظي عنده في ستة أنواع من أنواع علوم القرآن وهي:-

١-النوع الثاني والأربعون(٤٢).

٢-النوع الرابع والأربعون(٤٤) في قواعد مهمّة يحتاج المفسر إلى معرفتها.

٣-النوع الثامن والأربعون(٤٨) في مشكله و موهم الاختلاف و التناقض.

٤-النوع السادس والخمسون(٥٦) في الإيجاز و الإطناب .

٥-النوع التاسع والخمسون(٥٩) في فواصل الآي.

٦-النوع الثالث والستّون(٦٣) في الآيات المشتبهات.[٢]

بما أنّنا وجدنا أمثلة الإمام السيوطي توافق أمثلة الزركشي في معظمها، لأنّ السيوطي أخذ من الزركشي، فسنكتفي بذكر بعض الأمثلة في كل نوع عند الزركشي فنقول:

النوع الثالث (٣): معرفة الفواصل و رؤوس الآي:-

---

[١] الزركشي،محمد بن عبد الله،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م/ البرهان في علوم القرآن/دار الحديث،القاهرة، مصر، ص:٧٥٩،٦٤٤،٦٣٥،٦٣٣،٣٥٧،٨٧،٥٠.

[٢] السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال،٢٠٠٦م/ الإتقان في علوم القرآن/ دار الغد الجديد ط١،القاهرة، مصر/ج٢،٢٣٨،و:ج٣،٣٠ و:ج٣،٦٧ و:ج٣،١٦٣، و:ج٣،٢٤٨، و:ج٣،٢٧٦.

لقد ذكر الزركشي تحت هذا النوع أمثلة للمتشابه اللفظي و وجّهها، يقول الزركشي:" مِنْ بَدِيعِ هَذَا النَّوْعِ اخْتِلَافُ الْفَاصِلَتَيْنِ فِي مَوْضِعَيْنِ وَالْمُحَدَّثُ عَنْهُ وَاحِدٌ، لِنُكْتَةٍ لَطِيفَةٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ:﴿وَإِنْ تعدوا نعمت اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ(٣٤)﴾ ثُمَّ قَالَ فِي سُورَةِ النَّحْلِ:﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(١٨)﴾ فذكر توجيه القاضي ناصر الدين بن المنير فقال:"قَالَ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ الْمُنِيرِ فِي تَفْسِيرِهِ الْكَبِيرِ كَأَنَّهُ يَقُولُ إِذَا حَصَلَتِ النِّعَمُ الْكَثِيرَةُ فَأَنْتَ آخِذُهَا وَأَنَا مُعْطِيهَا فَحَصَلَ لَكَ عِنْدَ أَخْذِهَا وَصْفَانِ كَوْنُكَ ظَلُومًا وَكَوْنُكَ كَفَّارًا وَلِي عِنْدَ إِعْطَائِهَا وَصْفَانِ وَهُمَا أَنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ أُقَابِلُ ظُلْمَكَ بِغُفْرَانِي وَكُفْرَكَ بِرَحْمَتِي فَلَا أُقَابِلُ تَقْصِيرَكَ إِلَّا بِالتَّوْفِيرِ وَلَا أُجَازِي جَفَاءَكَ إِلَّا بِالْوَفَاءِ انْتَهَى".

ثم علّق على كلامه فقال:" وَهُوَ حَسَنٌ لَكِنْ بَقِيَ سُؤَالٌ آخَرُ وَهُوَ مَا الْحِكْمَةُ فِي تخصيص آية النحل بوصف المنعم وَآيَةِ إِبْرَاهِيمَ بِوَصْفِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ؟ وَالْجَوَابُ أَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ فِي وَصْفِ الْإِنْسَانِ وَمَا جُبِلَ عَلَيْهِ؛ فَنَاسَبَ ذِكْرُ ذَلِكَ عُقَيْبَ أَوْصَافِهِ، وَأَمَّا آيَةُ النَّحْلِ فَسِيقَتْ فِي وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِثْبَاتِ أُلُوهِيَّتِهِ وَتَحْقِيقِ صِفَاتِهِ فَنَاسَبَ ذِكْرَ وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ، فَتَأَمَّلْ هَذِهِ التَّرَاكِيبَ مَا أَرْقَاهَا فِي دَرَجَةِ الْبَلَاغَةِ! وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْجَاثِيَةِ:﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(١٥)﴾ وَفِي فُصِّلَتْ:﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ(٤٦)﴾ ثم ذكر توجيه الآيتين فقال:"وَحِكْمَةُ فَاصِلَةِ الْأُولَى أَنَّ قَبْلَهَا:﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يكسبون(١٤)﴾ فَنَاسَبَ الْخِتَامُ بِفَاصِلَةِ الْبَعْثِ لِأَنَّ قَبْلَهُ وَصَفَهُمْ بِإِنْكَارِهِ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَالْخِتَامُ بِهَا مُنَاسِبٌ أَيْ لِأَنَّهُ لَا يُضَيِّعُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يَزِيدُ عَلَى مَنْ عَمِلَ شَيْئًا وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يشاء﴾ خَتَمَ الْآيَةَ مَرَّةً بِقَوْلِهِ:﴿فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عظيما(٤٨)﴾ ومرة بقوله: {ضلالا بعيدا} لِأَنَّ الْأَوَّلَ نَزَلَ فِي الْيَهُودِ وَهُمُ الَّذِينَ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِهِ وَالثَّانِي نَزَلَ فِي الْكُفَّارِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كتاب وكان ضلاهم أَشَدَّ.

وَقَوْلُهُ فِي الْمَائِدَةِ:﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أنزل الله(٤٤)﴾ ذكرها ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَخَتَمَ الْأُولَى بِالْكَافِرِينَ، وَالثَّانِيَةَ بِالظَّالِمِينَ، وَالثَّالِثَةَ بِالْفَاسِقِينَ، فَقِيلَ لِأَنَّ الْأُولَى نَزَلَتْ فِي أَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَالثَّانِيَةَ نَزَلَتْ فِي أَحْكَامِ الْيَهُودِ، وَالثَّالِثَةَ نَزَلَتْ فِي أَحْكَامِ النَّصَارَى.[١]

النوع الخامس (٥):علم المتشابه:–

تحدّث الزركشي في هذا النوع عن علم المتشابه اللفظي وتوجيهه فبدأ بذكر المصنفات فيه، ثم ذكر تعريفه وحكمته والغرض منه، ثم قسّمه إلى فصول:الفصل الأول:المتشابه باعتبار الأفراد، وقسّمه إلى ثمانية أنواع، ثم الفصل الثاني: ما جاء على حرفين، ثم الفصل الثالث:ما جاء على ثلاثة أحرف، ثم الفصل الرابع:ما جاء على أربعة أحرف، وهكذا حتى أوصلها إلى الفصل الخامس عشر:ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفا، وهو في كل ذلك يذكر توجيه بعض الآيات، وقد سار على نظام الإمام الكسائي في اعتبار عدد حروف الحرف المتشابه.[٢]

النوع الخامس والثلاثون (٣٥):معرفة موهم المختلف:–

وعرّفه الزركشي بقوله:" وَهُوَ مَا يُوهِمُ التَّعَارُضَ بَيْنَ آيَاتِهِ وَكَلَامُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الِاخْتِلَافِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ وَلَكِنْ قَدْ يَقَعُ لِلْمُبْتَدِئِ مَا يُوهِمُ اخْتِلَافًا وَلَيْسَ بِهِ فَاحْتِيجَ لِإِزَالَتِهِ. ثم بدأ بذكر أمثلته، فلاحظت أنّ بعضها هي أمثلة للمتشابه اللفظي، فمنها:–

ذكر الزركشي أسباب الاختلاف بين الآيات المتشابهة، أو الموهمة للاختلاف، فذكر السبب الأول:–

١– وَلِلِاخْتِلَافِ أَسْبَابٌ:

الْأَوَّلُ:وُقُوعُ الْمُخْبَرِ بِهِ عَلَى أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَتَطْوِيرَاتٍ شَتَّى؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي خلق آدم إنه:{من تراب}(آل عمران:٥٩)ومرة{من حمأ مسنون}(الحجر:٢٦)ومرة{من طين

---

[١] الزركشي، بدر الدين، محمد بن بهادر ابن عبد الله، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م/ البرهان في علوم القرآن/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،ط١/ج١،ص:٨٦–٨٧.

[٢] المرجع السابق/ج١،ص:١١٢–١٥٤.

لازب}(الصافات:١١) ومرة{من صلصال كالفخار}(الرحمن:١٤) وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ مُخْتَلِفَةٌ وَمَعَانِيهَا فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ لِأَنَّ الصَّلْصَالَ غَيْرُ الْحَمَإِ، وَالْحَمَأَ غَيْرُ التُّرَابِ، إِلَّا أَنَّ مَرْجِعَهَا كُلِّهَا إِلَى جَوْهَرٍ، وَهُوَ التُّرَابُ، وَمِنَ التُّرَابِ تَدَرَّجَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ، وَمِنْهُ قوله تعالى:{فإذا هي ثعبان مبين} وفي موضع {تهتز كأنها جان} وَالْجَانُّ:الصَّغِيرُ مِنَ الْحَيَّاتِ، وَالثُّعْبَانُ الْكَبِيرُ مِنْهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ خَلْقَهَا خَلْقُ الثُّعْبَانِ الْعَظِيمِ، وَاهْتِزَازَهَا وَحَرَكَاتِهَا وَخِفَّتَهَا كَاهْتِزَازِ الْجَانِّ وَخِفَّتِهِ.

٢- الْخَامِسُ:بِوَجْهَيْنِ وَاعْتِبَارَيْنِ وَهُوَ الْجَامِعُ لِلْمُفْتَرَقَاتِ،(وذكر أمثلة من الآيات، وهي داخلة في المتشابه اللفظي) منها:

١-كَقَوْلِهِ:{خَمْسِينَ ألف سنة}(المعارج:٤) وفي موضع{ألف سنة}وَأُجِيبَ بِأَنَّهُ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ بِدَلِيلِ:{وكان يوما على الكافرين عسيرا}(الفرقان:٢٦).

٢- وكقوله: {بألف من الملائكة مردفين}(الأنفال:٩) وفي آية أخرى: {ثلاثة آلاف من الملائكة منزلين}(آل عمران:١٢٤) قِيلَ:إِنَّ الْأَلْفَ أَرْدَفَهُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ، وَكَانَ الْأَكْثَرُ مَدَدًا لِلْأَقَلِّ، وَكَانَ الْأَلْفُ مُرْدَفِينَ بِفَتْحِهَا.

٣- وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:فِي السَّجْدَةِ:﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠)﴾(السجدة) بِلَفْظِ الَّذِي عَلَى وَصْفِ الْعَذَابِ وَفِي سَبَأٍ:﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)﴾(السبأ) بِلَفْظِ الَّتِي عَلَى وَصْفِ النَّارِ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا:أَنَّهُ وَصَفَ الْعَذَابَ فِي السَّجْدَةِ لِوُقُوعِ النَّارِ مَوْقِعَ الضَّمِيرِ الَّذِي لَا يُوصَفُ، وَإِنَّمَا وَقَعَتْ مَوْقِعَ الضَّمِيرِ لِتَقَدُّمِ إِضْمَارِهَا مَعَ قَوْلِهِ:﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا(٢٠)﴾(السبأ) فَحَقُّ الْكَلَامِ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَهَا فَلَمَّا وَضَعَهَا مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْوَصْفَ، عدل إلى وصف العذاب، وأما فِي سَبَأٍ فَوَصَفَهَا لِعَدَمِ الْمَانِعِ مِنْ وَصْفِهَا، **وَالثَّانِي**: أَنَّ الَّذِي فِي السَّجْدَةِ وَصْفُ النَّارِ أَيْضًا، وَذُكِّرَ حَمْلًا عَلَى مَعْنَى الْجَحِيمِ وَالْحَرِيقِ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الَّذِي فِي السَّجْدَةِ فِي حَقِّ مَنْ يُقِرُّ بِالنَّارِ وَيَجْحَدُ الْعَذَابَ وَفِي سَبَأٍ فِي حَقِّ مَنْ يَجْحَدُ أَصْلَ النَّارِ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ إِنَّمَا وَصَفَ الْعَذَابَ فِي السَّجْدَةِ لِأَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ النَّارِ مُضْمَرًا وَمُظْهَرًا عَدَلَ إِلَى وَصْفِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ تَلْوِينًا لِلْخِطَابِ فَيَكُونَ أَنْشَطَ لِلسَّامِعِ بِمَنْزِلَةِ الْعُدُولِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الخطاب.

٤- وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى في البقرة:﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وفي سورة التحريم:﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ(٦)﴾ بِالتَّنْكِيرِ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ آيَةِ الْبَقَرَةِ فَلَمْ تَكُنِ النَّارُ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ مَعْرُوفَةً؛ فَنَكَّرَهَا، ثُمَّ نَزَلَتْ آيَةُ الْبَقَرَةِ بِالْمَدِينَةِ مُشَارًا بِهَا إِلَى مَا عَرَفُوهُ أَوَّلًا.[1]

النوع السادس والأربعون:في أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ وَفُنُونِهِ الْبَلِيغَةِ

ذكر الزركشي تحت هذا النوع أمثلة من الآيات المتشابهات في أساليب مختلفة من أساليب القرآن منها:

١-أسلوب: التكرار أو التأكيد.

٢-أسلوب: الحذف.

٣-أسلوب:التقديم و التأخير.

أسلوب: التكرار أو التأكيد

ومن أمثلة آيات المتشابهة تحت هذا الأسلوب يقول الزركشي:

١-وَمِنْهُ تَكْرِيرُ الْأَمْرِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ سورة البقرة، لأنّ الْمُنْكِرِينَ لِتَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ كَانُوا ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ :الْيَهُودُ لِأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِالنَّسْخِ فِي أَصْلِ مَذْهَبِهِمْ وَأَهْلُ النِّفَاقِ:أَشَدُّ إِنْكَارًا لَهُ، لأنه كان أول نسخ نزل، وكفار قُرَيْشٍ:قَالُوا نَدِمَ مُحَمَّدٌ عَلَى فِرَاقِ دِينِنَا

[1] المرجع السابق:ج٢،ص:٦١-٦٤.

فيرجع إليه كما رجع إلى قبلتنا، وكانوا قَبْلَ ذَلِكَ يَحْتَجُّونَ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَدْعُونَا إِلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَقَدْ فَارَقَ قِبْلَتَهُمَا، وَآثَرَ عَلَيْهَا قِبْلَةَ الْيَهُودِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِينَ أَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ إِلَى الْكَعْبَةِ:﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظلموا منهم(١٥٠)﴾(البقرة) وَالِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ، أَيْ لَكِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ وَلَا يَهْتَدُونَ. وَقَالَ سُبْحَانَهُ:﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(البقرة:١٤٧) أَيْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا فَلَا تَمْتَرِ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ تَعَالَى:﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يعلمون﴾، أَيْ يَكْتُمُونَ مَا عَلِمُوا أَنَّ الْكَعْبَةَ هِيَ قِبْلَةُ الْأَنْبِيَاءِ.

٢- وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سورة الصافات:﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حين(١٧٤) وأبصرهم فسوف يبصرون(١٧٥)﴾ مع قوله بعدها:﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)﴾ قال الزركشي بعد ذكر الآية الأولى:"وَقَالَ صَاحِبُ [الْيَنْبُوعِ] :لَمْ يَبْلُغْنِي عَنِ الْمُفَسِّرِينَ فيه شيء، وَقَالَ الْمُفَسِّرُونَ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ:هُمَا فِي الْمَعْنَى كَالْآيَتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ، فَكَرَّرَ لِلتَّأْكِيدِ وَتَشْدِيدِ الْوَعِيدِ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ[الْحِينُ] فِي الْأَوَّلِيَّيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَ [الْحِينُ] فِي هَاتَيْنِ يَوْمَ فَتْحِ مكة.

ومن فوائد قوله تعال في الأوليين:{وأبصرهم} وفي هاتين{وأبصر} أَنَّ الْأُولَى بِنُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ قَتْلًا وَأَسْرًا وَهَزِيمَةً وَرُعْبًا، فَمَا تَضَمَّنَتِ التَّشَفِّيَ بهم قيل له:{وأبصرهم}،وَأَمَّا يَوْمُ الْفَتْحِ فَإِنَّهُ اقْتَرَنَ بِالظُّهُورِ عَلَيْهِمُ الْإِنْعَامُ بِتَأْمِينِهِمْ وَالْهِدَايَةُ إِلَى إِيمَانِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ وَفْقًا لِلتَّشَفِّي بِهِمْ بَلْ كَانَ فِي اسْتِسْلَامِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ لِعَيْنِهِ قُرَّةً وَلِقَلْبِهِ مَسَرَّةً فَقِيلَ لَهُ: {أَبْصِرْ}.[١]

أسلوب:الحذف

تحدث الزركشي عن الحذف، فعرّفه لغة واصطلاحا، وفرّق بينه وبين الإضمار، ثم ذكر أنّه نوع من أنواع المجاز على المشهور، وأنّه خلاف الأصل،ثم ذكر فوائده، وأسبابه، وأدلّته،

[١] المرجع السابق:٦٣٥-٦٣٦.

وشروطه، وأقسامه، ثمّ عقد فصلا لما نحن بصدده فقال:(**فصل فيما حذف في آية وأثبت في أخرى**) ثم شرع في بيانه فقال:

مِنَ الْأَنْوَاعِ مَا حُذِفَ فِي آيَةٍ وَأُثْبِتَ فِي أُخْرَى وَهُوَ قِسْمَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ ما حذف منه محمولا على المذكور كالمطلق في الرقبة في كفارة الظهار، مُقَيَّدًا بِالْمُؤْمِنَةِ فِي كَفَّارَةِ الْقَتْلِ، وَكَقَوْلِهِ:﴿وَجَنَّةٍ عرضها السماوات والأرض(١٣٣)﴾(آل عمران)، قُيِّدَتْ بِالتَّشْبِيهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي:لَا يَكُونُ مُرَادًا. فَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ:﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كثيرة ومنها تأكلون(١٩)﴾(المؤمنون) وَفِي الزُّخْرُفِ:﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تأكلون(٧٣)﴾(الزخرف).

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ(١٩٣)﴾(الأعراف) فَأَثْبَتَ الْوَاوَ فِي الْأَعْرَافِ وَحَذَفَهَا فِي الْكَهْفِ فقال: {وإن تدعهم إلى الهدى} وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الَّذِي فِي الْأَعْرَافِ خِطَابٌ لجمع وأصله تدعونهم، حذفت لِلْجَزْمِ، وَالَّتِي فِي الْكَهْفِ خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ وَاحِدٌ، وَعَلَامَةُ الْجَزْمِ فِيهِ سُقُوطُ الْوَاوِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي قِصَّةِ ثَمُودَ:﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بشر مثلنا(١٥٤)﴾(الشعراء) وفي قصة شعيب:{وما أنت} بِالْوَاوِ، وَالْفَرْقُ أَنَّ الْأُولَى جَرَى عَلَى انْقِطَاعِ الكلام عند النحويين واستئناف{وما أنت} فَاسْتَغْنَى عَنِ الْوَاوِ لِمَا تَقَرَّرَ مِنَ الِابْتِدَاءِ، وَفِي الثَّانِيَةِ جَرَى فِي الْعَطْفِ وَأَنْ يَكُونَ قوله:{وما أنت} معطوفا على {إنما أنت}، وذكر أمثلة كثيرة للمتشابه اللفظي في باب الحذف والذكر.

أسلوب: التقديم و التأخير

يقول الزركشي عن هذا الأسلوب:

" هُوَ أَحَدُ أَسَالِيبِ الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهُمْ أَتَوْا بِهِ دَلَالَةً عَلَى تَمَكُّنِهِمْ فِي الْفَصَاحَةِ وَمَلَكَتِهِمْ فِي الْكَلَامِ وَانْقِيَادِهِ لَهُمْ وَلَهُ فِي الْقُلُوبِ أَحْسَنُ مَوْقِعٍ وَأَعْذَبُ مَذَاقٍ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي عَدِّهِ مِنَ الْمَجَازِ فَمِنْهُمْ مَنْ عَدَّهُ مِنْهُ لِأَنَّهُ تَقْدِيمُ مَا رُتْبَتُهُ التَّأْخِيرُ كَالْمَفْعُولِ وَتَأْخِيرُ مَا رُتْبَتُهُ التَّقْدِيمُ كَالْفَاعِلِ نُقِلَ كُلُّ

وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنْ رُتْبَتِهِ وَحَقِّهِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَجَازَ نَقْلُ مَا وُضِعَ لَهُ إِلَى مَا لَمْ يُوضَعْ".

ثم تحدث عنه في فصول منها: أسبابه، وأنواعه، وذكر من أنواعه:

(النوع الثالث: ما قدّم في آية وأخّر في أخرى) فقال:

١-وَقَوْلُهُ فِي سُورَةِ يس:﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى(٢٠)﴾ قَدَّمَ الْمَجْرُورَ عَلَى الْمَرْفُوعِ لِاشْتِمَالِ مَا قَبْلَهُ مِنْ سُوءِ مُعَامَلَةِ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ الرُّسُلَ، وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ، فَكَانَ مَظِنَّةُ التَّتَابُعِ عَلَى مَجْرَى الْعِبَارَةِ تِلْكَ الْقَرْيَةَ، وَيَبْقَى مُخَيَّلًا فِي فِكْرِهِ أكانت كلها كذلك أم كان فيها.. عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، بِخِلَافِ مَا فِي سُورَةِ الْقَصَصِ.

٢-وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ النَّمْلِ:﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قبل(٦٨)﴾، وَفِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قبل(٨٣)﴾ ، فإنّ ما قبل الأولى {أإذا كنا ترابا وآباؤنا} وما قبل الثانية{أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما}، فَالْجِهَةُ الْمَنْظُورُ فِيهَا هُنَاكَ كَوْنُ أَنْفُسِهِمْ وَآبَائِهِمْ تُرَابًا، وَالْجِهَةُ الْمَنْظُورُ فِيهَا هُنَا كَوْنُهُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا، وَلَا شُبْهَةَ أَنَّ الْأُولَى أَدْخَلُ عِنْدَهُمْ فِي تَبْعِيدِ الْبَعْثِ.

٣-وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ:﴿وَقَالَ الْمَلَأُ من قومه الذين كفروا (٣٣)﴾، فَقُدِّمِ الْمَجْرُورُ عَلَى الْوَصْفِ لِأَنَّهُ لَوْ أَخْبَرَ عَنْهُ - وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ تَمَامَ الْوَصْفِ بِتَمَامِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ الْمَوْصُوفُ وَتَمَامُهُ {وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الحياة الدنيا} - لَاحْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا وَاشْتَبَهَ الْأَمْرُ فِي الْقَائِلِينَ أَهُمْ مِنْ قَوْمِهِ أَمْ لَا؟ بِخِلَافِ قَوْلِهِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهَا:{فقال الملأ الذين كفروا من قومه}(هود:٢٧) فَإِنَّهُ جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ.

٤-وَمِنْهَا قَوْلُهُ:﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نحن نرزقكم وإياهم(١٥١)﴾(الأنعام)، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ:﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ (٣١)﴾ قَدَّمَ الْمُخَاطَبِينَ فِي الْأُولَى دُونَ الثَّانِيَةِ؛ لِأَنَّ الْخِطَابَ فِي الْأُولَى فِي الْفُقَرَاءِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: {من إملاق} فَكَانَ رِزْقُهُمْ عِنْدَهُمْ أَهَمَّ مِنْ رِزْقِ أَوْلَادِهِمْ، فَقَدَّمَ الْوَعْدَ بِرِزْقِهِمْ عَلَى الْوَعْدِ بِرِزْقِ أَوْلَادِهِمْ، والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل: {خشية إملاق} فَإِنَّ

الْخَشْيَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِمَّا لَمْ يَقَعْ، فَكَانَ رِزْقُ أَوْلَادِهِمْ هُوَ الْمَطْلُوبَ دُونَ رِزْقِهِمْ؛ لِأَنَّهُ حَاصِلٌ، فَكَانَ أَهَمَّ، فَقَدَّمَ الْوَعْدَ بِرِزْقِ أَوْلَادِهِمْ عَلَى الْوَعْدِ بِرِزْقِهِمْ.[1]

الفصـــــــــل الثـــــــــــالـــــث:

منهج الزمخشري في توجيه المتشابه اللفظي

وفيه ثلاثة مباحث:

---

[1] المرجع السابق: ج٣،ص: ٢٨٤،٢٣٣-٢٨٥.

المبحث الأوّل:

التعريف بتفسير"الكشاف عن حقائق التأويل" ومنهجه.

المبحث الثاني:

مصادر الزمخشري في تفسير "الكشّاف".

المبحث الثالث:

الآيات التي انفرد الزمخشري بتوجيهها عن ابن فودي.

المبحث الأول:

التعريف بتفسير"الكشّاف عن حقائق التأويل"ومنهجه

أولا: التعريف بالمؤلف:-

لولا أنّ طبيعة البحث العلمي يستوجب علينا أن نمّر على التّعريف بمؤلف تفسير الكشّاف ولو بشكل موجز،لما تطرّقنا إلى هذا التعريف، لأنّ شهرة الزمخشري المستفيضة، وكثرة الكتب والبحوث السابقة التي ترجمت له، قد تغنيه عن التعريف، ولأنّ البحث ليس موضوعه الحديث عن

حياة الزمخشري وسيرته الذاتية، بل هو الحديث عن منهجه في توجيه الآيات المتشابهة من آيات القرآن، ولذا فإنّي سأترجم له ترجمة موجزة[١]:

١-**اسمه ونسبه:** هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي، أبو القاسم، جار الله، لقب بذلك لما جاور مكّة، وسكن بها زمانا.

٢-**مولده ونشأته**:ولد الزمخشري سنة:٤٦٧هـ، بقرية"زمخشر"، أقبل الزمخشري على علماء بلده يأخذ منهم، وقام برحلات علمية عديدة، فرحل إلى بخارى، وخراسان، وأصفهان، ومكة، سنة (٥٠٢هـ) واطمأنّت نفسه إلى الإقامة فيها، وأحبّ مجاورة بيت الله الحرام وألّف فيها تفسيره"الكشاف"، ومن أجل ذلك يقول:

أنا الجار جار الله مكة مركزي ×× ومضرب أوتادي ومعقد أَطنابي

٣-**شيوخه**:

١-ومن أكثر العلماء الذين أخذ عنهم وتأثّر بهم:الشيخ محمود بن جرير الضبي الأصفهاني(ت:٥٠٨هـ)، وكان عالما باللغة والنحو، وهو الذي أدخل على خوارزم مذهب الاعتزال حتى صارت مركزا من مراكز الاعتزال في تلك المنقطة.

٢- كان الزمخشري أعجوبة الدهر في علم البلاغة، ومعرفة أسرار الكلام العربي، شهد بذلك القاصي والداني، واعترف به خصومه ممن طعن فيه بسبب مذهبه الاعتزالي، كابن المنير في

---

[١] ولعلّ ما كتبه الدكتور أحمد الحوفي في كتابه (الزمخشري) والدكتور مصطفى الصاوي الجويني في كتابه:(منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه) والدكتور مرتضى آية الله زاده في كتابه:(الزمخشري لغويّا ومفسرا) والدكتور فاضل السّامرّائي في كتابه:(الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري) وغيرهم ممن درس حياة الزمخشري وتفسيره قبلنا، وأصحاب كتب التراجم الكثيرة عن حياة الزمخشري وسيرته الذاتية أكثر إحاطة، وأوفى في المقصود ممّا سنكتبه هنا؛ لهذا كلّه فضّلنا أن يكون مرورنا في هذا الموضع مرور الكرام، من دون إطالة على القارئين بعد أن أحيلت المراجع في هذا الموضع إليهم، فليرجعوا إليها إن شاؤوا.

انتصافه، وابن خلدون في مقدمته، يقول عنه أحمد ابن المنير:"فليت الزمخشري لم يتحدث في القرآن إلا من حيث البيان، فإنّه فيه أفرس الفرسان لا يجارى في ميدانه، ولا يمارى في بيانه".[١]

ويقول ابن خلدون وهو يتحدث عن قسم من أقسام التفاسير، هو معرفة اللغة والإعراب و البلاغة:"ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير، كتاب الكشاف للزمخشري، من أهل خوارزم العراق، إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد، فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة. فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه، مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة"[٢].

كان الزمخشري قويّا في مذهبه الاعتزالي، مفتخرا به، ولا يخاف فيه لومة لائم، وكان يقول للخادم إذا أتى باب أحد للزيارة قل:أبو القاسم المعتزلي بالباب، وكان حنفيا في مذهبه الفقهي، وقد أثنى عليه العلماء الذين ترجموا له، واتفقوا على تقدمه في العلم وتبوئه المكانة العليا فيه.

وتوفي الزمخشري بجرجانية خوارزم سنة:(٥٣٨هـ) بعد رجوعه من مكّة، بعد حياة حافلة بالنشاط والتأليف، وذكروا أنّ له نحو من خمسين مؤلفا في فنون مختلفة كالأدب واللغة والتفسير وغيرها، ومن أشهر مؤلفاته:

١-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وهو تفسيره المشهور، وسنتحدث عنه لاحقا.

٢-الفائق في غريب الحديث.

٣-أساس البلاغة.

٤-أعجب العجب في شرح لامية العرب.

٥-المفصل.

وغيرها من مؤلفاته الكثيرة المشهورة وأكثرها في اللغة العربية وعلومها.

---

[١] ابن المنير،أحمد،/الانتصاف بهامش الكشاف/١/٦٥٥.

[٢] ابن خلدون، عبد الرحمن/المقدمة/ص:٥٣٠.

ثانيا:التعريف بتفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل

١.قيمة تفسير الكشاف العلمية:

لا يسعني في الحديث عن قيمة تفسير الكشاف للزمخشري من بين كتب التفاسير، إلا أن أذكر ما قال الدكتور محمد حسين الذهبي ممّا نقله عن العلماء الأجلاء في ثنائهم على هذا التفسير القيّم، والمفسر البارع، يقول محمد حسين الذهبي:

"وأما قيمة هذا التفسير. فهو-بصرف النظر عما فيه من الاعتزال- تفسير لم يُسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير ما آية من القرآن، ولما ظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، وليس كالزمخشري مَن يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم. لاسيما ما برز فيه من الإلمام بلغة العرب. والمعرفة بأشعارهم. وما امتاز به من الإحاطة بعلوم البلاغة،والبيان والإعراب، والأدب، ولقد أضفى هذا النبوغ العلمي والأدبي على تفسير الكشاف ثوباً جميلاً، لفت إليه أنظار العلماء وعلق به قلوب المفسِّرين.

وقد أحس الزمخشري إحساساً قوياً بضرورة الإلمام بعلمي المعاني والبيان قبل كل شيء، لمن يريد أن يُفسِّر كتاب الله عَزَّ وجلَّ، وجهر بذلك في مقدمة الكشاف فقال:".. ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يُبهر الألباب القوارح، من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سبكها، علم التفسير، الذي لا يتم لتعاطيه، وإحالة النظر فيه لكل ذي علم– كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن– فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بَزَّ أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القِرِّية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللُّغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني، وعلم البيان...".

ولما علم الزمخشري أن كتابه قد تحلَّى بهذه الأوصاف قال متحدثاً بنعمة الله:

إن التفاسير فى الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعَمْري مثل كشافي

إن كنتَ تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي.

وإذا كان الزمخشري قد اعتزَّ بكشافه، وبلغ إعجابه به إلى حد جعله يقول فيه ما قال من تقريظ له، وإطراء عليه، فإنَّا نعذره في ذلك ولا نلومه عليه، فالكتاب واحدٌ في بابه، وعَلَمٌ شامخ فى نظر علماء التفسير وطُلابه، ولقد اعترف له خصومه بالبراعة وحسن الصناعة، وإن أخذوا عليه بعض المآخذ التي يرجع أغلبها إلى ما فيه من ناحية الاعتزال، وإليك مقالات بعض العلماء في الكشاف:

١.مقالة الشيخ حيدر الهروي:

كذلك نجد للشيخ حيدر الهروي – أحد الذين عَلَّقوا على الكشاف – وصفاً دقيقاً لكتاب الكشاف وهذا نصه:

" ... وبعد، فإن كتاب الكشاف، كتاب عَليُّ القدر، رفيع الشأن، لم يُرَ مثله في تصانيف الأوَّلين، ولم يرد شبيهه في تآليف الآخرين. اتفقت على متانة تراكيبه الرشيقة كلمة المهرة المتقنين، واجتمعن على محاسن أساليبه الأنيقة ألسنة كلمة المفلقين. ما قصَّرَ في قوانين التفسير وتهذيب براهينه، وتمهيد قواعده وتشييد معاقده،وكل كتاب بعده في التفسير، ولو فُرِض أنه لا يخلو عن النقير والقطمير، إذا قيس به لا تكون له تلك الطلاوة، ولا يُوجد فيه شيء من تلك الحلاوة، على أن مؤلفه يَقتفى أثره، ويَسأل خبره، وقلَّما غيَّر تركيباً من تراكيبه إلا وقع في الخطأ والخطل، وسقط من مزالق الخبط والزلل، ومع ذلك كله إذا فتّشت عن حقيقة الخبر، فلا عين منه ولا أثر، ولذلك قد تداولته أيدي النظّار، فاشتهر في الأقطار، كالشمس في وسط النهار، إلا أنه لإخطائه سلوك الطرق الأدبية، وإغفاله عن إجمال أرباب الكمال. أصابته عين الكلالة، فالتزم في كتابه أُموراً أذهبت رونقه وماءه، وأبطلت منظره ورواءه، فتكدرت مشاربه الصافية، وتضيَّقت موارده الضافية، وتزلزلت رتبه العالية،منها:

١–أنه كلما شرع في تفسير آية من الآي القرآنية، مضمونها لا يساعد هواه، ومدلولها لا يطاوع مشتهاه، صرفها عن ظاهرها بتكلفات باردة، وتعسفات جامدة، وصرف الآية – بلا نكتة بلاغية لغير الضرورة – عن الظاهر، وفيه تحريف لكلام الله سبحانه وتعالى، وليته يكتفي بقدر الضرورة، بل يبالغ في الإطناب والتكثير، لئلا يوهم بالعجز والتقصي، فتراه مشحوناً بالاعتزالات الظاهرة التي تتبادر إلى الأفهام، والخفية التي لا تتسارق إليها الأوهام، بل لا يهتدي إلى حبائله إلا ورَّاد بعد ورَّاد، من الأذكياء الحذَّاق، ولا ينتبه لمكائده إلا واحد من فضلاء الآفاق، وهذه آفة عظيمة ومصيبة جسيمة.

٢–ومنها: أنه يطعن في أولياء الله المرتضين من عباده، ويغفل عن هذا الصنيع لفرط عناده. ونِعْمَ ما قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ(٥٤)﴾(المائدة) . خاض صاحب الكشاف في هذا المقام في الطعن في أولياء الله تعالى، وكتب فيها ما لا يليق بعاقل أن يكتب مثله في كتب

الفحش، فهب أنه اجترأ على الطعن في أولياء الله تعالى، فكيف اجتراؤه على كتبه ذلك الكلام الفاحش في تفسير كلام الله المجيد.

٣-ومنها: أنه أورد فيه أبياتاً كثيرة، وأمثالاً غزيرة، بني على الهزل والفكاهة أساسها، وأورد على المزاح البارد نبراسها، وهذا أمر من الشرع والعقل بعيد، لاسيما عند أهل العدل والتوحيد.

٤-ومنها: أنه يذكر أهل السُّنَّة والجماعة -وهم الفرقة الناجية- بعبارات فاحشة، فتارة يُعَبِّر عنهم بالمجَبِّرة، وتارة ينسبهم على سبيل التعريض إلى الكفر والإلحاد، وهذه وظيفة السفهاء الشطار، لا طريقة العلماء الأبرار".

٢.مقالة أبي حيان:

ونجد أبا حيان صاحب البحر المحيط عند تفسيره لقوله تعالى في الآية [٤٩] من سورة النمل: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ باللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ(٤٩)﴾ يتعقب الزمخشرى فى تفسيره لقوله تعالى:{وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}، ثم يصفه بقوله: "وهذا الرجل وإن كان أُوتِيَ من علم القرآن أوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ، ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة، وكنت قريباً من تسطير هذه الأحرف، قد نظمت قصيداً في شغل الإنسان بكتاب الله، واستطردت إلى مدح كتاب الزمخشري، فذكرت أشياء من محاسنه، ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه، ورأيت إثبات ذلك هنا لينتفع بذلك مَن يقف على كتابي هذا، ويتنبه على ما تضمنه من القبائح، فقلت بعد ذكر ما مدحته به:

ولكنّه فيه مجال لناقد ... وزلات سوء قد أخذن المخانقا

فيثبت موضوع الأحاديث جاهلاً ... ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقا

ويشم أعلام الأئمة ضلة ... ولاسيما إن أولجوه المضايقا

ويُسهب في المعنى الوجيز دلالة ... بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا

يُقوِّل فيها الله ما ليس قائلا ... وكان محباً في الخطابة وامقا

ويخطئ في تركيبه لكلامه ... فليس لما قد ركَّبوه موافقا

وينسب إبداء المعاني لنفسه ... ليُوهم أغماراً وإن كان سارقا

ويخطئ في فهم القرآن لأنه ... يُجَوِّز إعراباً أبى أن يطابقا

وكم بين مَن يؤتى البيان سليقة ... وآخر عاناه فما هو لاحقا

ويحتال للألفاظ حتى يديرها ... لمذهب سوء فيه أصبح مارقا

فيا خسره شيخ تخرَّق صيته ... مغارب تخريق الصبا ومشارقا

لئن لم تداركه من الله رحمة ... لسوف يُرى للكافرين مرافقا"[1]

وأحسب أن القارئ لا يفوته أن يدرك ما في الوصف من قسوة على الزمخشري، وما فيه من اتهامه بقِلَّة بضاعته في البيان والعربية، مع أنه سلطان هذه الطريقة في التفسير من غير مدافع.

هذه هي شهادات بعض العلماء في تفسير الكشاف بما له وما عليه، ومهما يكن من شيء، فالكل مجمع على أنّ الزمخشري هو سلطان الطريقة اللُّغوية في تفسير القرآن، وبها أمكنه أن يكشف عن وجه الإعجاز فيه، ومن أجلها طار كتابه في أقصى المشرق والمغرب، واشتهر في الآفاق، واستمد كل مَن جاء بعده من المفسِّرين من بحره الزاخر، وارتشف من معينه الفيَّاض، واعتنى الأئمة المحققون بالكتابة عليه: فمن مميِّز لما جاء فيه من الاعتزال، ومن مناقش لما أتى فيه من وجوه الإعراب، ومن موحش وضَّحَ ونَقَّحَ واستشكل وأجاب، ومن مخرج لأحاديثه عَزَا وأسْنَدَ وصَحَّحَ وأنقد، ومن مختصر لَخَّصَ وأوجز.

هذا.. وإن حظوة الكشاف بهذا التقدير والإعجاب حتى من خصومه، وظفره بهذه الشهرة الواسعة التي أغرت العلماء بالكتابة عليه بمثل هذه الكثرة الوافرة الزاخرة من المؤلفات، لدليل قاطع على أنه تفسير في أعلى القمة.

وليس عجيباً أن يكون الكشاف كذلك وهو أول كتاب في التفسير كشف لنا عن سرّ بلاغة القرآن، وأبان لنا عن وجوه إعجازه، وأوضح لنا دقة المعنى الذي يُفهم من التركيب اللفظي. كل هذا في قالب أدبي رائع، وصوغ إنشائي بديع، لا يتفق لغير الزمخشري، إمام اللُّغة وسلطان

---

[1] أبو حيان،محمد بن يوسف،١٤٢٠ هـ /البحر المحيط/دار الفكر – بيروت/ ج٨/ص:٢٥٢.

المفسِّرين، وإذا كان الزمخشري قد تأثر في تفسيره بعقيدته الاعتزالية فمال بالألفاظ القرآنية إلى المعاني التي تشهد لمذهبه، أو تأوَّلها بحيث لا يتنافى معه على الأقل، فإنه في محاولاته هذه قد برهن بحق على براعته وقوة ذهنه، وصوَّر لنا مقدار ما كان من التأثر بين التفسير وهوى العقيدة، وما كان لنا بعد هذا كله أن نغض الطرف عن هذا التفسير، تأثراً بمذهبنا السُّنِّي، وكراهة لمذهب المعتزلة، وبخاصة بعد ما هو ثابت وواقع من ثناء كثير من علماء أهل السُّنَّة عليه – فيما عدا ناحيته الاعتزالية – واعتماد معظم مفسِّريهم عليه وأخذهم منه.

فالكشاف – والحق يقال – قد بلغ في نجاحه مبلغاً عظيماً، ليس فقط لأنه لا يمكن الاستغناء عنه في بيان الأقوال الكثيرة لقدماء المعتزلة، بل لأنه استطاع أيضاً أن يكون معتَرفاً به، من الأصدقاء والخصوم على السواء، ككتاب أساسي للتفسير، وأخذ طابعاً شعبياً يغري الكل ويتسع للجميع.

٢. اهتمام الزمخشري بالناحية البلاغية للقرآن:

عندما يلقي الإنسان نظرة فاحصة على العمل التفسيري الذي قام به العلاَّمة الزمخشري في كشَّافه، يظهر له من أول وهلة، أن المبدأ الغالب عليه في جهوده التفسيرية، كان في تبيين ما في القرآن من الثروة البلاغية التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته، والإتيان بأقصر سورة من مثله، والذي يقرأ ما أورده الزمخشري عند تفسيره لكثير من الآيات من ضروب الاستعارات، والمجازات، والأشكال البلاغية الأخرى، يرى أن الزمخشري كان يحرص كل الحرص، على أن يُبرز في حلّة بديعة جمال أسلوبه، وكمال نظمه، وإنَّا لنكاد نقطع – إذا استعرضنا كتب التفسير وتأملنا مبلغ عنايتها باستخراج ما يحتويه القرآن من ثروة بلاغية في المعاني والبيان – بأنّه لا يوجد تفسير أوسع مجالاً في جهوده في هذا الصدد من تفسير الزمخشري.

ولقد كان لعناية الزمخشري بهذه الناحية في تفسيره من الأثر بين المفسِّرين وبين مواطنيه من المشارقة ما هو واضح بيِّنٌ.

أما أثره بين المفسِّرين، فإنَّ كل مَن جاء بعده منهم – حتى من أهل السُّنَّة – استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة، كانوا لا يلتفتون إليها لولاه، فأوردوا في تفسيرهم ما ساقه الزمخشري في كشَّافه من ضروب الاستعارات، والمجازات، والأشكال البلاغية الأخرى، واعتمدوا ما نبَّه عليه الزمخشري من نكات بلاغية، تكشف عما دَقَّ من براعة نظم القرآن وحسن أُسلوبه.

وليس عجيباً أن يعتمد خصوم الزمخشري كغيرهم على كتاب الكشاف، وينظروا إليه كمرجع مهم من مراجع التفسير في هذه الناحية، بعد ما قدَّروا هذه الناحية البلاغية في تفسير القرآن، وبعد ما علموا أن الزمخشري هو سلطان هذه الطريقة غير مدافَع.[١]

٣.المذهب الفقهي للزمخشري:

لم يصرح الزمخشري في كتبه عن مذهبه الفقهي، بل قد جاء عنه إخفاء مذهبه الفقهي بخلاف مذهبه العقدي؛ فإنّه كان يظهره، ويفتخر بانتمائه إليه، وقد بيّن لنا سبب إخفاء مذهبه الفقهي فيقول:

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ** و أكتمه كتمانه لي أسلم
فإن حنفيّا قلت قالوا بأنني ** أبيح الطلى وهو الشراب المحرم
وإن شافعيا قلت قالوا بأنني ** أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وإن مالكيّا قلت قالوا بأنني ** أبيح أكل الكلاب وهم وهم
وإن قلت من أهل الحديث**يقولون تيس ليس يدري و يفهم

ولكنّ ما بدا للعلماء أنّ الزمخشري حنفي المذهب، وكان متسامحا مع مخالفيه في المذهب الفقهي، ومع كونه حنفيّا فإنّه أحبّ الإمام الشافعي ونوّه بمكانته، حتّى كتب كتابا ترجم له به وسمّاه:"شافي العيّ من كلام الشافعي" والكتاب غير معروف، أو مفقود، لكنّ الزمخشري أشار إليه عند تفسير قوله تعالى في سورة النساء:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ

[١] الذهبي محمد حسين، بدون تاريخ/التفسير والمفسرون/مكتبة وهبة، القاهرة، مصر،ج١/ص:٣٠٥-٣١٣ بتصرف.

مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (٣)﴾ يقول الزمخشري عند تفسير الآية بعد أن فسّر العول بالميل والجور:"والذي يحكى عن الشافعي رحمه الله أنّه فسّر (أَلَّا تَعُولُوا) أن لا تكثر عيالكم، فوجهه أن يجعل من قولك: عال الرجل عياله يعولهم، كقولهم: مانهم يمونهم، إذا أنفق عليهم، لأنّ من كثر عياله لزمه أن يعولهم، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب، وحدود الورع وكسب الحال والرزق الطيب. وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين، حقيقي بالحمل على الصحة والسداد، وأن لا يظنّ به تحريف تعيلوا إلى تعولوا، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"لا تظننّ بكلمة خرجت من في أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملا". وكفى بكتابنا المترجم بكتاب «شافي العيّ، من كلام الشافعي» شاهداً بأنه كان أعلى كعبًا، وأطول باعًا، في علم كلام العرب، من أن يخفى عليه مثل هذا، ولكن للعلماء طرفا وأساليب، فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات".[1] ولكنّه مع هذا المدح والثناء على الشافعي يصرّح بأنّه ليس شافعيا في مذهبه فيقول:

إنّي بدين ولائهم متشيع ** لهم ولست بشافعي المذهب.

٤.منهج الزمخشري في ذكر فضائل السور القرآنية:

يقول الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" تحت النوعُ السَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ:مَعْرِفَةُ فَضَائِلِهِ (أي القرآن):"ثُمَّ قَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْمُفَسِّرِينَ مِمَّنْ ذَكَرَ الْفَضَائِلَ أَنْ يَذْكُرَهَا فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ لِمَا فِيهَا مِنَ التَّرْغِيبِ وَالْحَثِّ عَلَى حِفْظِهَا إِلَّا الزَّمَخْشَرِيَّ فَإِنَّهُ يَذْكُرُهَا فِي أَوَاخِرِهَاقَالَ مَجْدُ الْأَئِمَّةِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ عُمَرَ الْكِرْمَانِيُّ سَأَلْتُ الزَّمَخْشَرِيَّ عَنِ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَاتٌ لَهَا وَالصِّفَةُ تَسْتَدْعِي تَقْدِيمَ الْمَوْصُوفِ".[2]

٥.كتب ومؤلفات وحواش ومختصرات وشروح ودراسات حول تفسير الكشاف:

---

[1] الزمخشري،محمود بن عمر، جار الله،١٤٠٧ هـ/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ دار الكتاب العربي،ط٣–بيروت–لبنان/ج١،ص:٤٦٨–٤٦٩. و انظر أبو موسى، محمد محمد/البلاغة القرآنية لدى الزمخشري/ص:٦٢.

[2] الزركشي/البرهان في علوم القرآن/ج١/ص:٤٣٢.

وعندما نكون مع صدد الحديث عن تفسير الكشّاف وقيمته العلمية في الدراسات القرآنية واللغوية من بين التفاسير، فإنّه من المهم أن نأتي على ذكر الدراسات والكتب والمؤلفات التي أثّر فيها تفسير الكشاف، وكثرة الحواشي والشروح التي نتجت عنه، كما ذكر ذلك حاجي خليفة في كتابه القيم: "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" فيقول:"ولما كان (كتاب الكشّاف) هو الكافل في هذا الفن، اشتهر في الآفاق، واعتنى الأئمة المحققون بالكتابة عليه،فمن مميز لاعتزال، حاد فيه عن صوب الصواب، ومن مناقش له: فيما أتى به من وجوه الإعراب، ومن محش: وضّح، ونقّح، واستشكل، وأجاب، ومن مخرّج لأحاديثه:عَزَا، وأسند، وصحّح، وانتقد، ومن مختصر: لخّص، وأوجز"[١].

١-"الإنتصاف لما تضمنه الكشاف من الإعتزال": لناصر الدين أحمد بن محمد بن منير الإسكندراني المالكي(ت:٦٨٣هـ) و اسم الكتاب دال على أنّه بيّن فيه ما تضمنه تفسير الكشاف من الإعتزال، وناقشه أيضا في أعاريب وأحسن فيها الجدال.

٢-"التمييز لما أودعه الزمخشري من الإعتزال في تفسيره لكتاب الله العزيز" وله اسم آخر"المقتضب من التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في تفسير الكتاب العزيز" لعمر بن محمد بن حمد، السكوني(ت:٧١٧هـ).

٣-"الكشّاف على الكشاف" لسراج الدين عمر بن رسلان البلقيني(ت:٨٠٥هـ).

٤-"التكميل الشاف في معاني الكشّاف"(حاشية) لمحمد بن يحي بن محمد بهران (ت:٩٥٧هـ).

٥-"التفسير الجامع بين تفسير الزمخشري وتفسير ابن كثير" لمحمد بهران المتقدم.

٦-"الإتحاف لطلّة الكشاف" (حاشية) لصالح بن مهدي المقبلي (ت:١١٠٨هـ).

٧-"فتوح الغيب في الكشف عن قطاع الريب"لحسن بن محمد بن عبد الله، الطيبي(ت:٧٤٣هـ). في ست مجلدات وهو أجل حواشي تفسير الكشاف.

٨-"الكشف عن مشكلات الكشاف" لعمر بن عبد الرحمن بن عمر، القزويني(ت:٧٤٥هـ).

---

[١] حاجي خليفة/كشف الظنون/ج٢/ص:١٤٧٥.

٩-"درر الأصداف، في حل عقد الكشاف"ليحيي بن قاسم العلوي، اليمني(ت:٧٥٠هـ). (حاشية).

١٠-"تحفة الأشراف، في كشف غوامض الكشاف" ليحي العلوي المتقدم (حاشية).

١١-"قطبة الخشاف لحل خطبة الكشاف" لمحمد بن يعقوب الفيروزأبادي، الشيرازي(ت:٨١٧هـ) ثم كتبه ثانيا.وسماه:"نغبة الرشاف، من خطبة الكشاف" وذكر أن:الأول أصيب بكفة الإتلاف، عند مغيرة الإعجاف.

١٢-"مقاعد الطراف، في أول تفسير سورة الفتح من الكشاف"لأبي السعود بن محمد العمادي صاحب تفسير "إرشاد العقل السليم" (ت:٩٨٢هـ).

١٣-"تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشّاف" لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي.

١٤-"الكاف الشاف في تحرير أحاديث الكشاف" لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت:٨٥٢هـ). استوعب ما فيه من الأحاديث المرفوعة، فأكثر من تبين طرقها، وتسمية مخرجيها، على نمط ما في أحاديث(الهداية)، لكنّه فاته كثير من الأحاديث المرفوعة، التي يذكرها الزمخشري بطريق الإشارة، ولم يتعرض غالبا لشيء من الآثار الموقوفة.

١٥-"مشاهد الإنصاف على شواهد الكشَّاف" للشيخ محمد عليان المرزوقي.

وأما الذين اختصروا تفسير الكشّاف واستفادوا منه فأوّلهم:

١٦-"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي(ت: ٦٩٢هـ) لخصه، وأجاد، وأزال الاعتزال، وحرّر واستدرك،واشتهر اشتهار الشمس في وسط النهار،فعكف عليه العاكفون، وهو سيّد المختصرات لتفسير الكشاف.

١٧-"تقريب التَّفْسِير فِي تَلْخِيص الْكَشَّاف"لمحَمَّد بن مَسْعُود بن مَحْمُود بن أبي الْفَتْح السيرافي قطب الدَّين الفالي الشقار.

١٨-"الجوهر الشفاف الملتقط من مغاصة الكشَّاف"،لعبد الله بن الهادي بن يحيي بن حمزة.

١٨-"تلخيص الكشّاف" لعمر بن داود الفارسي من علماء القرن الثامن الهجري

وأما الدراسات الحديثة حول تفسير الكشاف فهي كثيرة وقد استطعنا أن نمّر على بعض منها أثناء اتّصلنا بمراجع هذا البحث والبحوث المتعلقة به فمنها:

١٨-"الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري" رسالة دكتوراه للدكتور فاضل السّامرائي.

١٩-"الزمخشري المفسر البليغ" لمحمد محمد كامل عويضة.

٢٠-"الزمخشري" لأحمد محمد الحوفي.

٢١-"الزمخشري لغويّا ومفسّرا لمرتضى آية الله زاده الشيرازي.

٢٢-"النظم القرآني في كشّاف الزمخشري" لدرويش الجندي.

٢٣-"منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه" للدكتور مصطفى الصاوي الجويني.

٢٤-"مظاهر الاشتقاق في تفسير الكشاف للزمخشري" رسالة ماجستير لعلا الشوبكي من كليّة معارف الوحي والعلوم الإنسانية من الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.(٢٠٠٧م).

٢٥-"البلاغة القرآنية لدى الزمخشري." للدكتور محمد محمد أبو موسى.

٢٦- "الموازنة بين تفسير الكشاف للزمخشري وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي" رسالة للدكتوراه في كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية ـ الجزائر، للدكتور رمضان يخلف.

٢٧- "القراءت المتواترة في تفسير الزمخشري ـ دراسة نقدية" للدكتور محمد محمود الدومي، حصل به على الدكتوراه من جامعة اليرموك بالأردن.

٢٨- "الزمخشري ومنهجه في توظيف القراءات القرآنية" الأستاذ عبد الرحيم مرزوق، حصل به على الماجستير ١٩٩٠م من جامعة محمدالخامس، كليةالآداب والعلوم الإنسانية.

٢٩- "التوجيه اللغوي والنحوي للقراءات القرآنية في تفسير الزمخشري" لعبد الله سليمان محمد أديب، رسالة ماجستير في كلية الآداب،جامعة الموصل، العراق،٢٠٠٢م.

٣٠-"أثر معاني القرآن للأخفش الأوسط في الكشاف للزمخشري" كواكب محمود حسين الزبيدي جامعة بغداد، العراق،٢٠٠٤م.

٣١- "أثر معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، في الكشّاف للزمخشري" رسالة دكتوراه للدكتور سعدون أحمد علي، جامعة بغداد، العراق، ٢٠٠٢م.

٣٢-"القضايا النحوية والصرفية بين أبي حيّان والزمخشري في الجزءين السابع والثامن من البحر المحيط" رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر، ١٤٠٨هـ للدكتور أبي المجد حسن عمارة.

٣٣-تعقبات أبي حيان النحوية لجار الله الزمخشري في البحر المحيط" رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية. للدكتور محمد حمّاد ساعد القرشي.

٣٤-الدراسات النحوية في الكشّاف للزمخشري" لأحمد جمعة محمود الهيتي.

٣٥-"الكشّاف للزمخشري دراسة صرفية" لمها إبراهيم عبيد الديلمي.

٣٦-"مسائل النحو الخلافية بين الزمخشري وابن مالك" للدكتور فهمي حسّان التمر ١٩٨٥م.

وهناك دراستان أجنبيّتان باللغة الإنجليزية حول تفسير الكشاف هما:

٢٥– Balāghah as an Instrument of Qur’ān Interpretation: A Study of al-Kashshāf, Unpublished doctoral dissertation, School of Oriental and African Studies, University of London by Zubir, Badri Najib. (1999).

26-. Al-Zamakhsharī and his Qur’ān commentary al-Kashshāf: A late Mu‘tazilite scholar at work. (2003). (University of Toronto, Canada). (Proquest Dissertations and Theses 2003. By Lane, Andrew Joseph.

المبحث الثاني: مصادر الزمخشري في تفسير "الكشاف"

إنّ الحديث عن مصادر الزمخشري في التفسير مهم جدًّا، لما له من شهرة كبيرة في جانب بيان إعجاز القرآن الكريم والبلاغة القرآنية، ولما قيل عنه أنّه لم يُسْبَقْ إلى هذا النوع من التفسير البياني والإعجازي للقرآن الكريم، وأنّ كل من جاء بعده فهو يشرب من معينه ويدور حول حماه، كما أشار إلى ذلك ابن خلدون فيما سبق ذكره في مقدمته، والزركشي في برهانه[١]، ولما صدر عن بعض الباحثين من اتهامات له بالترفع عن النقل من السابقين، وأنّ شهرته جاوزت قدرها الذي لم تستحقه، وقد سبق أن ذكرنا بعض الأبيات التي هجا فيها أبو حيّان الزمخشري واتّهمه بالسرقة فيما يورده في تفسير كما قال:

وينسب إبداء المعاني لنفسه ... ليُوهم أغماراً وإن كان سارقا[٢]

---

[١] ابن خلدون، عبد الرحمن/المقدمة/ص:٧٠٨،٧٠٩،٥٣٠. و: الزركشي، بدر الدين/البرهان في علوم القرآن/ص:٢١٧.

[٢] أبو حيان،محمد بن يوسف،١٤٢٠ هـ /البحر المحيط/دار الفكر – بيروت/ ج٨/ص:٢٥٢.

وسوف نتعرض لهذه المواقف بالمناقشة والتعقيب، حتى نبيّن الحقيقة لمن يتتبع المواقف و تعليق الباحثين.

لقد سبق للباحثين من المعاصرين أن تحدثوا عن مصادر الزمخشري في تفسيره، وإن كان حديثهم غير كافٍ في القدر المحتاج من معرفة مصادر الرجل، فممّن تكلم عن مصادره: الدكتور مصطفى الجويني في بحثه:"البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري"، وتحدّث قليلا عن ذلك أيضا الدكتور شوقي ضيف في كتابه:"البلاغة تطور وتاريخ"، والدكتور عدنان زرزور في بحثه:"الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن"، غير أنّه انتقد الزمخشري انتقاداً شديدا، وزعم أنّ الزمخشري لم يتعرض لذكر المصادر في تفسيره، وسوف نتعرض لكلام هؤلاء الباحثين عن مصادر الزمخشري في تفسيره، ولنبدأ بذكر كلام الأخير منهم لأنّ كلام من سبقوه هو بمثابة النقد لكلامه.

يقول الدكتور عدنان زرزور في أثناء حديثه عن أثر الحاكم الجشمي في الزمخشري:"ولهذا فإنّنا نرجح أن الزمخشري قد اطلع على كتاب الحاكم وأفاد منه، كما نرجّح في نفس الوقت أنه لم يكن يديم النظر فيه حال جلوسه للكتابة أو الإملاء، كما نرجّح بالطبع إفادته الكبرى من تفاسير المعتزلة الآخرين، وإن كانت عنجهيته تأبى عليه أن يضيف إلى مخلوق قولا،- ولنا هنا أن نلتفت إلى ما ذكره صاحب النجوم الزاهرة- وبخاصة تفسير أبي مسلم الأصفهاني، هذا إلى جانب وقوفه الظاهر على تفاسير السلف، وإفادته من التأويلات التي ترد في كتب علم الكلام. وإذا كان انتفاعه بهذه التفاسير لا يقبل المنازعة، فلمن شاء أن يرجح أن الزمخشري قد انتفع بها- على طريقته- بطريق مباشر، وليس من اللازم أن يكون قد وقع له كتاب الحاكم. إذا صح هذا- وهو عندنا جد بعيد- فإن خلاصة القول في «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» إنه من تفاسير السابقين، ولكن بزيادة تعقيد .. وقلة أمانة، ورحم الله الجنداري! وأخيرا فإننا نستطيع أن نؤكّد ما لمحناه وتحدثنا عنه من نوازع الزمخشري النفسية، التي حالت بينه

وبين إشراق العبارة ووضوح القصد، كما حالت بينه وبين الالتزام بإضافة الأقوال إلى أصحابها على الدوام".[1]

ويقول أيضا:" إن من الحقائق الهامة أن كتاب الحاكم هو الذي قوّم لنا- إلى حد كبير- تفسير الزمخشري، وهيأ لنا للمرة الأولى فرصة إعادة النظر وإعطاء الحكم الصحيح في هذا التفسير، بعد أن نال صاحبه في التاريخ فوق ما يستحق".[2]

والعجيب من هذه التهمة الموجّهة إلى الزمخشري من قبل الدكتور عدنان قد انتقدها أحد المناقشين لبحثه، واعتبرها: تهجم على الزمخشري بغير حقّ، إي والله! إنّها هجمة جريئة من قبل الدكتور عدنان، لكن للأسف أنّه لم يقتنع بهذا النقد بعد مناقشة بحثه، فعاد إلى ما انتهى إليه من الحكم على الزمخشري فيقول:"وأحبّ أن أنبه القارئ إلى أن ما انتهيت إليه من الحكم على الزمخشري، وأنه كان في التاريخ مكانة لا يستحقها ... قد اعتبره أستاذنا الجليل الشيخ أبو زهرة «تهجما على الزمخشري بغير حق». ولعل من سوء الحظ أن المقارنات التي عقدتها بين كتابه وكتاب الحاكم قد ركنت في قسم منها إلى الشواهد التي كانت مبثوثة في هذه الرسالة، والتي أصاب بعضها الاختصار السابق؛ مما جعل هذه المقارنة- في صورتها الحالية- في حدود ضيقة. إلا أنني لم أجد حتى الآن ما يحملني على الرجوع عن موقفي السابق، بل لعل شيئا من عدم الحرص على تلك الشواهد يعود إلى اقتناعي بما انتهيت إليه. على أنني أرجو أن أعود إلى دراسة الزمخشري على نحو أشمل في بحث آخر". إلى أن قال:" طريقة الزمخشري في عرض هذه الوجوه والآراء والتعبير عنها مغاير لأسلوب الحاكم من كل وجه، فأكثر كلام الزمخشري داخل في حد التعالي والغموض والتكلف".[3]

وبعد هذه التهمة الموجّهة إلى الزمخشري من قبل الدكتور عدنان زرزور عن مصادر الزمخشري، وأنّه استفاد من تفسير أستاذه الحاكم الجشمي، نذكر كلام الدكتور محمد أبو موسى

---

[1] عدنان زرزور، الدكتور بدون تاريخ/ الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير/مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان/ص:٤٧٩.

[2] المرجع السابق/ص:٤٥٨.

[3] المرجع السابق/ص:١٣-١٤، ٤٧٧.

فكأنّه يرد على كلام دكتور عدنان فيقول:"ومصدر الكشّاف في البحث هو الإمام الأشعري عبد القاهر الجرجاني، ولم أتردد في تقرير هذه الحقيقة في السطور الأولى من مقدمة هذا البحث، وسوف أزيد الصلة بينهما وضوحا في الفصول الآتية إن شاء الله، وكان الزمخشري بصيرًا في تثقيف نفسه، ولم ينغلق على فكر معيّن، بل كان يفتح قلبه وعقله لكل عمل جاد، ولم تكن العصبية المذهبية التي كان يشتط فيها أحيانا حائلا بينه وبين تقدير جهود العلماء، فقد كان بين يديه وهو يكتب كتاب الكشاف:كتاب التهذيب في التفسير للحاكم أبي سعيد الحسن بن كرامة الجشمي (ت:٤٧٧هـ)، وهو إمام عدلي كان رأس المعتزلة في القرن الخامس، وكان تلميذا برّاً للقاضي عبد الجبار، وكان يُظنّ أنّ الزمخشري يأخذ عنه كثيرا فقد عاش في حياته عشر سنوات، ولكنّ الزمخشري لم يجد في هذا التفسير حاجة حسّه الأدبي فتركه، وانصرف إلى عبد القاهر الجرجاني الأشعري الذي كان معاصرا للحاكم أبي سعيد فأخذا عنه، ولا أنفي أن يكون الزمخشري قد أفاد من تفسير الحاكم فائدة محدودة، وخاصة في وجوه القراءات التي يذكرها، وبعض البحوث اللغوية والنحوية والروايات المأثورة..."[١].

ويثبت الدكتور أبو موسى أنّ الزمخشري ذكر بعض مصادره، وأماكن استقاء علومه فيقول:"وتفسيره مشحون بأسماء أعلام العلماء وأسماء شيوخه من المعتزلة، وكان ينوّه بهم وبما صنّفوه، ويقول:"ولقد صنّف شيخنا أبو علي الجبائي قدّس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ، فلما شيخ وأخذت منه السنّ العالية قيل له:لو شربت منه ما تتقوى به، فأبى، فقيل له:فقد صنّفت في تحليله ، فقال :تناولته الدعارة فسمج في المروءة"[٢].

ثم ذكر الدكتور أسماء بعض الكتب والعلماء الذين ذكرهم الزمخشري في كشّافه مع الإشارة إلى أرقام الجزء و الصفحة الذينِ ذكروا فيها وهم:

١-أبو علي الجبائي.

---

[١] أبو موسى، محمد محمد الدكتور/ البلاغة القرآنية لدى الزمخشري/ص:١١٢-١١٣.

[٢] الزمخشري،محمود بن عمر، جار الله،١٤٠٧ هـ/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ دار الكتاب العربي،ط٣-بيروت-لبنان/ج٢،ص: ٥٧٦.

٢-ابن جني وكتابه المحتسب والتمام.

٣-أبو عبيدة.

٤-أبو الفتح الهمداني في كتابه التبيان.

٥-ثعلب أحمد بن يحيى.

٦-الزجاج تفسير الزجاج.

٧-الأزهري.

٨-سيبويه.

٩-أبو حاتم السجستاني.

١٠-أبو علي صاحب الحلبيات.

١١-الفرّاء.

١٢-الواقدي.

١٣-المبرد في كتابه "الكامل".

١٤-عبد الله بن المعتز.

١٥-أبو جعفر المدني.

١٦-يعقوب ابن السكيت و كتابه "إصلاح المنطق".

١٧-ابن المقفع و كتابه:"الحيوان".

١٨-عبد القاهر الجرجاني.

١٩-ابن قتيبة.

٢٠-عمرو بن عبيد.[١]

وظهر لي أسماء علماء وكتب أخرى غير ما ذكره الدكتور أبو موسى من مصادر الزمخشري وهي:

١-خليل بن أحمد الفراهيدي، ذكره كثيرا جدّا في كشافه، وربما يأخذ عنه من معجمه" العين".

---

[١] أبو موسى، محمد محمد، الدكتور/البلاغة القرآنية لدى الزمخشري/ص:٦١-٦٢.

٢-الجاحظ في كتابه:"نظم القرآن".(الكشاف: ج١،ص: ٤٢).

٣-الجامع لعلم القرآن لعلي ابن عيسى الرمّاني.

٤-المترجم بكتاب المتمم لعبد الله ابن درستويه.(الكشاف: ج١،ص: ٦٩).

٥-كتاب الحجّة لأبي علي. (الكشاف: ج١،ص: ٦٤).

ثم تحدث الدكتور أبو موسى عن بعض المصادر الأخرى للزمخشري فقال:" وقد أشرت في بيان مصادر ثقافة الزمخشري إلى شيوخه وإلى أنّه أخذ من الكتب أضعاف ما أخذه من السماع، وحسبي أن أشير الآن إلى أمرين:-

الأول: تحقيق القول في كتابين يظنّ في أولهما أنّ الزمخشري أفاد منه، وقد قيل في ثانيهما: أنّه أفاد منه فائدة كبيرة.

الثاني: بيان أنّ تفسير الزمخشري امتداد لتأويلات شيعته التي لم يبق منها إلا القليل.

أما الكتاب الأول: فهو تفسير منسوب للزجاج، والعلاقة بينه وبين تفسير الكشاف واضحة.

أما الكتاب الثاني:فقد ذكر الأستاذ الجويني أنّ الزمخشري تأثّر بتفسير الرمّاني.[1]

ويمكن تأكيد استفادة الزمخشري من تفسير الزجاج بقول شمس الدين الأصفهاني:" تتبعت الكشاف فوجدت أنّ كل ما أخذه أخذه من الزجاج".

ولا يخفى للقارئ ما في هذا الكلام من المبالغة لأنّه لا يمكن القول بأنّ جميع ما جاء به الزمخشري هو مأخوذ من الزجاج، وإن كان قد استفاد منه في دراسة المفردات وفي وجوه القراءات وفي تحديد معاني التراكيب، وفي تحديد هيئة الكلمة وغير ذلك، لأنّ من يتدبّر الكشاف يرى كثرة تردد ذكر أبي إسحاق الزجاج وتفسيره (معاني القرآن).[2]

أما عن آثار المعتزلة التي استفاد منها الزمخشري وأغلبها غابت عن الأنظار، ولم يبق منها إلا القليل فمنها:

---

[1] المرجع السابق/ص: ١٠١-١٠٨.

[2] انظر مثلا،تفسير هذه الآيات: الفاتحة:١،الأعراف:١٤٨،٧،الرعد:٣٥،النحل:٨٩،الكهف:٤٠،٦، المؤمنون:١٠٢،٣٦.

١-تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار المعتزلي، وقسم كبير من هذا الكتاب هو ردّ على اعتراضات الطاعنين، وكأنّ هذا الجزء من الكتاب موجه إلى غير المسلمين، والقسم الآخر من مادته العلمية: دراسة اعتزالية للآيات التي يتعلق بها معارضو هذا المعتقد الاعتزالي، ويظهر تأثر الزمخشري بهذا الكتاب في بعض نصوصه.

٢-متشابه القرآن وهو للقاضي عبد الجبار أيضا، وهذا الكتاب هو دراسة كلامية عميقة، و شاملة للآيات المتشابهة، والمتشابه هنا:هو كل ما يوهم ظاهره خلاف معتقد القوم-المعتزلة- وهذا الكتاب من المصادر المهمة التي يستعين بها الباحث على دراسة وتوضيح المنهج الاعتزالي في دراسة النصوص، وأحسب أنّ تداول هذا الكتاب يمكن أن يزحزح كتاب الكشاف عن مكان الصدارة، فقد ظلّ زمنا طويلا يمثّل أقرب مرجع لمعرفة مواقف المعتزلة من النصوص التي تخالف وجهتهم، وإن ظلّ كتاب الكشاف يحتفظ بهذه الدراسة البلاغية العذبة لأسلوب القرآن، والتي لا نظنّ أنّ كتابا من كتب المعتزلة يؤدي وظيفة الكشاف، أفاد هذا الكلام الدكتور أبو موسى في بحثه.[١]

٣-كتاب"غرر الفوائد ودور القلائد" للشّريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي(ت:٤٣٦هـ)، وقد أفاد منه الزمخشري كثيرا، وقد تكون الروح الأدبية التي تطبع دراسة المرتضى، هي التي أغرت الزمخشري به، ومن مظاهر إفادته من هذه الدراسة ما تجده في قول الشريف في تأويل قوله تعالى:﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ(٩)﴾(إبراهيم)، فقد ذكر الزمخشري وجوها في هذه الآية بعضها هي نفس الوجوه التي ذكرها المرتضى، وليس من الضروري أن يكون وجه الشبه مصورا في نصوص تتشابه في الكتابين بل إنّ التأثر كما أعتقد يظهر في الطريقة والروح أكثر ممّا يظهر في الوقوف عند الجزئيات.

---

[١] أبو موسى، محمد محمد،الدكتور/المرجع السابق،ص:١١٨.

٤-أما الشريف الرضى، فإنّه له كتابين من أهم ما يعتزّ به التراث الأدبي، الأول كتاب "تلخيص البيان في مجازات القرآن"، والثاني كتاب "المجازات النبوية" وقد أثار فيهما كثيرا من المباحث البلاغية المتصلة بالمجاز، وكانت تحليلاته الأدبية وتذوقه البلاغي أدق من دراسته العلمية لأصول المجاز، والذي يعنينا أن نشير إليه هنا هو كتاب:" حقائق التأويل في متشابه التنزيل" لأنّه يتميّز عنهما بمحاولات تجتهد في أن تستنبط كثيرا من المعاني، وأن تشير إلى كثير من الاحتمالات التي يمكن للكلام أداؤها، وهو بهذا يكون أقرب إلى تفسير المعتزلة من كتابيه السابقين.[١]

٥-وأما من غير المعتزلة، فنجد الزمخشري قد استقى بلاغته القرآنية من الإمام عبد القاهر الجرجاني الأشعري، وقد أشار الدكتور أبو موسى في كلامه السابق إلى ذلك، ولكنّ هذا التأثر نفهمه أكثر عند الدكتور شيقي ضيف في كتابه:"البلاغة تطور وتاريخ" فهو يقول بعد ما نقل تحليلات الزمخشري البلاغية في تفسيره الكشاف وبعد تحليلات عبد القاهر في كتابيه:"أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز":" وواضح من كلّ ما قدّمت أنّ الزمخشري استوعب كلّ ما كتبه عبد القاهر في "الأسرار" و"الدلائل" ومضى يطبقه تطبيقا دقيقا على آي الذكر الحكيم، وكأنّه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من آراء عبد القاهر إلا ساق عليها الأمثلة النيرة من القرآن الكريم، ولم يقف عند ذلك، فقد مضى يستتمّ هذه الآراء مضيفا إليها من حسّه المرهف، وعقله الثاقف، وخاصة في مباحث المعاني والبيان، التي أكمل كثيرا من شعبها ودقائقها ومقاييسها إكمالا سديدا".[٢]

اتّضح بما سبق عرضه من مصادر الزمخشري التي ذكرنا، والتي ذكرها كل من: الدكتور أبو موسى، والدكتور شيقي ضيف أنّ الزمخشري قد اعتمد على عدد من الكتب والمصادر والشيوخ في إعداد تفسيره الكشاف، ذكر بعضها، وترك بعضها ولم يذكرها، لكنّ المتتبع لمؤلفات العلماء السابقين، سيفهم أنّ ذلك هو أسلوب أكثر المصنفين في التأليف، لأنّهم ينقلون عمّن يعجبون به دون إسناده لصاحبه أحيانا، وحجّتهم في ذلك: إما لشهرة القول المنقول عن صاحبه، أو لأنّهم

---

[١] المرجع السابق/ص:١١٧-١١٨.

[٢] شوقي ضيف، الدكتور بدون تاريخ/ البلاغة تطور و تاريخ/ دار المعارف، ط١٢، القاهرة-مصر/ص:٢١٩-٢٧٠.

يعتبرون أنّ العلم ملك للجميع، لذا لا حقّ لأي باحث أن يطعن في الزمخشري أو أن يتّهمه بالتعالي أو قلّة أمانة أو الغموض والتكلف أو غير ذلك من العبارات التي لا تليق أن تطلق على من أجهد نفسه وجاهد بحسن النية، في بيان ما انطوى عليه كتاب الله تعالى من الإعجاز و البيان رحم الله سلفنا الصالحين.

٦-وأخيرا بقي الآن أن نتحدث عن مصدر واحد من مصادر الزمخشري، الذي لم يتحدث عنه كثيرا من الباحثين إلا بعض الإشارات من عند بعضهم وهذا المصدر هو:-

٦-"**الكشاف القديم**":-

إنّ ممّا فهمته من مقدمة الزمخشري في "الكشاف الجديد" هو أنّ هناك كشاف قديم بدأ بتأليفه قبل الكشاف الجديد، ثم تأكّدت من ذلك لما رأيت بدر الدين الزركشي ينقل من الكشاف القديم ويسميه بالكشاف القديم في كتابه:"البرهان في علوم القرآن"،[١] ثم وجدت الدكتور أبو موسى قد أشار إلى ذلك أيضا فقال:"وقد حاول الزمخشري قبل أن يكتب هذا التفسير الكامل أن يسوّد صحفا في هذا الباب، يراها مثلا يحتذى في التفسير، ولم يكن يقدر أنّه سيكتب تفسيرا كاملا، وكانت هذه الصحف كأنّها موسوعة قرآنية طال فيها القول، وتشعبت فنونه، ودارت حول سورة الفاتحة وبعض من سورة البقرة، وقد وصف الزمخشري هذه الصحف بأنّها مبسوطة كثيرة السؤال والجواب طويلة الذيول والأذناب... ولكنّه رجع فأدرك أنّ البيئة الفكرية في زمانه لا تطيق هذه الموسوعة، وأنّها تحتاج إلى تفسير موجز يعينهم على فهم مذهبهم من القرآن الكريم فكتب تفسيره الذي بين أيدينا".[٢]

ولا بأس أن ننقل مقتطفات من كلام الزمخشري في بيان أصل هذا التفسير المسمى الكشاف الجديد من مقدمته، يقول الزمخشري:"ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعيين بين علم العربية والأصول الدينية كلما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق

[١] الزركشي، بدر الدين/ البرهان في علوم القرآن/ص:٥٦٦،٢١٢،٦١.

[٢] أبو موسى،محمد محمد/ المرجع السابق/ص:٩٤.

من الحجب أفاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا إلى منصّف يضم أطرافا من ذلك، حتى اجتمعوا إلي مقترحين أن أملي عليهم الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، فاستعفيت فأبوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين... فأمليت عليهم مسألة في الفواتح، وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة، وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب، طويل الذيول والأذناب، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم... فلما صمّم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله، فتوجهت تلقاء مكة...فقلت: قد ضاقت على المستعفي الحيل، وعيت به العلل، ورأيتني قد أخذت مني السنّ، وتقعقع الشن، وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب، فأخذت في طريقة أخصر من الأولى، مع ضمان التكثير من الفوائد، والفحص عن السرائر...".[١]

---

[١] الزمخشري،محمود بن عمر، جار الله،١٤٠٧ هـ/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ دار الكتاب العربي،ط٣– بيروت–لبنان/ج١،ص: ٣–٤.

المبحث الثالث: الآيات التي انفرد الزمخشري بتوجيهها عن ابن فودي

بما أنّ طبيعة هذا البحث هو المقارنة بين تفسيرين: الكشاف للزمخشري، وضياء التأويل لعبد الله بن فودي، فيقتضي ذلك أن نخصّ مبحثا، نتحدث فيه عن الآيات التي انفرد الزمخشري بتوجيهها عن عبد الله بن فودي، وقبل ذكر هذه الآيات وتوجيهاتها، نبدأ بذكر منهج الزمخشري في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن وهي:

١-يعتمد على طريقة السؤال والجواب في عرض الآيات المتشابهة وتوجيهها، فيذكر أوجه الخلاف ثم يبدأ بذكر توجيه ذلك.

٢-أحيانا يذكر وجه الاختلاف، ولا يوجه بين الآيتين المتشابهتين.

٣-الاستشهاد بالأحاديث عند التوجيه.

٤-الاعتماد على علم التصريف والنحو في توجيه الفرق بين الآيات المتشابهة.

٥-أحيانا لا يذكر وجه الاختلاف ولا يوجه، ويكتفي بذكر تكرارها وحكمة ذلك، أو الغرض منه.

٦-أحيانا يردّ الزمخشري على بعض المصنفين في توجيه المتشابه، كالكرماني وغيره في بعض توجيهاتهم للآيات المتشابهة.

٧-ينفرد الزمخشري عن ابن فودي بتوجيه بعض الآيات المتشابهات.

٨-من أنواع المتشابه اللفظي عند الزمخشري التأكيد.

٩-من أسباب ذكر العاطف أو تركه عند الزمخشري هو إرادة الاستئناف عند المقاولة أو عدمه.

١٠-إذا كان هناك اختلاف بين القرّاء في الآية التي يريد توجيهها يكتفي الزمخشري بذكر القراءة الأخرى ولا يوجهها بسبب توافق الآيتين عند بعض القرّاء.

١١-يستشهد الزمخشري ببعض الأشعار عند توجيه بعض الآيات المتشابهة.

١٢-يطول الزمخشري في توجيه بعض الآيات المتشابهة.

١-التشابه والاختلاف بين "القول" و "السرّ" في سورتي الأنبياء:(٤)، والفرقان:(٦):

يقول الزمخشري في سورة الأنبياء عند قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٤)﴾:" فإن قلت: هلا قيل:"يعلم السر" لقوله ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾؟ قلت: القول عام يشمل السرّ والجهر، فكان في العلم به العلم بالسرّ وزيادة، فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول: يعلم السرّ، كما أنّ قوله: يعلم السرّ، آكد من أن يقول: يعلم سرهم. ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية. فإن قلت: فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله:﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ(٦)﴾؟ قلت: ليس بواجب أن يجيء بالآكد في كل موضع، ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتنّ الكلام افتنانا، وتجمع الغاية وما دونها، على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه، من قبل أنه قدم هاهنا أنهم أسروا النجوى، فكأنه أراد أن يقول:إن ربى يعلم ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة، وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، فهو كقوله علام الغيوب، عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ. وقرئ قالَ رَبِّي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم".[١]

٢-التشابه والاختلاف بين (لن) و(لا) في سورتي البقرة:(٩٥) والجمعة:(٧):

يقول الزمخشري عند قوله تعالى في سورة الجمعة:﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ(٧)﴾:" ولا فرق بين «لا» و «لن» في أن كل واحدة منهما نفى للمستقبل، إلا أن في «لن» تأكيدا وتشديدا ليس في «لا» فأتى مرّة بلفظ التأكيد (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ)(البقرة:٩٥) ومرّة بغير لفظه (وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ)(الجمعة:٧)".[٢]

---

[١] الكشاف:ج٣،١٠٣.

[٢] المرجع السابق:ج٤،ص:٥٣١

٣-***التعريف(والسلام علي) في سورة مريم:(٣٣)والتنكير(و سلام علي) في سورة مريم:١٥ :***

يقول الزمخشري عند قوله تعالى في سورة مريم:﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا(٣٣)﴾:" وَالسَّلامُ عَلَيَّ قيل:أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله، كقولك: جاءنا رجل، فكان من فعل الرجل كذا. والمعنى: ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليّ. والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود. وتحقيقه أن اللام للجنس، فإذا قال:وجنس السلام عليّ خاصة فقد عرض بأن ضدّه عليكم. ونظيره قوله تعالى وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى يعنى أنّ العذاب على من كذب وتولى، وكان المقام مقام مناكرة وعناد، فهو مئنة لنحو هذا من التعريض".[1]

٤-***الذكر و الحذف في سورة الحج:(٤٢)،(٤٣):***

يقول الزمخشري عند قوله تعالى في سورة الحج:﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ(٤٢)وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ(٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤)﴾:" فإن قلت:لم قيل وَكُذِّبَ مُوسى ولم يقل:وقوم موسى؟ قلت: لأنّ موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل، وإنما كذبه غير قومه وهم القبط. وفيه شيء آخر، كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم: وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته، وعظم معجزاته، فما ظنك بغيره".[2]

٥- ***التقديم والتأخير بين "السماء" و "الأرض" في سورتي يونس:(٦١)،و:(سبأ:(٣):***

يقول الزمخشري عند قوله تعالى في سورة يونس:(وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١):" فإن قلت: لم قدّمت الأرض على السماء، بخلاف قوله في سورة سبأ:(عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلا فِي الْأَرْضِ)(٣)؟ قلت:حق السماء أن تقدم على الأرض، ولكنه لما ذكر شهادته

---

[1] المرجع السابق:ج٣،ص:١٦.

[2] المرجع السابق:ج٣،ص:١٦١.

على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم، ووصل بذلك قوله لا يَعْزُبُ عَنْهُ لاءم ذلك أن قدّم الأرض على السماء، على أنّ العطف بالواو حكمه حكم التثنية".[1]

٦- ***التذكير والتأنيث والفرق بين "الفاء" و "الواو" في سورة الزمر:(٤٩):***

يقول الزمخشري عند قوله تعالى في سورة الزمر:﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٤٩)﴾:"فإن قلت: كيف ذكر الضمير ثم أنثه؟ قلت: حملا على المعنى أوّلا، وعلى اللفظ آخرا، ولأن الخبر لما كان مؤنثا أعني فِتْنَةٌ ساغ تأنيث المبتدأ لأجله لأنه في معناه، كقولهم: ما جاءت حاجتك. وقرئ: بل هو فتنة على وفق إِنَّما أُوتِيتُهُ. فإن قلت: ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في أوّل السورة بالواو؟ قلت:السبب في ذلك أنّ هذه وقعت مسببة عن قوله وَإِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأزّ من ذكره، دون من استبشر بذكره، وما بينهما من الآي اعتراض. فإن قلت: حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه. قلت: ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ ثم ما عقبه من الوعيد العظيم: تأكيد لإنكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دون آلهتهم، كأنه قيل: قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترءون عليك مثل هذه الجرأة، ويرتكبون مثل هذا المنكر إلا أنت. وقوله وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا متناول لهم ولكل ظالم إن جعل مطلقا. أو إياهم خاصة إن عنيتهم به، كأنه قيل: ولو أنّ لهؤلاء الظالمين ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به. حين أحكم عليهم بسوء العذاب، وهذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم، وإلا بقيت محتجبة في أكمامها. وأما الآية الأولى فلم تقع مسببة وما هي إلا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو، كقولك: قام زيد وقعد عمرو. فإن قلت: من أى وجه وقعت مسببة؟ والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم إليه، بل هو مقتض لصدوفهم عنه. قلت: في هذا التسبيب لطيف، وبيانه أنك تقول: زيد مؤمن بالله،

[1] المرجع السابق: ج٢،ص:٣٥٥.

فإذا مسه ضر التجأ إليه، فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه، ثم تقول: زيد كافر بالله، فإذا مسه ضر التجأ إليه، فتجيء بالفاء مجيئك به ثمة، كأنّ الكافر حين التجأ إلى الله التجاء المؤمن إليه، مقيم كفره مقام الإيمان، ومجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء، فأنت تحكي ما عكس فيه الكافر. ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الإنكار والتعجب من فعله".[١]

٧- *الفرق بين "سيقول" في سورة الأنعام:(١٤٨)،و "قال"في سورة النحل:(٣٥):*

يقول الزمخشري عند قوله تعالى في سورة الأنعام:﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(١٤٨)﴾:" سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إخبار بما سوف يقولونه، ولما قالوه قال: (وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ)(النحل:٣٥)يعنون بكفرهم وتمردهم، أن شركهم وشرك آبائهم، وتحريمهم ما أحل الله، بمشيئة الله وإرادته، ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك".[٢]

٨- *الذكر و الحذف في سورة إبراهيم:(١٠):*

يقول الزمخشري عند قوله تعالى في سورة إبراهيم:﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠)﴾:" فإن قلت: ما معنى التبعيض في قوله: من ذنوبكم؟ قلت: ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين، كقوله:﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣)يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى (٤)﴾(نوح)، ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)﴾(الأحقاف) وقال في خطاب المؤمنين:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)﴾(الصفّ) إلى أن قال: (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) وغير ذلك مما يقفك عليه

[١] المرجع السابق: ج٤،ص:١٣٤.

[٢] المرجع السابق: ج٢،ص:٧٧.

الاستقراء، وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين، ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد. وقيل: أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله، بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها".[١]

٩- *التقديم والتأخير في سورة النور:(٣-٢)*

يقول الزمخشري عند قوله تعالى في سورة النور:﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ(٣)﴾:"فإن قلت: كيف قدمت الزانية على الزاني أولا، ثم قدم عليها ثانيا؟ قلت:سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا، والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن، فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدأ بذكرها. وأمّا الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه، لأنه هو الراغب والخاطب،ومنه يبدأ الطلب".[٢]

١٠-*حذف كلمة وذكرها من سورة الكهف(٧٥-٧٢):*

-من قوله تعالى في سورة الكهف:﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢)﴾.

-ومن قوله تعالى فيها:﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير الآية الثانية:

" فإن قلت: ما معنى زيادة لَكَ؟ قلت:زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية". {الكشاف:٧٣٦/٢}.

---

[١] المرجع السابق: ج٢،ص:٥٤٣.

[٢] المرجع السابق: ج٣،ص:٢١٢-٢١٣.

الفصـــــــــــــــل الثـــــــــــالـــــــــــث:

منهج عبد الله بن فودي في توجيه المتشابه اللفظي

و فيه أربعة مباحث

المبحث الأول:

التعريف بعبد الله بن فودي و تفسيره

المبحث الثاني:

مصادر ابن فودي في ضياء التأويل

المبحث الثالث:

الآيات التي انفرد ابن فودي بتوجيهها عن الزمخشري

المبحث الرابع:

منهج ابن فودي في توجيه الآيات المتشابهة

الفصل الثالث: منهج عبد الله بن فودي في توجيه المتشابه اللفظي

المبحث الأول:التعريف بعبد الله بن فودي وتفسيره

أوّلا:التعريف بالمؤلف:

هو أبو محمد عبد الله بن محمد فودي، وهذا اللقب هو باللغة الفلاتية(فودي) ومعناه:"الفقيه" وهو لقب لأبيه، ثمّ اتخذت العائلة هذا اللقب و تسمّت به حتى اشتهرت به فكان أخوه الكبير يقال له: الشيخ عثمان بن فودي، كما يقال لصاحبنا الشيخ عبد الله بن فودي، وأبوه يقال له:"محمد فودي" بن عثمان بن هارون.

١.مولده:

اختلفت أقوال العلماء في سنة ولادته، لكنّ الذي رجّحه المحققون هو:١١٨٠هـ-١٧٦٦م، بدليل كون أخيه عثمان بن فودي يكبره بحوالي اثتني عشرة سنة، ممّا يجعلنا نرجّح هذا القول، لأنّه من المعلوم أنّ الشيخ عثمان رحمه الله ولد سنة:١١٦٨هـ/١٧٥٤م.

٢.نشأته وحياته العلمية:

نشأ عبد الله بن فودي رحمه الله في بيئة علمية و دينية ملتزمة، يدل على ذلك أنّ أكثر من أخذا عنهم العلم ممّن ذكرهم في كتابه الهام:"إيداع النسوخ بمن أخذت من الشيوخ" هم من أقاربه وعشيرته، فقد ذكر فيه حوالي ثمانية عشر شيخا،من أشهرهم من أخذ عنهم العلم، وكان تسعة من هؤلاء من أهل بيته وعشيرته،كأبيه محمد فودي، وأخيه عثمان بن فودي، وأعمامه، وأخواله، وبني خاله، وسوف نواصل بالحديث عن نشأته العلمية في حديثنا عن مؤلفاته وشيوخه.[١]

٣.مؤلفات عبد الله بن فودي:

ولعل أصغر رقم يورده المؤرخون حول عدد مؤلفات الشيخ عبد الله؛ هو ثلاثة وسبعون(٧٣) مؤلفا، بين كتاب ورسالة، أورد هذا الرقم بروفيسور محمد ثاني ظهر الدين في رسالته للدكتوراه بعنوان:"إسهامات الشيخ عبد الله بن فودي في الجهاد الفلاني في أرض هوسا"، ويليه في ذلك ماري لاست (murry last)، الذي وضع لمؤلفات الشيخ عبد الله عدد ثمانية وسبعون مؤلفا، ثم الدكتور علي عبد الحميد، الذي حصل على ثمانية وثمانين مؤلفا للشيخ عبد الله، والدكتور أبو بكر غندو الذي بلغت عنده مائة مؤلف، و"هان ويك" الذي أوصلها إلى مائة وأحد عشر مؤلفا.

أما تلميذ الشيخ عبد الله: سعد بن عبد الرحمن، فقد ذكر أنّ مؤلفات الشيخ عبد الله بلغت مائة وسبعين مؤلفا يقول:"وتواليفه كثيرة نحو مائة و سبعين كتابا أرجو من الله أن أوفق في تقييد بعضها في الأوراق إن شاء الله تعالى كما فعلت في أصحابه رجائي الدعاء من الإخوان فإن

[١] حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر/عبد الله بن فودي و حياته العلمية/د.محمد كبير يونس/ العدد الرابع، سنة:١٩٩٨م/ ص:٥٧.

لم أستطع فليفعل ذلك بعض الإخوان لأنّه من الخدمة لجنابه وخدمة الأولياء أتم العبادة، وأكملها؛ لأنّها خدمة الله تعالى".[1]

بدأ عبد الله بن فودي بالتأليف منذ وقت مبكر، حوالي:(١٧٨٦م-١٢٠١هـ)، حينما كان في عمر العشرين، في هذه السنة ألّف كتابه:"منن المنّان" وكان قد نظم بعد الأشعار قبل ذلك، لكنّه لم يعجب بها وبمستواها فلم يظهرها، أعجب عبد الله بالشعر واهتمّ به في هذه الفترة، فكانت معظم مؤلفاته في تلك الفترة هي في النظم، ثمّ بعد ذلك مال إلى التأليف بالنثر، واستمرّ بالتأليف بدون توقف من سنة:(١٧٨٦م-١٢٠١هـ) حتّى وفاته في سنة:(١٨٢٩م-١٢٤٥هـ)، ذكر عبد الله أنّه كتب مائة وسبعين مؤلفا (١٧٠)، وهذا العدد قد يبدو للقارئ أنّه مبالغا فيه في أول وهلة، لكن إذا تذكرنا عدد السنوات التي عاشها عبد الله وعدد الأيام و السنوات التي يقضيها عندما يكتب كتابا أو رسالة، لا تبدو لنا كذلك، زيادة على ذلك، أنّ هذا العدد يدخل فيه أشعاره التي كتبها، والرسائل التي يكتبها في الإجابة على بعض الأسئلة التي توجه إليه من بعض العلماء والطلاب، التي تكون أحيانا في ورقة واحدة أو ثلاث أوراق.

ومما يجب معرفته بعد ذكر عدد المؤلفات التي ألفها الشيخ عبد الله بن فودي عند عدد من الباحثين أنّه ليس من الممكن أن نجمع العدد الإجمالي الحقيقي لمؤلفات عبد الله، بدليل أنّ العدد المذكور سابقا من الباحثين لم تبلغ العدد التي ذكرها هو عن نفسه فأعلى عدد يذكرونه هو ما ذكره دكتور غندو أنّها مائة مؤلف، ستّة منها مكتوبة بلغة هوسا، فهذه المائة غير بالغة إلى مائة وسبعين التي ذكرها عبد الله وذكرها ذلك تلميذه سعد بن عبد الرحمن، لكنّ التطور الذي يبدو حول هذه المؤلفات أنّه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:-

١-مؤلفات ما قبل الجهاد.

٢-مؤلفات فترة الجهاد.

---

[1] سعد بن عبد الرحمن،مخطوط غير مؤرخ/ترتيب الأصحاب/ المركز الإسلامي، جامعة صكتو، نيجيريا/ص:١٢. و انظر:كلو، هارون إبراهيم،/الشيخ عبد الله بن فودي و مساهمته في مجال علم مصطلح الحديث/جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا/ مجلة العلوم و البحوث الإسلامية، العدد الثاني، فبراير، ٢٠١١م/ص:٧-٨.

٣-مؤلفات ما بعد وفاة الشيخ عثمان بن فودي.

وكل فترة من هذه الفترات لها خصائص مؤلفاتها عند بن فودي كما سنرى.

أوّلا:مؤلفات ما قبل الجهاد (١٨٠٤م-١٧٨٦ه)

في هذه الفترة ألّف ابن فودي لأغراض مخصوصة، فلقد حاول أن يألّف كتبا في مختلف المواد، كتب "منن المنّان" في التصوف، نظم فيه كتاب السنوسي في التوحيد، و كتب أيضا "مفتاح التفسير" في علوم القرآن، ثمّ اختصره في "سلالة المفتاح"، و الكتب الأخرى التي كتبها في هذه الفترة هي: "الفرائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة " و"سرّاج جامع البخاري" و"مصباح الراوي" و"ألّفية الأصول" و" الحصن الرّصين" و"ضوء المصلي" و هذه المؤلفات كلها في النظم، و كتب أيضا في هذه الفترة مؤلفات أخرى في النثر لكنّها قليلة مثل:"ضياء الخلفاء" و"فتح البصائر" و "كتاب النيّات" و"تاريخ الصالحين" و"لباب المدخل" وهذه المؤلفات المكتوبة في النثر هي في علم التصوف والأخلاق، ما عدا الأخير، ولم تكن ذلك مؤلفة لغرض تدريس الطلاب في المجالس العلمية، لذا كتبها في النثر.

أمّا الكتب السابقة المكتوبة بالنظم فهي لتدريس الطلاب والحفظ و المدارسة، لذا كتبها فضّل أن تكون منظومة، ما عدا التفسير، فأنّه لا يكتبه في النظم، وإن كان بغرض تدريس الطلاب، فنجد المؤلفات المنظومة للطلبة مثلا:"خلاصة الأصول" "البحر المحيط" "كفاية العوام" في البيوع، و"كفاية الطلاب" في النكاح.

هذا.. وتميّزت هذه الفترة بتأثر عبد الله بن فودي بالإمام السيوطي ومؤلفاته.[١]

ثانيا:مؤلفات فترة الجهاد (١٨١٧م-١٨٠٤ه)

في هذه الفترة أصدر ابن فودي مؤلفات تتعلق بمشاكل الأمة الإسلامية في أمورها، ورأى أنّها قد ابتعدت عن النور والضياء الذي أنزله الله إلى الأرض؛ وهو القرآن، فكتب سلسة مؤلفات

---

١ Abdul Hamid,Ali (P.H.D thesis, Ahmadu Bello university, Zaria,1980(Abdullahi bin fodio as a muslim exegiest)p:١٠٦-١١٥.بتصرف .

موسومة باسم: "الضياء" والتي جُمِعَ بعضها من بعده في كتاب واحد سُمّي:"مجموعة الضياءات" تحدث فيها عن الأمور الواجبة للحكام و الدولة: إدارة شؤون الدولة، والحرب بين المسلمين و الكفار، والجزية، وتنفيذ الأحكام والأوامر، والأمور الأخرى التي تتعلق بالدولة، وأبدى عبد الله اهتمامه بولي الأمر، لأنّه هو القائد الذي يصلح على يديه أمور المسلمين، وحثّه على الاقتداء بالمثل العليا من تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفاءه الراشدين في أموره العامة والخاصة.

ثمّ كتب بعد ذلك: "إيداع النسوخ" و"تزيين الورقات" و"ضياء السند" التي احتوت معلومات حول إنتاجاته وشيوخه، ومساهمته في الجهاد وتكوين الدولة الإسلامية في صكتو تحت زعامة الشيخ عثمان بن فودي أخوه الكبير.

ثالثا: مؤلفات ما بعد وفاة الشيخ عثمان (١٨٢٩م-١٨١٧هـ)

إنّ ما حدث بعد وفاة الشيخ عثمان أخو عبد الله بن فودي وشيخه وإمامه في الدين، جعلت عبد الله يفقد الثقة في المجتمع وأمورهم، ولاحظ أنّه بدل الاستمرار في الجدال معهم و إضاعة الوقت في ذلك، مع عدم استجابة الناس له، سيكون من الأفضل له أن يحثّهم على الإقبال إلى الله وعبادته، ومتابعة سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرب لهم المثل العليا في حياة السلف الصالحين، وبدأت مؤلفات علماء التصوف تظهر في كتاباته، مثل كلام الإمام الغزالي، وأحمد زروق، وإن كنّا نجد كتابين من كتبه التي ألّفها في هذه الفترة تحدّثت عن أمور السياسة في الوقت، إحداهما:" سبيل السلامة في الإمامة" كتبه بعد المحاولة اليائسة في السفر إلى صكتو للمشاركة في تجهيز دفن الشيخ عثمان بن فودي، حيث أغلقت الأبواب دونه، حيث تحدث في الكتاب عن نظام الحكم والدولة في الإسلام، لما رأى أنّ الحكم و الدولة بعد وفاة أخيه الشيخ عثمان ليست على نظام الحكم الإسلامي، وتكاد تميل إلى نظام الجاهلية الأولى، وتترك تعاليم الشريعة في حساباتها وحكمها وقراراتها، وأبدى معارضته في نظام اختيار الخليفة أو السلطان محمد بلّو بن الشيخ عثمان الخليفة، وأثار الشّك في استحقاقه ذلك، لأنّ لم يكن عن

طريق "الشورى"، واعتبر أنّ غصب السلطة التي لم تجر على استشارة الناس "خيانة" وذكر سيرة عثمان بن عفّان استشهادًا على ما يحدث في ذلك الوقت.

والكتاب السياسي الثاني الذي كتبه في تلك الفترة هو:"ضياء السياسة" كتبه في سنة:(١٢٣٥هـ) التي وقعت فيها حرب كلمبينا (kalambaina)، والكتاب احتوى على مقدمة وفصلين، وخاتمة، تحدث في المقدمة عن شكواه في اختفاء طلبة العلم، وعدم ظهور العلم، ونقله من القلب إلى الورقة، وغلبة الجهل و الرغبات الشخصية على الناس، ثمّ القسم الأول من الكتاب، تحدث فيه عن السياسة الشرعية، والقسم الثاني منه جمع فيه فتاوى العلماء وآرائهم في مختلف أمور الدين، وفي الخاتمة تحدث فيها عن أركان التصوف، والدافع الحقيقي من وراء كتابة هذا الكتاب غير واضح، لأنّه ذكر لنا أنّه كتبه بعد طلب أحد إخوانه له أن يكتبه، لكن من الملاحظ أنّه ألّف الكتاب بعد رجوع الأمور كما كانت بين إمارة غندو التي يرأسها عبد الله، و صكتو التي هي العاصمة التي يرأسها ابن أخيه محمد بلّو بن الشيخ عثمان.

ثانيا: التعريف بتفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل ومنهجه

يعتبر تفسير عبد الله بن فودي المسّمى ضياء التّأويل في معاني التّنزيل، من التّفاسير الّتي جمعت المنقول و المعقول،وانتهج فيه مؤلّفه منهج التّلخيص والاختصار دون إخلال بالمقصود،كما هو عادته في التّأليف، و هذا المنهج-أعني منهج التّلخيص والاختصار- هو الّذي كان سائدا في ذلك الوقت، في أكثر أنحاء العالم الإسلامي، وكان تأثر عبد الله بهذا المنهج طبيعيّا، لأن الكتب التي وصلت إليه والتي استفاد منها كانت ألّفت على هذا المنهج،[1]فمثلا تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرّحمن الثّعالبي الذي اعتمد عليه ابن فودي كثيرا كان عبارة عن مختصر لتفسير ابن عطيّة مع زيادة نقول نقلها عمّن سبقه من المفسّرين، وكذالك تفسير البيضاوي أنوار التّنزيل هو أيضا مختصر من تفسير الكشّاف للزّمخشري مع تركه للاعتزالات الموجودة فيه.

---

[1] *مقدمة الفرائد الجليلة/ ص: ٣٨ .*

هذا، وقد افتتح ابن فودي تفسيره بمقدمة مختصرة- كما هو عادة أكثر المفسرين- بيّن فيها سبب تأليفه لهذا التفسير وما يعتمد عليه في الأقوال، والأمور التي سيهتمّ بها، وتكلّم كذلك عن علم التفسير ببيان حدّه وما يستمدّ منه وأهميته وصفات المفسر والفرق بين مصطلحي التفسير والتّأويل ووجوه النّظر في القرآن الكريم.

ونرى لزاما علينا بصدد حديثنا عن منهج عبد الله في هذا التفسير، أن نذكر هذه المقدمة لكي ننطلق بعد ذلك إلى مدرسة هذا العالم في تفسيره، بذكر النماذج والأمثلة؛ لتقرير ما جاء في المقدمة والتي نستنبطها من غير ما عبّره عن منهجه، يقول ابن فودي في مقدمة ضياء التّأويل:

"...وبعد: فهذا لما اشتدّت حاجة الرّاغبين، وإلحاح الملحّين، أن أكتب لهم تفسيراً يفهمون به كتاب الله، مع الاعتماد على أرجح الأقوال، بإعراب ما يحتاج إلى الإعراب منه، والتنبيه على القراءات المشهورة بتبدعة قراءة نافع رواية ورش عنه، إذ هي قراءتنا في هذه البلاد، وبيان الأحكام الشرعيّة مع رعي مذهب مالك فيها، إذ هو مذهبنا في الأحكام الشرعيّة الفرعيّة و التنبيه على ما يتعلق بالبلاغة، فأجبته إلى ذلك راجياً من الله تيسيره وثوابه، وسمّيته: ضياء التّأويل في معاني التّنزيل.

واعلم أنّ علم التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزّل، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِه، واستمداد ذلك من علم النحو، واللغة، والتصريف، وعلم المعاني والبيان و البديع، وأصول الدين، والفقه، وأصول الفقه، والقراءات، وعلم أسباب النزول والناسخ و المنسوخ.[1] قال البيضاوي: علم التفسير هو رأس العلوم الدّينيّة، ومبنى قواعد الشرع لا يليق لتعاطيه والتّصدي للتّكلم فيه إلاّ من برع في العلوم الدّينية كلها، أصولها وفروعها، وفاق في الصّناعات العربية والفنون الأدبيّة بأنواعها. وقال أبو عبيد: التفسير والتّأويل بمعنىً واحد. وقال أبو العبّاس الأزدي: النّظر في القرآن من وجهين: الأوّل من حيث هو منقول وهي جملة التّفسير وطريقه الرّواية

[1] هذا التّعريف هو للزركشي في البرهان ج ١ ص : ١٤ ط\ دار الجيل بيروت-لبنان -١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ .

والنقل. والثّاني: من حيث هو معقول وهي جملة التّأويل وطريقه الدِّراية والعقل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)﴾ (الزخرف).

فلا بدّ من معرفة اللّسان العربي في فهم القرآن العربي، فيعرف الطّالب الكلمة وشرحها و إعرابها، ثمّ ينتقل إلى معرفة المعاني ظّاهراً وباطناً، فيوفي لكلّ منها حقّه.اه قلت- عبد الله بن فودي- : فالتفسير هو القطع على الله بأنّه عنى بهذا اللّفظ هذا المعنى فلم يجز إلاّ بالنّقل عن النبي ﷺ والتّأويل هو ترجيح أحد المحتملات بدون القطع فيه، والله أعلم".[1]

-أولاً:موقف عبد الله بن فودي في تفسيره من المذاهب العقدية:

إنّ الشيخ عبد الله بن فودي سلفي المذهب، أشعريّ العقيدة، ولهذا السبب نراه كثيراً ما يفنّد آراء المعتزلة، والخوارج، والقدريّة، والمرجئة، والشيعة، ويصحّح أغاليطهم، ويدحض حججهم، ويذكر مذهب أهل السنّة والجماعة ويؤيّده، ويَرُدّ ما يَرِدُ عليه من جانب المخالفين لهم. فمثلاً نجده عند ما جاء يفسر قوله تعالى:﴿و سارعوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السّموات و الأرض أعدّت للمتقين(١٣٣)﴾(آل عمران) يذكر لنا مذهب أهل السنّة فيقول:".... ومذهب أهل السنة أنّها- الجنّة- فوق السموات تحت العرش..... فيه دليل على أنّها مخلوقة الآن".[2]

ومن أمثلة ردّه لأهل البدعة والأهواء قوله في تفسير قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا(١٤٥)﴾(آل عمران):"....فيه ردٌّ على المعتزلة في قولهم بالأجلين".[3]

وقال عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٧٦)﴾ (آل عمران):"....وفي ذكر الإرادة إشعار بأنّ كفرهم بلغ الغاية حتّى أراد أرحم الرّاحمين ألاّ يكون لهم حظٌّ من رحمته التي

---

[1] *ضياء التّأويل ج ١/ ص : ٧* و انظر لخدمة هذه التّعريفات : الإتقان للسيوطي ج ٤ ص: ١٥٢.

[2] *ضياء التّأويل ج ٤ ص ١٤١.*

[3] *ضياء التّأويل ج ١ ص ١٤٤.*

وسعت كلّ شيء، وأنّ الخير والشرّ بإرادة الله، وفيه ردٌّ على القدرية والمعتزلة".[1] وقال في تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ(١٧)﴾ (النّساء):".... وإنّما حاصرة أي ليست التّوبة إلاّ لهذا الصنف وتصحّ وإن نقضها في ثاني حال و لو مع الإقامة على ذنب آخر غير نوعه، خلافاً للمعتزلة في قولهم: لا يكون تائباً من أقام على ذنب".[2]

وأمّا مثال ردّه على الخوارج فقوله في تفسير قوله تعالى:﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ(٤٤)﴾(المائدة):"حقيقةً لاستحلالهم الحرام المجمع عليه، أو المراد بالكفر، كفر دون كفر، إن كان بغير استحلال، فلا دليل للخوارج بالآية في التّكفير بالمعاصي...".[3]

ونختم هذا الباب بمثال رائعٍ في ردّ ابن فودي على مذاهب أهل البدعة والأهواء، وتقريره لمذهب أهل السنّة، قال عند تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا(٤٨)﴾(النساء):"قال في الجواهر الحسان: هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات الوعد والوعيد، وتلخيص الكلام فيها أن يقال: النّاس أربعة أصناف؛ كافر مات على كفره؛ فهذا مخلّد في النّار بإجماع، ومؤمن محسن لم يذنب قطٌّ و مات على ذلك؛ فهذا في الجنّة بإجماع، وتائب مات على توبته فهو عند جمهور أهل السنّة في الجنّة، ومن المتكلمين من قال:في المشيئة. و مذنب مات قبل التّوبة؛ موضع خلاف الطّوائف، قال أهل السنّة:في المشيئة، والمعتزلة قالوا:في النّار إن كان صاحب كبيرة، وقال الخوارج:مخلّد في النّار مطلقاً، إذ كل ذنب عندهم كبيرة، وقالت المرجئة: هو في الجنّة بإيمانه لا يضرّه الذنب، فالآية نصٌّ في موضع النّزاع؛ إذ قوله: لا يغفر أن يشرك به مجمع عليه، وقوله: و

---

[1] *ضياء التّأويل ج ١/ ص: ١٥٤.*

[2] *ضياء التّأويل ج ١ / ص: ١٧٠.*

[3] ضياء التّأويل ج ١ /ص: ٢٤٠

يغفر ما دون ذلك ردٌّ على المعتزلة والخوارج، وقوله: لمن يشاء ردٌّ على المرجعة لبيانه أنّ غفران ما دون الشرك إنّما هو لقوم دون قوم، بخلاف ما زعموه من أنّه مغفور لكلّ مؤمن اهـ ملخّصاً[١].

هذا هو المنهج الذي سار عليه ابن فودي في تفسيره لآيات العقيدة ، فهو يطوّل عندما تكون المسألة موضع خصومة بين أهل الطوائف كلهم، ويختصر عندما يكون المخالفون قليلين بالنسبة لغيرهم .

-ثانيا:طريقته في تفسير آيات الأحكام:

كان ابن فودي يجمع أقوال الفقهاء الأربعة والظاهرية، وأقوال بعض الأئمة كالحسن البصري وغيره، عندما يقف في تفسير آية تشتمل على مسائل فرعية ، وكان اعتماده في تفسير آيات الأحكام على كتب المالكية التي صنّفت في الفقه والتفسير، كأحكام القرآن لابن العربي، وتفسر ابن عطية المحرر الوجيز، وشرح مختصر الخليل لعبد الباقي الزرقاني ، والقوانين الفقهية لابن جزي الغرناطي ، وغيرها من الكتب المالكية.

وكان يصحح بعض أقوال ابن العربي في المذهب وينقل اختلاف المجتهدين في المذهب المالكي كابن القاسم و أشهب وغيرهما. ويجدر بنا أن نعطي بعض الأمثلة من تفسيره لبعض آيات الأحكام حتى نقف على ملامح منهجه في هذا الباب، فمثلا عندما جاء يفسر قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى(١٧٨)﴾(البقرة) قال ابن فودي :"... ولا يقتل الحر بالعبد عند مالك والشافعي سواء كان عبده أو عبد غيره، وقال الحنفي:يقتل بعبد غيره، وقال داود: يقتل بعبده وعبد غيره ... — ثم قال في تفسير الآية ﴿والأنثى بالأنثى﴾: "وبيّنت السنة أن الذكر يقتل بها عند الأئمة الأربعة

[١] انظر: الجواهر الحسان، عبد الرحمن الثعالبي/ ط:الأولى،١٩٩٧م/المكتبة العصرية ،صيداء، بيروت ، لبنان، تحقيق: محمد الفاضلي/ ج١/ ص:٣٥٢، و الكلام أكثر مما عند ابن فودي.

خلافا للحسن البصري .[1] ثمّ تحدّث ابن فودي عن هذه الآية وذكر اختلاف الأئمة وأقوالهم فيها والمسائل التي أجمعوا عليها أو اختلفوا فيها.

وقال في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ(٣٣)﴾(المائدة) "قال أبو حنيفة:معني النفي الحبس، فيسجن في بلده حتى تظهر توبته، والنفي خاص بالحرّ، و(أو) للتخيير؛ فالإمام مخير في قطّاع الطريق بين هذه العقوبات بالنظر لا بالهوى، على مذهب مالك وهو ظاهر الآية. وقال باقي الأئمة:(أو) للتفصيل والتنويع على ترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، وهذا منهم تحكّم، ويجمع بين القتل والصلب فيقدم الصلب عند ابن القاسم ويؤخر عند أشهب [2].

وكذلك نجد ابن فودي يعتمد على الإجماع، ويرد على من خالفه، كما قال في تفسير آية الوضوء:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ(٦)﴾(المائدة)"...والخطاب للمحدثين بقرينة الحال،وبتصريحه في البدل للإجماع على عدم وجوب الوضوء على من لم يحدث، والوضوء لكل صلاة مستحب عند الجمهور، خلافا لمن أوجب، لظاهر الآية؛ لأنه خلاف الإجماع، ولأنّه عليه السلام صلّى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح، فقال عمر:"صنعت شيئا لم تكن تصنعه".[3]ومن قال:الأمر في هذه الآية

---

[1] ضياء التأويل / ج ١ /ص: ٦٦.

[2] المرجع السابق / ج ١/ ص:٢٣٦.

[3] الحديث أخرجه مسلم ك / الطهارة باب جواز الصلوات كلها بوضوء واحد / ج ١ /ص: ٢٣٢ وأبو داود ك /' طهارة باب الرجل يصلى الصلوات بوضوء واحد /ج ١ / ص: ٩٣ ، والترمذي ك / طهارة باب أنه يصلى الصلوات بوضوء واحد ج ١ /ص :٨٩ ، و ابن ماجه ك / طهارة باب الوضوء لكل صلاة والصلوات كلها بوضوء واحد ج ١ ص :١٧٠ . وصححه الألباني .

للنّدب، تخصيص لا دليل عليه، وكذا من ادّعى النّسخ، لأنّ المائدة نزلت بعد الفتح في آخر ما نزل فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها[1].

وهكذا انتهج ابن فودي في تفسير آيات الأحكام فجعل تفسيره دائرة بين آراء الفقهاء و المفسرين، بصرف النظر عن اختلاف مذاهبهم، لذا نراه يستشهد في الأحكام بالكتب المالكية في الفقه والتفسير، كما سبق أن ذكرنا ذلك في أوّل هذا الباب، وتفاسير الحنفيّة كتفسير غاية الأماني لإسمائيل الكوراني، ومدارك التنزيل للنسفي وغيرهم، وتفاسير الشافعيّة كلباب التّأويل للخازن، وأنوار التنزيل للبغوي، وتكملة تفسير الجلال المحلى للسيوطي وغيرهم.

رابعاً:عناية ابن فودي ببيان المسائل الأصولية:

كان ابن فودي يهتم بذكر المسائل الأصولية عند تفسيره للآيات القرآنية التي يعتمد عليها الأصوليون، في تقعيد القواعد، و تأصيل الأدلة الشرعية التشريعية الثابتة بنصوص الكتاب و السنة، و اهتم ابن فودي بصفة خاصة ببيان أصول المذهب المالكي و يستشهد لها بالآية التي هو بصدد تفسيرها، و لتقرير ما قلنا نسوق بعض الأمثلة :

١- قال الله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا(٢٩)﴾(البقرة) قال ابن فودي:"...واستدلّ به على أنّ أصل الأشياء بعد البعثة الإباحة إلاّ لدليل الحظر."[2]

٢- قال الله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا(١٤٣)﴾(البقرة) قال ابن فودي:"...و استدل به على أنّ الإجماع حجّة إذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لبطلت به عدالتهم."[3]

---

[1] *ضياء التأويل/ ج ١ /ص: ٢٢٨.*

[2] المرجع السابق/ ج ١ ص: ٢٣.

[3] المرجع السابق/ ج ١/ص:٥٥.

٣- قال الله تعالى:﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٧)﴾(النساء) قال ابن فودي:"...روي أنّ أوس بن الصامت الأنصاري خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات، فحاز ابنا عمّه سويد وعرفجة ميراثه على سنّة الجاهلية، فشكت ذلك إلى رسول الله فنزلت، فبعث إليهما لا تفرقا من مال أوس شيئاً، فإنّ الله قد جعل للنساء نصيباً حتى يبين فنزلت (يوصيكم الله)، فأعطاها الثمن والبنات الثلثين، و الباقي لهما، وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب".[1]

٤- قال الله تعالى:﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ(٥٩)﴾(النساء) قال ابن فودي:"..ولا دليل في هذا لمنكري القياس، إذ الردّ إليهما قد يكون بالجامع وهو القياس."[2]

وأما أمثلة اهتمام ابن فودي ببيان أصول المذهب المالكي فكقوله تعالى في قصة قتيل بني إسرائيل :﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٧٣)﴾(البقرة) قال ابن فودي:"...وقد استدل مالك رحمه الله بما تقدّم من قول القتيل وقتل قاتله، على صحة القول في القسامة بقول المقتول:دمي عند فلان؛ لأنّ شرع من مضى من الأنبياء- بما أخبرنا عليه السلام عنهم- شرعٌ لنا إلاّ ما بيّن نسخه وهذا صريح مذهب مالك في مسائله كلها."[3] ومن هذه الأمثلة أيضاً قوله تعالى:﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ(١٠٨)﴾(الأنعام) قال ابن فودي:"...وفيه دليل على أنّ الطاعة إذا أدّت إلى معصية راجحة وجب تركها فإنّ ما يؤدي إلى

[1] المرجع السابق/ ج١/ص :١٦٤.

[2] ضياء التأويل/ ج ١/ص:١٨٩.

[3] المرجع السابق/ ج١/ص:٣٧-٣٦.

الشرّ شرٌّ. قال ابن العربي في الأحكام: تعلّق علماؤنا بهذه الآية في سدّ الذّرائع وهي كلّ جائز في الظاهر يمكن أن يوصل إلى المحظور اهـ."[1]

-خامساً:منهج ابن فودي النحوي و اللغوي:

ركّز ابن فودي فيما يذكره من مسائل النحو و اللغة على الاختصار، وعدم التّوسع في ذكر الأقوال إلاّ في بعض الأماكن، وحرص كذلك على ذكر الأقوال ونسبتها إلى أصحابها، ثمّ يبدأ بعدها بذكر ما ترجّح عنده منها، ويفضّل من الوجوه الإعرابية ما كان أقوى من النّاحية البلاغيّة، ويوجّه الإعراب لخدمة المعنى وترك الألفاظ جانباً، وكذلك يسير على منهج النّظر للقراءات و الترجيح بها عند الاختلاف، ولتوضيح هذه النّقاط أسوق لأغلبها بعض النماذج و الأمثلة وأبيّنها من خلال هذه الأمثلة:

١- قال ابن فودي في قوله تعالى:﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ(١٠٣)﴾(المائدة)" اسم فاعل حمى: حفظ. قال القسطلاني: يجوز كون (جعل) بمعنى سمّى فيتعدّى لاثنين، أحدهما محذوف، أي ما سمّى الله حيواناً بحيرة، وهو قول أبي البقاء، ومنع أبو حيّان كون (جعل) هنا بمعنى (شرع) و (وضع) أو (أمر) قال: إذ لم يذكر النحويون لها هذا، و خرّج الآية على التصيير، وجعل المفعول الثّاني محذوفاً، أي ما صيّر الله بحيرة مشروعة. قال الثعالبي: كلام أبي حيّان شهادة على نفيٍ، وعلى تقدير صحّته فيحمل كلام غيره على أنه تفسير معنىً لا تفسير إعراب.اهـ قلت:- ابن فودي- الأولى لا تفسير لغة والله أعلم.[2]

٢- ومن النماذج على هذا المنهج الذي ذكرنا قوله في قوله تعالى:﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ...(١٠٠)﴾(الأنعام) :"... قال ابن عطيّة و غيره: الجنّ هو المفعول الأوّل لـ (جعل) و

---

[1] المرجع السابق/ ج١/ص:٢٩١. وانظر:ابن العربي،محمد بن عبد الله،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م/ أحكام القرآن/ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/٢/٢٦٥.

[2] *المرجع السابق/ ج ١/ص: ٢٥٦.*

(شركاء) الثّاني، و لله متعلق بشركاء أو حال منه و جوّز بعضهم أن يكون الجنّ بدل من شركاء و الله في موضع المفعول الثاني، وشركاء الأول، وردّه أبو حيّان بأنّ البدل حينئذٍ لا يصحّ أن يحلّ محلّ المبدل منه، إذ لو قلت: وجعلوا لله الجنّ، لم يصحّ، وشرط البدل أن يكون على نيّة تكرار العامل على الأشهر. قال الصفاقسي: وفيه نظر.اه قلت- ابن فودي- قد بيّن وجه النظر صاحب غاية الأماني بقوله: لا يشترط استقامة المعنى بذلك لأنّ المبدل منه ليس في حكم التنحية من كلّ وجه.[1]

ومن أمثلة نظر ابن فودي للقراءات وتوجيهه الإعراب إليها، قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ(١١٩)﴾(المائدة) قال ابن فودي:" بنصب (يوم) على المفعول فيه لنافع ، والإشارة إلى قوله:(أأنت قلت للناس) أي هذا اليوم يوم ينفع الصادقين على أنه خبر، ويجوز ذلك على قراءة النصب بجعله مبنيا، وإن أضيف إلى معرب، وإن منعه بعضهم. قال ابن مالك في الخلاصة : ومن بني فلن يفندا ** ... ".[2]

وأما منهجه اللغوي فهو الاستشهاد بالأبيات في تفسير بعض الكلمات والألفاظ الغريبة، ويشرح أحيانا بعض كلمات البيت المستشهد به، وكذلك الأحاديث يستشهد بها، ويفسر الكلمات الغريبة فيها وكان يرجع إلى الشعر القديم في استشهاده اللغوي، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ...(٤٧)﴾(النحل) قال ابن فودي:" تنقّص شيئا فشيئا، حتى يهلك الجميع، روي أن ابن الخطاب قال على المنبر ما تقولون في قوله تعالى:(على تخوف)؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا؛ التخوف التنقص، فقال هل تعرف العرب في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كثير يصف ناقته:

تخوف الرحل منها تامكا قردا ** كما تخوف عود النبعة السفن

---

[1] ضياء التأويل /ج ١ص: ٢٨٩.

[2] المصدر السابق ج١/ص: ٢٦٢.

قال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوه، قالوا وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم أهـ. قلت (ابن فودي): التامك هو السنام، والقرد هو الذي تمعّر شعره، والنبعة واحد النبع شجر السهام، والقسي ينبت في قلّة الجبل والنابت منه في السفح الشريان، وفي الحضيض الشوحط، والسفن محركة حجر ينحت به ويلين به السهام، أو كل ما ينحت به، والله أعلم. وقد جاء إلى عمر أيضا رجل فقال :إن أبي يتخوّفني مالي، فقال عمر: الله أكبر أو يأخذهم على تخوف منه. ومنه قول النابغة :

تخوفهم حتى أذلّ سراتهم ** بطعن ضرار بعد نبح الصفائح [١]

وقال ابن فودي: يستشهد بقول المسيّب عند تفسير كلمة (ريع) التي في قوله تعالى:﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آَيَةً تَعْبَثُونَ(١٢٨)﴾(الشعراء) قال ابن فودي:" مكان مرتفع أو بكل طريق، ومنه قول المسيّب يصفّ الظعن بالهوادج:

في الآل يرفعه ويخفضها ** ويقصدها ريع يلوح كأنه سهل.[٢]

-سادساً:عناية ابن فودي بالكشف عن بلاغة القرآن وسرّ إعجازه:

إنّ عبد الله ابن فودي قد وفى بما ذكره في مقدّمته التي سبق ذكرها، من بيان وتنبيه ما يتعلق بالبلاغة في تفسيره، ومن الجوانب التي يعالجها فيما يتعلق بالبلاغة، التشبيهات القرآنية و بيان رونقها وذوقها، وكذلك الاستعارات، و بيان دقّة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ والمفردات *المناسبة*، فهو يختار من بين الألفاظ المترادفة ما يحسن موقعها في البيان، إلى جانب بيانه السرّ فيما يحذف من ألفاظ القرآن أو يوجز في الحديث عنه، ويتحدّث عن المناسبات التي بين السور القرآنية وآياتها أحياناً، وإليكم بعض النماذج والأمثلة على ما ذكرنا:

---

[١] ضياء التأويل /ج٢ /ص: ٢٢٧.

[٢] المرجع السابق /ج ٣ /ص: ١٦٠.

١–قال في قوله تعالى:" ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ(٤٥)﴾(العنكبوت) قال ابن فودي:"(ولذكر الله أكبر) أي الصلاة أكبر من سائر الطاعات، عبّر بالذكر للتعليل، فإن اشتمالها على ذكره هو عمدة في كونها مفضّلة على الحسنات، ناهية عن السيئات. والذكر هو العمدة في سائر العبادات ...(والله يعلم ما تصنعون)... وفي إيثار الصنع على العمل، حثّ على الطاعة بالقلب والجوارح؛ لإعلامه زيادة تعمل وكلف".[1]

٢–وقال في قوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ(٣٣)﴾(ق)"...وفي إيثار الرحمن من بين أسماءه تعالى، وجعله مقرونا بالخشية بالثناء على الخاشي بأنه يخشاه مع علوّه بسعة رحمته ولم يغتر بذلك".[2]

٣–وقال عند تفسير قوله تعالى:"﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ(١٧)﴾(البقرة) قال ابن فودي:"(بنورهم ولم يقل بنارهم لأنه المراد من إيقادها ... ولذا عدل عن الضوء إلى النار، إذ لو قال ذهب الله بضوئهم، لاحتمل بقاء النور، والغرض إزالته بالكلية عنهم ، ولهذا أكدّه بقوله (وتركهم في ظلمات لا يبصرون)".[3]

–سابعاً:ابن فودي وبيان الدقة في اختيار الصيغ للألفاظ القرآنية:

حاول الشيخ عبد الله بن فودي في بيان أوجه الدقة في الألفاظ والصيغ التي يختارها القرآن الكريم في تعبيره البلاغي المعجز، واستعمل قريحته في استنباط سر تلك الألفاظ والصيغ، والآن نسوق بعض الأمثلة على ذلك:

---

[1] المرجع السابق /ج ٣ /ص: ٢٠٥.

[2] ضياء التأويل /ج ٤/ص :١٣٨.

[3] المرجع السابق / ج١ /ص:١٥.

١–قال ابن فودي عند قوله تعالى:﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦)﴾(الشعراء) "وأفرد الرسول لاتحاد المرسل به فكأنهما واحد، أو لأنه مصدر وصف به؛ لأنه مشترك بين المرسل والرسالة، كقوله: ألا أبلغ أبا عمرو رسولا **.

وقوله :

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم **بسر ولا أرسلتهم برسول

٢–وقال عند قوله تعالى:"﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ(١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ(١٠١)﴾ (الشعراء)وجمع الشفيع دون الصديق لكثرة الشفعاء، وقلة الأصدقاء كما قيل:

صاد الصديق وكاف الكيمياء معا** لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا.

أو لأن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الصديق على الجمع كالظهير."[1]

٣–وقال عند قوله تعالى:﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١)﴾(النحل) " آثر جمع القلة إيماءاً إلى أنه لم يخل بالشكر لو قلّت، كيف وهي من الكثرة بحيث لا تحصى".[2]

ومن أمثلة بيان ابن فودي للتشبيهات القرآنية، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)﴾ (العنكبوت) قال ابن فودي في تفسير الآية:" لا يدفع عنها حرّا ولا بردا، كذلك الأصنام لا تنفع عابدها، شبّه ما اتخذوه متكلا في دينه بما هو مثل عند الناس في الوهن، والغرض من هذا التشبيه،

---

[1] المرجع السابق /ج ٣ /ص :١٥٩.

[2] ضياء التأويل/ ج ٢ /ص:٢٤٣ . وينظر أيضا البلاغية القرآنية لدى عبد الله بن فودي عبد الباقي شعيب أغاكا رسالة الدكتوراه /ص:٣٨٠ – ٣٨٥.

تقرير وهن دينهم، وأنه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها، وهذا كتشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل، بالراقم على الماء من تشبيه المركب بالمركب".[1]

ومن أمثلة عناية ابن فودي ببيان أسرار ما يحذف من القرآن أو يوجز في الحديث عنه قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ(١٧٦)إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ(١٧٧)﴾(الشعراء) قال ابن فودي:"لم يقل أخوهم، لكثرة ذكره في القصص، فحذف هنا إشارة إلى أن القصص قد تمّت، وقد رمز إلى ذلك بحذف التاء أيضا في كذّب وهو من غوامض أسرار القرآن واختصاراته. ومن يقول لأنه ليس منه فذلك وهم،لحديث:(إنما يبعث كل نبي إلى قومه وبعثت إلى الأحمر والأسود)[2] نبّه على هذا حذاق أهل التفسير".[3] وقال أيضا في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢)﴾(القمر)"لا يعجزه شيء، وترك ذكر التيسير والادّكار هنا، لأنّه آخر القصص فاختصر ليدل الاختصار على الاقتصار وهذا من أسرار التنزيل كما قدّمناه "[4]

ومن أمثلة هذا أيضا قوله تعالى:﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢) ﴾(الكهف) قال ابن فودي:"أصله تستطيع فحذف التاء تخفيفا ، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين ، واختص هذا المحل به دون الأول لأنه آخر القصة فيدل الاختصار على الاقتصار ، وهذا من غامض كلامه".[5]

هذه هي بعض الجوانب التي استطعنا دراسة منهج ابن فودي فيها، وإن كان هناك جوانب أخرى، والتي ستأتي بعضها في مبحث خاص، كمنهجه في التعامل مع الإسرائيليات و

---

[1] ضياء التأويل /ج ٣ /ص:٢٠٤.

[2] لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ ،و ربما ذكره ابن فودي بالمعنى، و هو عند مسلم بلفظ:" كان كلّ نبي يبعث إلى قومه خاصة و بعثت إلى كلّ أحمر و أسود"صحيح مسلم:ك:المساجد و مواضع الصلاة/ج١/ص:٣٧٠/حديث:٥٢١. وعند البيهقي في السنن الكبرى بهذا اللفظ أيضا:ك:الحيض/ باب الصلاة في الكعبة/ج٢/ص:٣٢٩/ حديث:٣٦١٢.

[3] المرجع السابق/ ج٣ /ص :١٦٢.

[4] المرجع السابق /ج٤ /ص: ١٥٩.

[5] المرجع السابق /ج ٣/ص:٢١.

الموضوعات، وكذلك منهجه في بيان الآيات والألفاظ المكرّرة واهتمامه ببيان أسرار فواصل الآي القرآنية وغير ذلك.

-ثامنا: منهج ابن فودي في التعامل مع الإسرائيلية

إنّ المتتبّع لمنهج ابن فودي في التعامل مع الإسرائيليات، يلاحظ أنّ لمنهجه ملامح عامّة تتكرّر مع كلّ نموذج في الغالب، وملامح خاصّة يجدها في بعض النماذج دون بعضها، فمن تلك الملامح العامة لمنهجه قبل الكلام عنها بالتفصيل:

أ-الملامح المنهجية العامة:

١-اعتماده على المفسرين في نقد الإسرائيليات عند ذكرها .

٢-يبدأ بذكر القصّة الإسرائيلية أوّلاً و يلخصها، ثمّ يذكر كلام المفسرين فيها.

٣-عدم نقله الكامل لنصوص المفسرين، إنّما يذكرها بالتلخيص أو بالمعنى.

٤-يذكر القصّة الإسرائيلية بصيغة التمريض بدون أن يذكر المصدر الذي نقلها أو أخذها من كتب التفاسير.

ب-الملامح المنهجيّة الخاصّة:

١-يتوسّع في نقد بعض الإسرائيليات، و يجمع أقوال العلماء تحتها.

٢-يجمع أقوال المفسرين و يجعلها في عبارة واحدة مختصرة ثمّ يذكر كلام بعضهم في نقدها.

٣-كان يرجّح بعض كلام المفسرين على بعض في نقد الإسرائيليات.

٤-إذا وجد كلاماً المفسرين قد اتّفقت في نقد القصة، يكتفي بقول واحدٍ منهم، و في حالة اختلافها يوردها كلّها.

٥-يعتمد في بعض الأوقات على ما عنده من النقد و البيان دون الاعتماد على المفسرين.

٦-يبدأ بتفسير الآية بمقتضاها اللغوي و دلالتها في المعنى، ثمّ يذكر ما روي فيها من الإسرائيليات مع ذكر كلام المفسرين في ذلك.

٧-يذكر كلام بعض الصحابة و التابعين فيما يروى عنهم من الإسرائيليات، فيقول مثلاً: (و عن ابن عبّاس) أو (قال وهب) أو (و قال قتادة).

٨-يطوّل الكلام في نقد بعض الإسرائيليات و يختصر في بعضها.

٩-يعتمد على الآيات القرآنيّة و الأحاديث النبويّة و قوانين العقل في نقد الإسرائيليات.

١٠-لم ينتقد بعض الإسرائيليات التي ذكرها عن الناقلين لها، و أكثر هذا الصنيع منه كان في النوع المباح ذكرها من الإسرائيليات.

والآن إليكم الكلام في هذه الملامح المنهجية العامة منها والخاصّة بالتفصيل:
١-**النّموذج الأول**: إنّ من منهج ابن فودي في التّعامل مع القصص الإسرائيليّات، هو عدم ذكر الإسناد لها، أو ذكر مصدرها من كتب التّفاسير التي تذكرها، وإنّما ينقل القصة ويصدرها بإحدى ألفاظ التمريض، كـ (قيل) أو (رُوِيَ) أو (ذُكِرَ) أو غير ذلك من الألفاظ، التي تدلّ على أنّ ما يُذكر فيها ليس بمسلّم، بل يحتاج إلى النّظر والنقد؛ لذلك نراه كثيرا ما يذكر أقوال العلماء من المفسّرين والمحدّثين وغيرهم في نقد القصّة أو الرّواية التي أصدرها بهذه الألفاظ،كما صنع في قصّة أصحاب الكهف عند تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)﴾(الكهف)، أصدر القصّة بقوله:"روي أنّ تمليخا لما خرج من الكهف أنكر البناء المهدوم؛ إذ لم يعرفه بالأمس ثمّ مشى فجعل ينكر الطريق و المعالم... واستمر في ذكر قصّتهم مع ملك تلك البلاد وما فعل النّاس عندما رأوهم، ثمّ قال : "قال في الجواهر- أي

الثّعالبي- بعد إيراد ما ذكرنا:وفي هذا القصص من الاختلاف ما تضيق به الصّحف فاختصرته وذكرت المهمّ واعتمدت الأصحّ والله المعين برحمته".[1]

٢ –**النّموذج الثاني**: يحاول ابن فودي قبل ذكره للروايات الإسرائيليّات، أن يفسّر الآية بمقتضى اللغة ودلالة الألفاظ والمعاني، ثم يذكر الرّواية الإسرائيليّة بقوله:و(ذكر) أو (رُوي) ويختصرها، ثم يشرع في نقدها وتفنيدها بالنّقول عن العلماء، أو باجتهاد من عنده، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)﴾(المائدة)، قال ابن فودي في تفسير كلمة(الجبّارين):"من بقايا عادٍ طوالاً ذوي قوّة، والجبار من يجبر الناس على ما يريد أو يقتل إذا غضب، لكن ما يذكره المفسّرون من وضع بني إسرائيل في عظمة هؤلاء الجبّارين وأنه كان فيهم عوج بن عُنْق بنت آدم، وأنّ طوله كذا وكذا ومخالف لما في الصحيح "إنّ الله خلق آدم طوله ستّون ذراعا، ثمّ لم يزل الخلق ينقص حتى الآن"[2] ثم ذكروا أن عوجا كان كافرا ولم يغرق بالطّوفان، وهذا كذب وافتراء لقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ(١٢٠)﴾(الشعراء) وقوله حكاية عن نوح﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)﴾ وقال:﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ (٤٣)﴾(هود) وإذا كان بن نوح غرق فكيف يبقى عوج، وهو كافر. وهذا لا يصوغ في عقل ولا شرع ثمّ في وجود رجل يقال له عوج نظر والله أعلم. نبّه على هذا القسطلانيّ وغيره من علماء السّنة.[3]"

ومن الأمثلة أيضا وهو من أروعها قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)﴾ (الأعراف) حيث بدأ ابن فودي ببيان معاني ألفاظ الآية، وبيّن دلالتها

---

[1] *ضياء التأويل ج٣ / ص : ٧ . و الجواهر الحسان/ ص:٣٤١ .*

[2] بخاري/ كتاب الأنبياء/ باب قوله تعالى:"و إذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة"/ج٣/ ص:١٢١٠/حديث:٣١٤٨.

[3] *المرجع السابق ج١/ ص : ٢٣٣ .*

فقال:"﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ﴾ آدم، هذا قول الجمهور، أو المراد بالنفس الجنس خطاب لمشركي مكة بما فيه الامتنان على الوجهين ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حوّاء، خلقت من ضلعه الأعوج، وكلّ رجل امرأته منه أي من جنسه﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ويألفها ويميل إليها، فإنّ الشيء إلى جزئه أو جنسه يميل، وذكر الضمير العائد إلى النفس ذهاب إلى المعنى إذ المراد آدم وليناسب قوله ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها لأنّ الغشيان كناية عن الوقاع، وهو فعل الزوج ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ خفّ عليها حمله لم تتعب به كسائر الأحمال، أو محمولا خفيفا وهو النّطفة﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ ذهبت وجاءت لخفّته، أو استمرّت به من غير إزلاق ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾صارت ذات ثقل لكبر الولد ﴿دعوى الله ربّهما لئن آتيتنا﴾ ولداً ﴿صالحاً﴾ ذا صلاح ودين أو سويّاً لا نقص في خلقه ﴿لنكوننّ من الشّاكرين﴾ لتلك النّعمة ﴿فلمّا آتاهما﴾ ولداً ﴿صالحاً جعلا له شِرْكاً ﴾بكسر الشّين والتّنوين أي شريكا لنافع وأبي بكر، ولغيرهما {شركاء} بضمّ الشّين ﴿فيما آتاهما﴾"[1]وبعد تفسير ابن فودي لهذه الآية بما تدلّ عليه ألفاظها في اللغة شرع في ذكر الإسرائيليات التي ذُكِرت في نسبة الشّرك إلى آدم وحواء وذكر بعدها أقوال المفسّرين في نقدها، كابن العربي الذي رجّح أن يكون المراد بالآية جنس الآدميين، وضعّف الرّواية التي تُروى عن سمرة بن جندب التي أخرجها الحاكم وصحّح إسنادها، والتّرمذي وحسّنها، ثمّ كلام الثّعالبي الذي رأى تأويل الآية مع صحّة ما يُروى في ذلك من الإسرائيليّات التي تَنسب الشّرك إليهما، ثمّ كلام شهاب الدّين الكوري الذي يرى تقدير المضاف في الآية أي: جعل أولادهما له شركاً، وتبع شهاب الدّين الكوري في هذا المعني البيضاوي في تفسيره.

٣ – **النّموذج الثالث**: كان ابن فودي ينقد الروايات الإسرائيليات التي يذكرها، ويعتمد في هذا النقد على نقد الأئمة الجهابذة من المفسرين الفقهاء، والمحدّثين النّقاد كالقاضي عياض، ويعتمد عليه كثيراً في نقد الإسرائيليّات التي تُروى للطّعن على عصمة الأنبياء، أو التّنقص من كراماتهم عند الله، وذلك في كتابه الشّفا، كذلك يعتمد على ابن العربي في هذا النّوع من الإسرائيليّات عند

[1] المرجع السابق /ج٢ /ص:٤١-٤٢.

نقدها،و القسطلاني والسّيوطي والثّعالبي وشهاب الدّين الكوري وغيرهم، ويتوسّع في النّقل عن هؤلاء، ويجمع أقوالهم حسب اتّفاقها أو اختلافها في وجوه النّقد، ويختصر النّقل عنهم فلا ينقل نصوصهم كاملة عند نقلها في غالب أحواله، ويتصرّف في ألفاظها ومعانيها أحياناً، ويشير إليها إشارة، ثم يبيّن ما ترجّح لديه بعد ذكر أقوالهم، وهذه الملامح المنهجية في التّعامل مع الإسرائيليّات عند ابن فودي واضحة فيما يأتي من الأمثلة:

١-قوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢)﴾ { الحجّ : ٥٢ } بدأ ابن فودي بإيراد القصّة الموسومة بـ{قصّة الغرانيق} بصيغة التّمريض بعد أن فسّر الآية بما ترجّح لديه ممّا علم من الأقوال التي قيلت فيها، فذكرها مختصرةً، ثمّ شرع في ذكر أقوال المفسّرين والمحدّثين في نقد القصة، فبدأ بكلام البيضاوي، ثم كلام القاضي عياض؛ حيث اختصر كلامه في تضعيف الحديث الذي رُوِيَ في قصّة الغرانيق، ثمّ أشار إلى نحو من كلامه عند ابن عطيّة في تفسيره، ثمّ ذكر كلام ابن العربي واختصره أيضاً، ثمّ كلام شهاب الدّين الكوري في تفسيره غاية الأماني، ثمّ ختم الكلام بكلام الحافظ القسطلاني، كلّ ذلك في نقد قصة الغرانيق فقط.[١]

وكما صنع ابن فودي في هذه القصّة، كذا انتهج نفس المنهج في تفنيد ونقد القصة الموضوعة، التي تُرْوى في قصة أمّ المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها، عند تفسير قوله تعالى:﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧)﴾(الأحزاب).[٢]

---

[١] المرجع السابق/ ج٣ / ص :٩٥ – ٩٦ .

[٢] المرجع السّابق/ ج٣ / ص : ٢٤٢ .

٤- **النّموذج الرّابع**: ومن منهجه في هذا الباب ذكر أقوال التي تُروى عن الصحابة والتّابعين، في بيان بعض الأشياء التي سكت عنها القرآن الكريم في ذكر القصص، كما ذكر قول قتادة عند تفسير قوله تعالى:﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ(٣١)﴾ (يوسف) قال ابن فودي:" بالسّكاكين ولم يشعرْنَ بالألم، لشغل قلبهنّ بيوسف، قال قتادة:" أبِنّ أيديهنّ حتى ألقينها" والأصحّ أنّه قطعاً من غير إبانة، وقال وهب :"مات جماعةٌ منهنّ".[1]

٥- **النّموذج الخامس**: ومن منهجه أيضا أن يطلب بيان ما أُجمِل ذكره في القرآن الكريم من كتب التّفاسير، فإن لم يجدها، أو وجدها ولم يرتضيها أهملها وأعرض عنها، لكن ينبّه على ضعفها بالإشارة ولا يفصّل في الرّد، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ(٨٥)﴾(الأعراف) قال ابن فودي في تفسير (البيّنة): "معجزة دالة على نبوّتي، وليست بمذكورة في القرآن، ولم أرها في التّفاسير وما يذكر له في عصا موسى وفي ولادة الغنم، لا يستقيم حمل ما في الآية عليه، لتأخّرها عن هذه المقالة".[2]

ومن أمثلة اختياره من الروايات الإسرائيليّات ما يرى ترجيحه وعدم ذكره للبقيّة لضعفها، قوله في تفسير قوله تعالى :﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣)﴾ (الأعراف) "قيل كانو سبعين ألفاً مع كلّ منهم حبلٌ وعصا، وفي التفاسير غير هذا من العدد، وكل ذلك لا سند له، والمعلوم أنّه جمعٌ عظيمٌ".[3]

٦- **النّموذج السّادس**: ومن منهج ابن فودي أيضا، أن يشير إلى القصص الإسرائيليّات ولا يعتمد عليها، بل يردّها بالآيات القرآنية التي تناقضها وبما صحّ من الأحاديث الصحيحة ومن أمثلة هذا المنهج:

---

[1] المرجع السّابق/ ج٢ / ص : ١٦٣ .

[2] المرجع السابق/ ج٢ / ص : ١٨ .

[3] المرجع السابق/ ج٢ / ص :٢٢ .

١- قوله تعالى:﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)﴾ (النّمل) قال ابن فودي:" أي دابّة عظيمة المنظر والشأن، وقد ذكروا في وصفها أشياء والذي صحّ في الحديث:" أنها دابة طولها ستّون ذراعاً، ذات قوائم أربع فيها ألوان الحيوانات، ينصدع جبل الصّفا فتخرج منه ضحى."[1]

وكذلك انظر ما ذكره ابن فودي من نصوص الكتاب و السنة في نقد و تفنيد قصّة الجبّارين و خرافة عوج ابن عنق.[2]

٧-**النموذج السابع**: بقي أن نقول: ليس من منهج ابن فودي أن ينقد الإسرائيليات كلّها بل هناك مواضع سكت ابن فودي عنها ولم ينتقدها، وإن كان بعضها لم يكن هو الذّاكر لها بل يحكيها عن بعض المفسرين ثمّ يتابعهم في السّكوت عنها، وأكثر هذه المواضع تندرج تحت ما يباح ذكره ممّا قدّمنا الكلام عنها في أقسام الإسرائيليات و حكم روايتها، و إليكم بعض هذه المواضع:

١-قوله تعالى:﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾{البقرة:٣٠} قال ابن فودي:" يريقها بالقتل، عرفوا ذلك بإخبار من الله أو تلقٍّ من اللوح، أو قياساً على بني الجان؛ لأنّ الله لما خلق الأرض أسكن فيها الجان، و أسكن في السماء الملائكة، فأفسدت الجان في الأرض، فبعث الله إليهم طائفة من الملائكة...." فذكر القصّة و لم ينبّه عليها بشيء.[3]

٢-قصّة التابوت التي جاءت في قوله تعالى:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾ (البقرة) قال ابن فودي في تفسير التابوت:" الصندوق وكان فيه صور الأنبياء، أنزله الله على آدم،

---

[1] لم أعثر عليه بهذا اللفظ، و ربّما ذكره الشيخ بالمعنى و الله أعلم.

[2] المرجع السابق/ج١/ص:٢٣٣ .

[3] المرجع السابق /ج١/ص:٢٣ .

طوله ثلاثة أذرع في ذراعين، ثمّ صار إلى شيث، ثمّ بلغ إبراهيم ثمّ إسماعيل..." فذكر القصّة ولم ينبّه على شيء منها.[١]

هذه هي بعض النماذج التي استطعنا ذكرها، و هناك نماذج أخرى تركناها مخافة الملل و الإطناب، ونعتقد أنّ ما ذكرنا من الأمثلة قد أعطت لنا الصورة الواضحة عن منهجه في الإسرائيليات.[٢]

---

[١] المرجع السابق/ج١/ص:٩٩.

[٢] وانظر أكثر مما ذكرنا هنا حول منهج ابن فودي في ضياء التأويل رسالة الباحث الجامعية بعنوان: "عبد الله بن فودي و مؤلفاته في التفسير" الجامعة الإسلامية بالنيجر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، سنة:٢٠٠٨م، فإنّ ما ذكرنا في هذا المبحث هو ملخص مما ذكرناه هنالك، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الثاني:مصادر ابن فودي في ضياء التأويل

التمهيد:

أسلوب عبد الله بن فودي في النقل والتأليف و كيفية تعامله مع المصادر التي ينقل منها:

وقبل أن نبدأ بالحديث عن مصادر ابن فودي في ضياء التأويل سوف نمهّد عن ذلك بالكلام عن أسلوبه في النقل والتأليف وكيفية تعامله مع المصادر التي ينقل منها فنقول:

ما عدا الرسائل والمؤلفات التي يكتبها عبد الله في مسألة خاصة، التي تعالج مشكلة من المشاكل، فإنّ أسلوبه في تأليف كتبه هو أن يجعلها في أبواب وفصول يتقدمها بمقدمة–في الغالب– وخاتمة في آخرها، ومقدمته غالبا تحتوي على الأدعية والصلاة التسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثمّ يذكر اسم كتابه والهدف من وراء تأليفه للكتاب، وفصوله، وأبوابه، ومسائله التي سيحتوي عليها، وخاتمة الكتاب تجدها غالبا توجز للقارئ أهم صفات الكتاب، وأحيانا تكون الخاتمة في إرشادات و دعوات الناس إلى التحلي بالفضائل والابتعاد عن الرذائل.

وعندما يحاول مناقشة موضوع من المواضيع أو مسألة من المسائل العلمية أو الفرعية فإنّه يطرحها ثمّ يتبعها بنقولات من العلماء المحققين المشهورين في العلم، أما في مسألة التي يجد اختلاف العلماء فيها، فإنّه يعرض للقارئ آرائهم ومذاهبهم، و أحيانا يبين الرأي الذي يميل إليه ويترك للقارئ مجالا لكي يختار ما يميل إليه أيضا.

وأسلوب نقله من كتب العلماء، أحيانا يكون بكامل المعلومات حول اسم الكتاب والمؤلف الذي تمّ النقل منه، وأحيانا تجد اسم المؤلف هو المذكور فقط، دون اسم الكتاب، وحينا تجد اسم الكتاب دون اسم المؤلف عكس ما سبق، مما جعل بعض الباحثين يستنتجون بأنّه حين تأليفه لبعض الكتب، ينقل من حفظه لا من الكتب مباشرة، ومن الملاحظ من تعامل عبد الله مع

مصادره أنّ ذكره لجميع معلومات الكتاب من اسمه واسم مؤلفه، لا يدل على أنّه حصل على الكتاب أو قرأ منه مباشرة، فمثلا كتاب:"قواعد الأحكام" لعزّ الدين بن عبد السلام، ذكره ابن فودي في ضياء التأويل لكنّه نقل عنه بواسطة تفسير جواهر الحسان للثعالبي.

ونجد أيضا تفسير غاية الأماني، هو من المصادر الأساسية لعبد الله ابن فودي في ضياء التأويل، لكن تجد ذكر اسم المؤلف ولو مرّة واحدة في ضياء التأويل، وعكس هذا تجد ذكر اسم الإمام الغزالي مذكورا عند النقل عنه، ولكن لا تجد اسم الكتاب الذي نقل منه ابن فودي.

ومما هو ملاحظ من أسلوب عبد الله في النقل أنّه لا يلزم بنقل النص كما هو، مما جعله يتأثر بالمصادر التي ينقل منها، ومن المعروف أنّ العلماء المتأخرين لا يرون حرجا في جعل كلام العلماء حسبما يكون معنى الكلام دون الالتزام بنفس اللفظ الذي جاء به، لكنّ علماء الجهاد في صكتو، لم يحاولوا إخفاء مصادرهم من كلام العلماء السابقين، ونجد تأكيد ذلك من كلام الشيخ عثمان بن فودي، حيث يذكر في كتابه:"نجم الإخوان":" أنّ تواليفهم وكتاباتهم هو بيان وتلخيص لمؤلفات العلماء السابقين"، و لقد سبق أن رأين أنّ عبد الله بن فودي قد اختصر بعض الكتب المشهورة، وفي الحقيقة نستطيع تقسيم مؤلفاته تقسيما ثانيا – بعد ما قسمناها فيما سبق إلى ثلاثة أقسام باعتبار فترة الجهاد وحياة الشيخ عثمان– إلى قسمين:

القسم الأوّل: مؤلفات في تلخيص بعض كتب العلماء والزيادة والتعليق عليها ونظمها في الشعر.

القسم الثاني: مؤلفات شخصية، ونعني بها مؤلفاته التي لم يعتمد فيها على تلخيص كتاب من الكتب أو التعليق عليه، وكان اعتماده فيها فقط من باب الاستشهاد والتدليل بها على ما يذهب إليه من الآراء.[١]

القسم الأوّل: مؤلفات في تلخيص بعض كتب العلماء و التعليق عليها و نظمها في الشعر:

إنّ أسلوب عبد الله في تلخيص الكتب سهلة جدّا، يختار الأشياء و المعلومات المفيدة منها ثمّ يجعلها في عبارته السهلة، ولننظر إلى هذه المؤلفات التي لخّصها من كتب مخصوصة، ونقدم المؤلفات المنثورة على المؤلّفات المنظومة:

١-آداب المعاشرة في طلب الدنيا والآخرة:- هو كتاب مأخوذ من كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي، والكتاب يحتوي نصائح في التحلي بالأخلاق الحسنة، لكن خاتمة الكتاب مأخوذة من مصادر أخرى غير كتاب الإحياء.

٢-درء الكيئة في هجاء علم الهيئة: هو مبني على كتاب الإمام السيوطي المسمى:" الهيئة السنية في الهيئة السنية" هو كتاب في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم في علم الهيئة.

٣-"ضياء الأنام في الحلال والحرام" هو مختصر كتاب الحلال والحرام من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، وأدخل فيه بعض أقوال أحمد الزروق، وعبد الباقي الزرقاني، وأبو الحسن المالكي، و الكتاب يتعلق بتعريف الحلال والحرام والشبهات، وحكم أخذ هدايا الملوك، والفرق بين العطية والرشوة...الخ.

٤-"ضياء الاحتساب على تاريخ السنّة والصواب" يعطي هذا الكتاب الضوء على كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كتاب:"إحياء علوم الدين" للغزالي، يتحدث فيه عن أهمية

---

[١] Abdul Hamid,Ali (P.H.D thesis, Ahmadu Bello university, Zaria,1980(Abdullahi bin fodio as a muslim exegiest)p:١١٥-١٣٠.بتصرف .

"الحسبة" وشروطها وصفاتها التي يجب أن تتوافر في "المحتسب" وتناول الحديث عن أسباب الأخلاق الفاسدة والجرائم.

٥-"ضياء المقتدين بالخلفاء الراشدين":هو كتاب مختصر من كتاب تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي، تحدث فيه عن عهد أبي بكر الصديق، وعمر وعثمان، وعلي والحسن ومعاوية وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم، وذكر تراجم بعض أمراء بني أمية في الخاتمة باختصار.

٦- "ضياء المجاهدين حماة الدين الرشيد": هو مختصر من كتاب:"مشارق الأشواق إلى مصارع العشاق" أو" مطير القدّام إلى دار السلام":- هو كتاب في أعمال الجهاد الحسنة لأبي الحسن أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي الدمياطي المتوفى:(١٤٠٨م-٨١٩هـ).

٧-"ضياء السلطان": هو كتاب جمع وحلّل أربعة كتب، كتابان منها: للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي أجاب فيه عن مسائل تتعلق بالإمارة والسلطنة، وأرسلها إلى أمير كانو يجيب فيها عن أسئلة محمد أسكيا أمير صنغاي، والكتابان الآخرين للشيخ عثمان بن فوديو هما:"سرّاج الإخوان" و"مصباح أهل الزمان من أهل السودان".

٨-"ضياء أولي الأمر والمجاهدين": الكتاب يتحدث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتاريخ خلفاء الأربعة الراشدين، القسم الذي تحدث فيه عن سيرة النبي صلى الله عليه سلم هو مأخوذ من كتاب:"عيون الأثر" لابن سيد الناس، وأما القسم الذي تحدث عن تاريخ الخلفاء الأربعة فهو مأخوذ من كتاب:" الاكتفاء" للإمام الكلائي، وتحدّث في المقدمة عن بعض الأخلاق غير اللائقة من قبل رؤساء زمانه.

٩-"ضياء الأمة في أدلة الأئمة":- هو مختصر من كتاب:"كشف الغمّة عن جميع الأمة" للشيخ عبد الوهاب الشعراني، ويحتوي على مجموعة من الأحاديث النبوية التي تناولت مختلف الجوانب من حياة المسلم، اختار عبد الله منها ما تؤيد الآراء المالكية.

١٠-"كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن"هو مختصر من تفسيره:"ضياء التأويل في معاني التنزيل".

١١-"لؤلؤ المواعظ والحكم": يحتوي هذا الكتاب على النصائح الرشيدة، وأقوال الحكمة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته والتابعين، وأيضا تجد فيها مقتطفات من الأشعار مأخوذة من كتاب:"خلاصة القلوب والأذهان وجلاء الكرب والأحزان" لعبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الرشيدي المصري (١٤٠٠م/٨٠٣).

١٢-لباب المدخل:- الكتاب يدل من خلال اسمه على كتاب "المدخل" لابن الحاج الذي يتناول الكلام عن أعمال وواجبات العلم والطالب والعالم والإمام، والمؤذن والمتعبد الذي أخلص نفسه لعبادة الله.

١٣-"النصائح في أهم المصالح":- هو مأخوذ من "النصيحة الكافية لمن كساه الله بالكافية" للعالم المتصوف أحمد الزروق، اختصره عبد الله بن فودي أوّلا في كتابه:"بيان النصائح الواردة في الأحاديث الصالحة" ثم شعر أنّه ترك منه أشياء مهمة و فوائد لم يذكرها من الكتاب، فكتب هذا الكتاب:"النصائح في أهم المصالح".

١٤-"نيل المرام من شيم الكرام": الكتاب يتحدث عن صفات و أخلاق المسلم الملتزم، و هو مأخوذ من من:"نصيحة المنصف" للإمام المختار أحمد الكنتي.

١٥-"نيل السول من تفاسير الرسول": هو مأخوذ من كتاب الإتقان للإمام السيوطي.

١٦-"شفاء الناس من داء الغفلة والوسواس": هو مأخوذ من كتاب:"زوال الإلباس في داء الشيطان الخنّاس" لمختار بن أحمد الكنتي.

هذه المؤلفات كلها قصد بها عبد الله بن فودي تلخيص أو اختصار كتاب من كتب العلماء السابقين، و هي صنّفت في مختلف مراحل حياته رحمه الله رحمة واسعة.

وأما المنظومات التي اختصر بعض المؤلفات المشهورة فيها فهي:-

١-ألفيّة الأصول: هو نظم لكتاب:"مفتاح الأصول وبناء الفروع على الأصول" وهو كتاب في أصول الفقه لمحمد أحمد الشريف التلمساني.

٢-البحر المحيط:هو عمل كبير في أكثر من أربعة آلاف بيت،(٤٠٠٠) في علم النحو والصرف، أكثره مأخوذ من جمع الجوامع وشرحه:"همع الهوامع" كلاهما للإمام السيوطي، ولكن هناك مصادر أخرى مهمّة قد استفاد عبد الله في نظم تلك المنظومة، وقد ذكر بعضها في المقدمة منها:"المفصل للزمخشري" و"العمدة" و"الخلاصة" كلاهما لابن مالك، و"الفريدة" وشرحها"المسالك السائدة" و"الأشباه و النظائر" للسيوطي و"أوضح المسالك" لابن هشام الأنصاري، و"الكافية" و"الشافية" لابن الحاجب، و"الإرتشاف" لأبي حيّان و"البسط والتعريف" للمكودي، و"المنّة" لأحمد بابا التنبكتي.

وهذه القائمة النفيسة من مؤلفات العلماء الأجّلاء في علم العربية، تشير إلى قيمة عبد الله بن فودي في اختيار المصادر وانتقائها من بين أصناف الكتب والمؤلفات في الفنون المختلفة، وهكذا كان صنيعه في اختيار مصادره في التفسير فإنّه انتقاها من أرقى الكتب المصنّفة في التفسير ومن أجودها و أحسنها كما سنرى ذلك.

٣-"الحصن الرصين" هو مأخوذ من لامية الأفعال التي هي منظومة في علم التصريف لابن مالك، وشروحها كذلك هي داخلة في المنظومة.

٤-"الفرائد الجليلة": هي منظومة لكتاب:"الفوائد الجميلة في الآيات الجليلة" كتاب مهم في علوم القرآن لأبي الحسن بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي.

٥-"لمع البرق الذي تشابه من الفرق": هو كتاب صغير في علم النحو نظم فيه الفصل الرابع من كتاب السيوطي:"الأشباه و النظائر".

٦-اللؤلؤ المصون: هي منظومة في أصول الفقه مأخوذة من من كتاب:"المنهج المنتخب إلى أصول غريب المذهب"، لأبي الحسن علي بن القاسم المشهور بـ"الزقزاق"(١٥٠٦م/٩١٢).

٧-"مفتاح التفسير":- هي منظومة في علوم القرآن مأخوذة من كتابي السيوطي:"الإتقان في علوم القرآن" و"النقاية".

٨-"منن المنّان": هي المنظومة الأولى و الكتاب الأول لعبد الله بن فودي نظم فيها القسم الأخير من كتاب:"النقاية" للسيوطي في التصوف.

٩-"نظم الوسطى": هي منظومة في علم التوحيد للمتكلم المشهور الشيخ السنوسي.

١٠-"خلاصة الأصول": هي منظومة في أصول الفقه مأخوذة من كتاب الإمام السيوطي المنظومة المسمى:"الكوكب الساطع" نظم فيها كتاب:"جمع الجوامع" لتاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي السبكي(١٣٧٠م/٧٧١هـ).

١١-"سراج جامع البخاري":هي منظومة في علم الحديث تحدثت عن صحيح البخاري وأبوابه و تراجمه، وشروحه، ورواته، وغير ذلك، و قد أخذها ابن فودي من مقدمة شرح صحيح البخاري:" الهدي الساري" لابن حجر العسقلاني.

١٢-"سلالة المفتاح": هذه المنظومة تدل باسمها على أصلها الذي سبق ذكره وهو مفتاح التفسير لابن فودي.[١]

هذه هي مؤلفات عبد الله بن فودي التي بناها على مؤلفات أشهر العلماء، وقد سبق أن نبّهنا على أنّه يميل إلى النظم عندما يكون الكتاب معِدّاً للطلبة والتعليم، وأما في سائر الموضوعات مثل السياسة وشؤون الحكم والدولة، فإنّ النثر مقدم على النظم، ومما يجب ملاحظته من صنيع

---

[١] Abdul Hamid,Ali (P.H.D thesis, Ahmadu Bello university, Zaria,1980(Abdullahi bin fodio as a muslim exegiest)p:١٠٦-١١٥. بتصرف .

عبد الله بن فودي في مؤلفاته المبنية على كتب العلماء أنّه في القسم الأول منها قد تأثّر كثيرا بالإمام السيوطي ومؤلفاته، حيث اختصر ونظم وشرح كثيرا من مؤلفاته في علوم القرآن وأصول الفقه، والتوحيد، والنحو والصرف، والتاريخ والحديث، مثل منظومته التي لم نذكرها فيما سبق:"مصباح الراوي" وهي مأخوذة من كتاب "التدريب الراوي" للإمام السيوطي، وتأثّر في مرتبة ثانية بعد الإمام السيوطي بالإمام الغزالي، والسنوسي.

القسم الثاني: مؤلفات شخصية التي لم يعتمد فيها على تلخيص كتاب من الكتب أو التعليق عليه:

وهذه المؤلفات هي من جهد عبد الله بن فودي العقلي ولم يكن اعتماده فيها على كتب العلماء السابقين؛ إلا ما يذكره فيها من المصادر للاستشهاد بها فيما يذهب إليه من الأقوال، وهي أيضا مؤلفاته التي لم تكن اختصارا أو نظما، أو شرحا لكتاب من الكتب، و إنما هي من جهد قراءاته ومطالعاته التي أراد تأليفها، والمثال الأمثل لهذا النوع هو:

١-ضياء التأويل في معاني التنزيل: وهذا الكتاب وإن كان أغلب اعتماده فيه على تفسير البيضاوي، والجواهر الحسان للثعالبي، وتفسير غاية الأماني، وبعض المؤلفات المهمة في التفسير، إلا أنّه قد اجتهد فيه على إبداع نظريّاته وآرائه التي أيّدها بذكر كلام العلماء المحققين، والتعقيب على ما لا يرتضيها من الأقوال والمذاهب، مما جاز إمكانية وضعه في هذا القسم من مؤلفاته الشخصية.

٢-ضياء الحكام.

٣-ضياء السياسات.

وهناك مؤلفات غيرها، وفي كلّ هذه المؤلفات تجده تحدث فيها عن الموضوعات حسب فهمه لمذاهب العلماء و آرائهم، من حيث قبولها، أو ردّها، أو التعليق عليها، بما يراه استدراكا على

أقوالهم، وتتميّز مؤلفات عبد الله من هذا النوع الثاني:بالوضوح والسهولة والتدوين الواسع للمعلومات العلمية المفيدة، وفي الحقيقة، فإنّ إرادة الشيخ عبد بن فودي من مؤلفاته هي نقل المعلومات إلى القرّاء والدّارسين، في لغة سهلة يسيرة، ونظام جيد، وفي هذه الأهداف والمقاصد جمع عبد الله مؤلفاته، رحمه الله رحمة واسعة.

مصادر عبد الله بن فودي في تفسيره ضياء التأويل في معاني التنزيل

وبعد هذا الحديث الطويل–وقد أطلنا فيها لما لها من أهمية كبيرة في حديثنا عن مصادره– عن أسلوب عبد الله بن فودي نعود إلى الحديث عن مصادره في تفسيره: ضياء التأويل في معاني التنزيل، فنقول:

إنّ المطالع لتفسير ابن فودي، سيلاحظ ظاهرة ذلك الحضور المكثّف لعدد من المصادر والمراجع، في التفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، وعلوم القرآن، وغيرها من العلوم، وهذه المصادر والمراجع تختلف حسب كثرة ورودها عند المؤلّف؛ لأنّه هدّد منذ البدء، وقبل شروعه كتابة تفسيره، ما سيعتمد عليه من كتب التفسير، والحديث، والفقه ، وجعلها مصادر أساسيّة، ثمّ اختار بعد هذه المصادر الأساسيّة كتباً أخرى ، وجعلها مصادر فرعيّة، يرجع إليها في بعض المواقف دون بعض.

والحقيقة أنّ ابن فودي سلك منهجاً وسطاً في جمع مادة هذا التفسير واختصاره، واعتمد على جملة من الكتب القيمة، في مختلف العلوم والفنون، فضلاً عن إضافاته المقيّدة من عند نفسه، ممّا حصل عليه من العلوم الإسلاميّة واللغة العربيّة. ونجده في تفسير آيات الأحكام مالكياً، يكثر النقولات من كتب المالكية في التفسير، والفقه، والحديث، مثل تفسير أحكام القرآن لابن العربي، والمدوّنة لسحنون، ومختصر خليل وشروحه، كشرح الخرشي والذخيرة للقرافي، وابن عطاء الله السكندري في التنوير ، وعبد السلام اللقاني، [1] وغير ذلك من أئمة المالكية وأمّهات كتب الفقه المالكي، ونراه مستشهداً بآراء سحنون، وأشهب، وابن القاسم، وأبو مصعب، وابن أبي زيد القيرواني من متقدمي المذهب ومتؤخريه.

ولم يكتف ابن فودي بالنقل عن المالكية في الفقه فقط، بل تجاوز إلى غيرهم ليثبت عدم تعصّبه للمذهب، فقد وجدنا له نقلاً عن عزّ الدين ابن عبد السلام ، والشعراني في المواهب اللدنيّة ، والسيوطي في الجلالين، والإتقان، والتحبير في علوم التفسير، وابن حجر العسقلاني في الفتح الباري، والقسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، والزركشي في التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، والبيضاوي في أنوار التنزيل،و غيرهم من أئمة الشافعية .

أمّا مصادره في علم الرّواية فهي مركّزة أوّلاً على الكتب الستّة، وخاصة الجامع الصحيح للإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم، وجامع الترمذي، والسنن لأبي داود السجتثاني، ثمّ ما يتبعها من كتب الرّواية، كمسند الإمام أحمد، والسنن الكبرى للبيهقي، والسنن للدّارقطني، والمستدرك للحاكم النيسابوري، وغيرها كما سيأتي ذكرها في قائمة مصادره إن شاء الله تعالى.

وأمّا في الجانب اللغوي والنحوي؛ فإنّه ينقل من الكتب التي اهتمّت بذلك في تفسيرها، كبحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي، ومختصره: المجيد في إعراب القرآن المجيد للصّفاقسي، و

---

[1] لا يذكر بن فودي أسماء بعض الكتب التي ينقل منها، و إنّما يذكر المؤلف، لذا حاولنا البحث عن أسمائها و لكن لم نعثر على الجميع، فاكتفينا بذكر أصحابها كما ذكرها.

القاموس المحيط للفيروزآبادي، والخلاصة لابن مالك الطائي، وإعراب القرآن لأبي البقاء العكبري، وغيرها من كتب اللغة والنحو.

وأمّا مصادره في التصوّف؛ فإنّه متأثرٌ بأبي حامد الغزالي، ينقل عنه من كتابه إحياء علوم الدين، والدّرر، معرّجا على كتب الإمام القشيري، وكتاب الزهد لابن المبارك، والزهد للإمام أحمد، والرّعاية للحارث المحاسبي وغيرهم.

وأمّا في العقيدة ؛ فإنّه يعتمد على كتب الأشعريّة في التوحيد، كنظم العقيدة الوسطى للسنوسي بقلمه، والعقيدة السنوسيّة الكبرى للشيخ الطّاهر، وغيرها من كتب الأشاعرة في التوحيد.

وابن فودي في جميع ما مرّ من المصادر والمراجع، أمين في نقله، دقيق في إحالاته، وإذا تصرّف في النصّ المنقول ، أو اختصره، أو نقله بالمعنى دون اللفظ، يشير إلى ذلك كلّه.

والآن نتوقّف لسرد بعض المصادر والمراجع التي استقريناها من هذا الكتاب، ونقسّمها حسب علمها التي تندرج تحته ، ونرتّبها حسب كثرة ورودها في الكتاب، دون اعتبار الأقدميّة، ثمّ نخصّ بعضها بالكلام باعتبارها مصادر أساسيّة عند ابن فودي:-

أوّلاً :مصادره في التفسير

١-الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،لعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي (ت:٨٧٥هـ)

٢-أنوار التنزيل وأسرار التأويل،للقاضي، ناصر الدين، أبو الخير، عبد الله ابن عمر بن محمد البيضاوي، الشافعي ،(ت:٦٨٥هـ وقيل: ٦٩١).

٣-أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المعافري المالكي ،(ت:٥٤٣هـ).

٤-لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين، علي بن محمد المعروف بالخازن،(ت:٧٤١هـ).

٥-غاية الأماني في تفسير الكلام الرّبّاني، للعلاّمة شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت:٨٩٣هـ).

٦-مدارك التنزيل وحقائق التأويل ،للعلاّمة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي،(ت: ٧١٠ وقيل: ٧١١هـ).

٧-تبصرة المتذكر، و تذكرة المتبصر، في تفسير القرآن ، و تلخيصه، كلاهما لأحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الموصلي الكواشي (ت:٦٨٠هـ).

٨-التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، للإمام فخر الدين، أبو المعالي، محمد بن عمر بن الحسين الرّازي، المعروف بابن خطيب الرّي ،(ت:٦٠٦هـ).

٩-المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،لأبي محمد، عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة (ت:٥٤٦هـ).

١٠-الجلالين (ويسميه بن فودي بالتكملة) للإمامين؛ جلال الدين، محمد بن أحمد المحلّى الشافعي (ت:٨٦٤هـ) والإمام، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ).

١١-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(ت:٣١٠هـ).

١٢-الجامع لأحكام القرآن و المبيّن لما تضمّنه من السنّة و آي الفرقان ،لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي (ت:٦٧١هـ).

١٣-البحر المحيط لأبي حيّان محمد بن يوسف الأندلسي (ت:٧٤٥هـ).

١٤-معالم التنزيل لأبي محمد حسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت:٥١٠هـ).

١٥-زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي(ت:٥٩٧هـ).

١٦-مفتاح التفسير لعبد الله بن فودي(المؤلف).

١٧-سلالة المفتاح لعبد الله بن فودي (المؤلف).

١٨-فتح الرحمن لكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

١٩-فتوح الغيب في الكشف عن قناع الغيب وهو حاشية على الكشّاف لشرف الدين الحسن بن محمد الطيّبي.

٢٠-الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ).

٢١-تفسير البسيلي لأحمد بن محمد البسيلي: مفسر من أهل تونس. كان من تلاميذ ابن عرفة (ت: ٨٣٠هـ).

٢٢-أحكام القرآن للقاضي الإمام أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي المالكي(ت:٢٨٢هـ)

٢٣-الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن كمال السيوطي(ت: ٩١١هـ).

٢٤-حرز الأماني ووجه التّهاني(الشاطبيّة) للإمام الشاطبي(ت: ٥٩٠هـ).

٢٥- تفسير المشكل من غريب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ).

٢٦-إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت:٦١٦هـ).

٢٧-فتح الرحمن في تفسير القرآن للقاضي مجير الدين بن محمد العُلَيمي المقدسي الحنبلي(ت:٩٢٧هـ).

ثانيا:مصادره في الحديث و الرّواية:

١-الجامع الصحيح المختصر لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ).

٢-صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجّاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ).

٣-السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السجثتاني (ت: ٢٧٥هـ).

٤-السنن لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت:٢٧٥ وقيل :٢٧٩هـ).

٥-السنن الصغرى(المجتبى) لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ).

٦-السنن لأبي عبد الله ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥ و قيل:٢٧٣هـ).

٧-المسند لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ).

٨-المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥هـ).

٩-صحيح ابن حبّان المسمى التقاسيم والأنواع لأبي حاتم محمد بن حبّان البستي (ت:٣٥٤هـ).

١٠-السنن لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت:٣٨٥ هـ).

١١-السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت:٤٥٨هـ).

١٢-المعجم الكبير و الأوسط لأبي القاسم الطبراني.

١٣-مسند ابن أبي شيبة.

١٤-مصابيح السنّة للبغوي.

١٥- نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لمحمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ).

ثالثا: مصادره في شروح الأحاديث

١-إرشاد الساري شرح صحيح البخاري للقسطلاني (ت:٩٢٣هـ).

٢-فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ).

٣-عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام العيني (ت:٨٥٥هـ).

٤-التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح لبدر الدين الزركشي (ت:٧٩٤هـ).

٥-إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت:٥٤٤هـ).

٦-شرح الإمام الزرقاني على الموطأ لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (١١٢٢هـ).

رابعا: مصادره في الفقه

١-القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية لمحمد بن محمد ابن الجزّي الكلبي (ت:٧٥٨هـ).

٢-شرح مختصر الخليل لسالم بن محمد السنهوري (ت:١٠١٥هـ) .

٣-الحلية للإمام يحيى بن زكريا النووي.

٤-المختصر لخليل ابن إسحاق الجندي المالكي (ت:٧٦٧هـ).

٥-شرح مختصر الخليل لأبي عبد الله محمد بن عبداه الخرشي (ت:١١٠٢).

٦-الذخيرة في فروع المالكية لأحمد بن إدريس القرافي (ت:٦٨٤هـ).

٧-التاج و الإكليل لمختصر الخليل لمحمد بن يوسف الغرناطي الشهير بالمواق (ت:٨٩٧هـ).

٨-شرح مختصر الخليل لمحمد عبد الباقي الزرقاني (ت:١٠٩٩هـ).

٩-شرح مختصر الخليل لأبي عبد الله محمد ناصر الدين اللقاني المصري (ت:٩٥٨هـ).

١٠-المواهب الجليل في تحرير ما حواه مختصر خليل لأبي الرشاد علي بن محمد الأجهوري (ت:١٠٦٦هـ).

١١-مختصر قواعد الأحكام المسمى بـ"الفوائد في مختصر القواعد" أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ).

خامساً: مصادره في اللغة

١-الخلاصة لأبي عبد الله محمد جمال الدين بن مالك (ت:٦٧٢هـ) .

٢-القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (ت:٨١٧هـ).

٣- الصحاح لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ).

سادسا: التصوف والسلوك

١-الفتوحات المكيّة في معرفة أسرار المالكية لمحي الدين محمد بن علي المعروف بـ "ابن عربي".

٢-الحكم العطائية لابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي.

٣-التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي أيضا.

سابعا:العقيدة

١-التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة لأبي عبد الله القرطبي.

٢-نظم العقيدة السنوسية لعبد الله بن فودي.

ثامنا:مصادر جامعة

١-إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت:٥٠٥هـ).

٢-الشّفا بتعريف حقوق المصطفي ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ).[١]

وبعد هذا العرض الكثير لمصادر عبد الله بن فودي في تفسيره ضياء التأويل، والتي بلغت عند الباحث ثمانية وستّين مصدرا، ستّة وعشرون منها في التفسير و علومه، و خمسة عشر مصدرا في علم الحديث والرّواية، وستّة منها في شروح الأحاديث، وأحد عشر مصدرا في الفقه وأصوله، وثلاثة مصادر في اللغة، وثلاثة مصادر في علم التصوف والسلوك، ومصدران في علم العقيدة والتوحيد، ومصدران أيضا وهي جامعة لعلوم كثيرة، وهذا العدد ثمانية وستّون(٦٨) الذي ذكرنا لمصادر ابن فودي، يفوق العدد الذي ذكره الدكتور علي عبد الحميد في مقالته التي نشرت بعنوان:" contributions of the Sokoto jihad leaders to Quranic studie " فقد ذكر له ستّين مصدرا(٦٠)،[٢] وليس العدد الذي ذكرناه أيضا هو العدد الإحصائي الكامل لمصادر عبد الله بن فودي في هذا التفسير، لصعوبة حصر جميع مصادر تفسيره، فإنّه -كما ذكرنا من قبل- هناك بعض المصادر غير مذكورة الاسم، وبعضها غير معروفة، لأنّه لم يذكر اسمها ولا اسم مؤلفيها ولكنّها قليلة جدّا، نأتي الآن بالكلام الموجز عن المصادر الأساسية والثانوية عند ابن فودي فنقول:

عند تأمل مصادر عبد الله بن فودي في ضياء التأويل نجد نوعين من الكتب:

١-النوع الأول: مصادر أساسية التي أخذ معظم معلوماته منها، وأكثر من النقولات عنها، وكلها في مجال علم التفسير.

---

[١] : آدم بللو ٢٠٠٨م، رسالة جامعية غير منشورة بعنوان"عبد الله بن فودي و مؤلفاته في التفسير" الجامعة الإسلامية بالنيجر، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، سنة:٢٠٠٨م،/ص:١٠٥-١١٠.

[٢] Abdul Hamid, Ali(contributions of the Sokoto jihad leaders to Quranic studie) the Sokoto seminar papers :١٩٧٥ with the title:” studies in the history of the Sokoto= caliphate” published by Department of History A.BU. Zaria, Nigeria. Third press international, Lagos, Nigeria:1979, P:183-193.

٢-النوع الثاني مصادر ثانوية التي يرجع إليها في بعض المجالات والتحليلات الخاصة في موضوع معيّن.

ولنتحدث الآن عن المصادر الأساسية والثانوية وكذلك مصادره في توجيه الآيات المتشابهة في ضياء التأويل:

أوّلا: المصادر الأساسية لعبد الله بن فودي في ضياء التأويل

١-الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي: هذا التفسير من المصادر الأساسية عند ابن فودي ، وقد نقل عنه كثيراً فلا تكاد تقرأ منه عشر صفحات على الأقل، إلاّ و قد وجدت له نقلاً، وقد التزم ابن فودي الأمانة العلمية في نقله عنه، فإذا نقل عنه يقول في أول الكلام:{ وفي الجواهر } أو {قال الثعالبي } أو{و في الجواهر الحسان} وإذا انتهى كلامه يرمز له بـ (اهـ) أي انتهى كلامه، ويطوّل عنه النقل في بعض الأماكن ويختصر في بعضها، والذي نقول أخيراً عن هذا الكتاب، إنّه من المصادر الأساسيّة التي اعتمد عليها ابن فودي في جمع مادة تفسيره، ولم ابن فودي كتابا في هذا التفسير أكثر مما ذكر تفسير جواهر الحسان للثعالبي، ويبلغ عدد نقولات ابن فودي من هذا التفسير نحو :مائتين (٢٠٠)، وذكر مؤلف هذا التفسير أنّه اعتمد على تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز) ونقل من غير تفسير ابن عطية نحو من مائة مصدرا من مؤلفات العلماء، وكان عبد الرحمن الثعالبي من أساتذة محمد بن عبد الكريم المغيلي ولازمه ولم يفارقه إلا بعد وفاته، ومن الممكن أن يكون المغيلي هو الذي أدخل مؤلفاته إلى الفوديين في أرض هوسا.

ومما يجب ملاحظته من هذا المصدر أنّ هنالك مصادر كثيرة لعبد الله بن فودي في ضياء التأويل جاءت عن طريق تفسير جواهر الحسان و ليست من المصادر التي استفاد بها عبد الله مباشرة، و قد قابلنا بعض نقولاته مع نقولات جواهر الحسان فرأينا أنّه نقل منه، و هذه هي قائمة أسماء المصادر التي أخذها ابن فودي عن طريق جواهر الحسان للثعالبي:-

١-الحكم العطائية لابن عطاء الله الإسكندراني. (ضياء: ج٢/٢٦٩)(جواهر: ج٣/٨٥).

٢- التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله الإسكندراني. (ضياء:ج٣/٢٦٩) (جواهر: ج٣/٨٥).

٣-الكلم الفارقية والحكم الحقيقية.

٤-البحر المحيط لأبي حيّان التوحيدي.

٥-الكشّاف للزمخشري عن طريق أبي حيّان في البحر.

٦-الصحاح للجوهري.

٧-الجرجاني.

٨-نوادر الأصول للحكيم الترمذي.

٩-أحمد بن نصر الداودي.

١٠-مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي.

١١-الجامع لأحكام القرآن لابن جرير الطبري.

١٢-القصد إلى الله للحارث المحاسبي.

١٣-القشيري.

١٤-جامع البيان ابن جرير الطبري.

١٥-حلية الأولياء للنووي.

١٦-إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري.

١٧-المجيد في إعراب القرآن للصفاقسي.

١٨-السهيلي عبد الرحمن بن الخطيب أبو زيد السهيلي الأندلسي(ت:٥٨١هـ) يذكره عبد الرحمن الثعالبي كثيرا في تفسيره إلا أنّه لا يذكر اسم كتابه إلا نادرا ورأيته أشار مرّة إلى كتابه "روض الأنف في غريب السير" وكان عبد الله بن فودي ينقل عن السهيلي عن طريق الثعالبي في جواهر الحسان، وقد يبدو من نقولاتهما أنّهما ينقلان عنه من غير كتاب "روض الأنف" لأنّ موضوع ما يذكره يخالف موضع كتاب روض الأنف، وللإمام السهيلي ثلاثة كتب في التفسير، ولا بدّ أنّ الثعالبي وعن طريقه ابن فودي قد نقلا من أحدها أو منها وهي:-

١-الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين.

٢-التعريف و الإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء و الأعلام.

٣-المختصر الوجيز فيما تضمّن كتاب الله العزيز في ذكر من لم يسم فيه باسمه العليم من بني و ولي و غيرهما آدمي أو ملك أو غير ذلك من كلّ شيء.

٢-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي: وهذا الكتاب لا يقلّ نقلاً عن المصدر السابق، وهذا التفسير قد شهد واسع الانتشار والصيت، مما جعل بعض المستشرقين يعتقدون قداسته ومنزلته، مثل القرآن نفسه، اختصر البيضاوي تفسيره من الكشّاف للزمخشري، لكنّه أخذ من غير الكشّاف أيضا، كالراغب الأصفهاني، وفخر الدين الرّازي، وهو يهتم بالمسائل اللغوية والبلاغية، ولكون البيضاوي من أهل السنّة حاول إبعاد تفسيره عن معتقدات المعتزلة ممّا عند أصل تفسيره الكشّاف للزمخشري. وقد بدأ ابن فودي بالنقل عنه منذ مقدّمة الكتاب، وأكثر النقل عنه في أماكن مختلفة، ويقدّم ابن فودي كلامه على كلام الثعالبي عند الجمع بينهما، ويقول عند النقل عنه:{قال البيضاوي}، وآحياناً يذكر كلامه ويقول في النهاية: {قاله البيضاوي}،ويمكن القول: بأنّ ابن فودي استفاد بتفسير الكشّاف للزمخشري عن

تفسير البيضاوي في البلاغة القرآنية لأنّ تفسير البيضاوي مختصر للكشّاف، مع ترك الإعتزالات التي فيه، ويبلغ عدد نقولات ابن فودي من هذا التفسير نحو: مائة وواحد وثلاثين مرّة (١٣١).

٣-أحكام القرآن لابن العربي: جعل ابن فودي هذا التفسير عمدة فيما يتعلق بآراء المالكيّة في الفقه، ويستدرك عليه في بعض المواضع، ويعلّق على كلامه، وأسلوبه في النقل من هذا هو الاقتباس من أقوال المؤلف، ما يراه مناسباً لموضوع الآية التي يريد تفسيرها، وإذا نقل منه يقول :{قال ابن العربي في الأحكام} أو {وفي الأحكام لابن العربي} أو {وفي الأحكام}وغير ذلك، وبلغ عدد نقولات ابن فودي من هذا المصدر نحو مائة وثمانية وأربعين مرّة (١٤٨).

٤-تفسير غاية الأماني في تفسير كلام الرّباني:- هو من التفاسير المهمّة للآيات القرآنية، وقد جمع بين تحليلات الزمخشري والبيضاوي من مسائل البلاغة واللغة والنحو في تفسيره، وقد ذكره ابن فودي في ضياء التأويل نحو من مائتين (٢٠٠) مرّة، ممّا يجعل القارئ يحكم بتوفر هذا الكتاب عند علماء الجهاد في صكتو، ويظهر من تعامل عبد الله مع هذا التفسير أنّه لم يعرف اسم مؤلف غاية الأماني، لأنّه دائما ما يذكر اسم الكتاب فقط دون ذكر اسم مؤلفه، ولا تكاد تجد و لو مرّة واحدة اسم شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، بينما تجد أسماء المؤلفين الآخرين عنده، و أسماء كتبهم.

٥-تفسير ابن عطية المسمى"الجامع المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية (ت:٤٨١هـ):هو كتاب كبير في التفسير وإن وصفه مؤلفه بـ"الوجيز"، وهو من التفاسير الأصيلة ضمن الكتب المؤلفة في التفسير بالمأثور، وهو يأخذ من تفسير الطبري، لكنّه يعترض على بعض الآثار المروية في التفسير ويعلق عليها، ويستشهد ببعض الأشعار عند العرب القدامى، أثنى عليه كثير من العلماء مثل ابن تيمية، وأبو حيّان، وابن خلدون مدحه بأنّه جمع التفسير من المصادر الأصيلة الصحيحة من التفاسير المأثورة، ولأجل شهرة هذا التفسير وقيمته أراد عبد الرحمن الثعالبي اختصاره في الجواهر الحسان لمن له العجلة في فهم تفسير كلام الله تعالى

ليستفيد به. وقد نقل ابن فودي منه كثيرا في ضياء التأويل، لكنّ من الصعب الحكم بأنّ هذا التفسير متوفر عند ابن فودي، لأنّ أغلب نقولاته عن ابن عطية كان عن طريق تفسير جواهر الحسان للثعالبي، وهذا، وهذا جعل الدكتور علي عبد الحميد يحكم بأنّ تفسير ابن عطية ليس متوفر عند علماء الجهاد في صكتو بأصله وكماله، ولكثرة نقولات ابن فودي عنه الذي بلغ نحو مائة مرّة (١٠٠)، جعله من مصادره الأساسية، و إلا فهو من المصادر الثانوية.

٦-تفسير الخازن المسمى:"لباب التأويل في معاني التنزيل" لعلاء الدين علي بن محمد الخازن، من علماء التفسير و الحديث في دمشق(ت:٧٤١هـ): و هذا التفسير مأخوذ من تفسير:"معالم التنزيل" للإمام البغوي، ومؤلفه يهتم بالأحداث التاريخية و الإسرائيلية، و هذا التفسير متوفر لدى العلماء في صكتو، و النقولات منه كثيرة في مؤلفاتهم، و نقل منه ابن فودي نحو خمسة و ثمانين مرّة (٨٥)، إلا أنّ هذه النقولات كلها في النصف الأول من ضياء التأويل، و أما في النصف الثاني منه فليس هنالك نقل واحد من تفسير الخازن لباب التأويل، وهذا ربما يشير إلى أنّ لديه النصف الأول من تفسير الخازن فقط، وليس كلّه.

٧-"تفسير الجلالين" هو تفسير لعالمين كبيرين، الأول هو جلال الدين المحليّ، والثاني هو جلال الدين السيوطي، والذي بدأ تفسيره هو جلال الدين المحلي الذي فسّر من سورة الكهف إلى آخر القرآن، ثمّ فسّر سورة الفاتحة، لكنّ المنيّة اخترمته قبل أن يتّم ما بقي من تفسير سائر السور التي لم يفسرها، فأكملها تلميذه جلال الدين السيوطي، وسار على نظامه ونمطه في التفسير بحيث لا يستطيع أحد أن يميّز بين تفسيره و تفسير أستاذه جلال الدين المحليّ، ويبدو أنّ هذا التفسير ليس له اسم مسمى من قِبَلِ المفسر الأول والثاني، أي جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، لكنّ أخيرًا اشتهر باسم:"تفسير الجلالين" لكنّ هذه التسمية غير معروفة عند علماء غرب إفريقيا سابقا، لذا نجد عبد الله بن فودي يسمّي القسم المفسر من جلال الدين المحليّ بـ:"المكَمَّل"، ويسمي القسم الآخر المفسر من قبل جلال الدين السيوطي بـ:"التَّكْمِلَة"، وكذلك صنع أخوه الشيخ عثمان بن فودي في تسميتهما.

إنّ عدد نقولات عبد الله بن فودي من تفسير الجلالين أقّل بكثير من المصادر السابقة، الآنفة الذكر، لكنّ تأثّره به أكثر من هذه المصادر، ولذا تجد بعض التفاسير عند ابن فودي هي نفسها الموجودة في الجلالين بدون أدنى فرق أو تصرف، وعندما يورد أكثر من تفسير واحد للآية، تجد واحدًا منها منقول من تفسير الجلالين، لكنّ هذا التأثر يبدو أكثر عندما نقارن التفاسير المنقولة من الجلالين في مختصر ضياء التأويل وهو تفسير:"كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن" فسنجد أنّ كثير من صفحات كفاية ضعفان السودان تبدو متوافقة مع تفسير الجلالين، وهذا يشير إلى شدّة تأثر عبد الله ابن فودي بتفسير الجلالين في ضياء التأويل ومختصره.

هذه هي المصادر الحقيقية الأساسية في جمع مادة تفسير ضياء التأويل، لكن من العجيب أنّ عبد الله بن فودي لم يجعل تفسير الإمام القرطبي من بين مصادره في التفسير مع أنّه نافع جدّا في كثير من مسائله في التفسير، وخاصة في المسائل الفقهية والأحكام، ويبدو أنّه غير متوفر عنده في حال كتابة تفسيره.[١]

ثانيا: المصادر الثانوية لعبد الله بن فودي في ضياء التأويل

١-تفسير الرّازي:"مفاتيح الغيب" لفخر الدين محمد بن عمر الرّازي(ت:٦٠٦هـ): هذا التفسير من مصادر ضياء التأويل، لكنّ البحث أوضح أنّ ابن فودي كان ينقل عنه بواسطة تفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي أو تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل.

٢-البحر المحيط، لأبي حيّان محمد بن يوسف(ت:٧٤٥هـ): وهو تفسير يهتم بالمسائل النحوية و اللغوية والقراءات وتوجيهها، إلا أنّ عبد الله بن فودي لم يعتمد عليه كثيرا في هذه المسائل، وإنّما اعتمد على تفسير البيضاوي وتفسير غاية الأماني لإسماعيل الكوراني، وتفسير جواهر الحسان، وبواسطته ينقل ابن فودي من أبي حيّان في البحر المحيط.

---

١ Abdul Hamid,Ali (P.H.D thesis, Ahmadu Bello university, Zaria,1980(Abdullahi bin fodio as a muslim exegiest)p:١٩٠-٢٠٣.بتصرف .

٣-تفسير الكواشي،أبو العبّاس أحمد بن يوسف الموصلي و كواشة قلعة من بلاد الموصل (ت: ٦٨٠هـ): ألّف الكواشي تفسيرا كبيرا وسمّاه:"تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر" ثمّ عمل له تفسير ملخّص، وكان نقل ابن فودي من هذا التفسير وملخّصه في الجزء الأول فقط من ضياء التأويل.

٤-معالم التنزيل للبغوي محي السنّة الحسين بن مسعود البغوي(ت: ٥١٠هـ):- وهذا التفسير ورد ذكره في الجزء الثالث فقط من ضياء التأويل ولعله غير متوفر بكماله عند ابن فودي.

٥-مدارك التنزيل و حقائق التأويل لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي(ت: ٧١٠هـ): وهذا التفسير يرد ذكره في ضياء التأويل في بعض المواقف و المناسبات.[١]

ثالثا:مصادر ابن فودي في توجيه الآيات المتشابهة

[١] المرجع السابق:ص:٢٠٣-٢٠٥.

وفي نهاية حديثنا عن مصادره يجب أن نتحدث عن مصادر ابن فودي في الآيات المتشابهة بصفة خاصة فنقول منها:

١ -**الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لجار الله محمود بن عمر الزمخشري: يجب أن نتحدث عن علاقة ابن فودي بالزمخشري فيما يتعلق بتوجيه الآيات المتشابهة، لأنّ طبيعة البحث المقارن بين تفسيرين كبيرين وهما تفسير الزمخشري (الكشّاف) وتفسير ابن فودي(ضياء التأويل) يوجب علينا ذلك، ونبدأ القول أوّلا: بأنّ المصادر الأساسية السابقة لضياء التأويل منها تفسير البيضاوي" أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وهو مختصر لتفسير الكشّاف، ومنها أيضا تفسير"غاية الأماني في تفسير الكلام الرّباني" لشهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني، وهو تفسير جامع لما في الكشّاف للزمخشري وما في أنوار التنزيل للبيضاوي، مع زيادة بعض الفوائد عليهما، فبناءاً على ورود هذه المصادر في مصادره الأساسية، وهي من التفاسير التي تهتم بتوجيه الآيات المتشابهة يجب أن نقول: إنّ ابن فودي قد استفاد من تفسير الكشاف من نواحٍ شتّى، منها في توجيه الآيات المتشابهة، وسوف يظهر ذلك عند القارئ، في الفصل الرابع عند ذكر المقارنة بين توجيههما للآيات المتشابهة ونترك إيراد الأمثلة إلى حين تلك المقارنة بين توجيهاتهما للآيات المتشابهة، ولكن من العجيب أنّ ذكر اسم الزمخشري أو اسم تفسيره الكشاف، لم يرد في ضياء التأويل إلا مرّتين، ويذهب الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا إلى أنّ ابن فودي ربما أهمل ذكر الزمخشري في تفسيره لعّلة مذهبه الاعتزالي، فلم يذكره إلا مرّتين فيقول:" ومن المحتمل أن تكون هذه الخصومة علّة إهمال عبد الله للزمخشري في إثبات مراجعه، إلا مرّتين ذكره في تفسيره الكبير (ضياء التأويل) وهي أمانة كان يعنى بها عناية كبيرة بل ظلّ يؤديها تأدية وافية محفوفة بالتقدير،والإجلال، وشهدت له مواقف عديدة على هذا الخلق العالي، إذ كان يقدمه في ديباجة كتبه ومنظوماته" ثمّ يواصل الدكتور في تلمّس علّة ذلك الإخفاء فيقول:"...وربّما يقال بأنّه (عبد الله بن فودي) لم يتصل بالزمخشري،(مباشرة من كتبه) بل قرأ كتابه من مؤلفات الآخرين، والجواب أنّه لما ذكره مرّتين، على حين نراه يثبت الآخرين الذين لم يطلع على مصنّفاتهم مباشرة،

وكان يردد أسماءهم وكتبهم، ومهما أخفى الزمخشري لاعتزاله وتكلّمه، فإنّ تفسيره"ضياء التأويل" يكشف لنا بأنّ من آرائه البلاغية كان إثارة علم عن الكشّاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، فإذا أعرض عن الزمخشري للفرقة التي ينتهج مناهجها، وعدل به أمثال البيضاوي، صاحب أنوار التنزيل و أسرار التأويل، والنسفي كاتب مدارك التنزيل وحقائق التأويل، والخازن مؤلف لباب التأويل في معاني التنزيل، وكلّها تفاسير تؤكد عناوينها انتماؤها إلى الكشاف للزمخشري، فضلا من أنّها اشتقّت منه معانيها البلاغية".[1]

٢- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**:للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي: اختصر البيضاوي تفسيره من الكشّاف للزمخشري، وقد بدأ ابن فودي بالنقل عنه منذ مقدّمة الكتاب، و أكثر النقل عنه في أماكن مختلفة، ويقول عند النقل عنه :{قال البيضاوي}، وآحياناً يذكر كلامه ويقول في النهاية: {قاله البيضاوي}، وأحيانا ينقل منه ولا يذكر اسمه ولا اسم تفسيره،ويمكن القول: بأنّ ابن فودي استفاد بتفسير الكشّاف للزمخشري عن تفسير البيضاوي في البلاغة القرآنية وأيضا في توجيه بعض الآيات المتشابهة لأنّ تفسير البيضاوي مختصر للكشّاف، لكنّه أخذ من غير الكشّاف أيضا، كالراغب الأصفهاني، وفخر الدين الرّازي، وقد قارنت توجيه بعض الآيات المتشابهة من تفسير البيضاوي فوجدت أنّ ابن فودي قد أخذها منه،

ولم يحل إليه كعادته في إحالة أكثر نقولاته عن العلماء، والكتب، ومن أمثلة ذلك:

١-يقول البيضاوي عند قوله تعالى في سورة النحل:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشَّارِبِينَ (٦٦)﴾:" وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم. نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ استئناف لبيان العبرة، وإنما ذكر الضمير ووحّده ها هنا للفظ وأنثه في سورة «المؤمنين» للمعنى، فإن الْأَنْعامِ اسم جمع ولذلك عدّه سيبويه

[1] أغاكا، عبد الباقي شعيب،الأستاذ الدكتور/ البلاغة القرآنية لدى عبد الله بن فودي/ص:١١٢-١١٣.

في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياس، ومن قال إنه جمع نعم، جعل الضمير للبعض، فإن اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده أو له على المعنى، فإن المراد به الجنس".[١]

ويقول ابن فودي في تفسيرها:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾:"أي الأنعام، ذكّر الضمير ووحّده هنا للفظ، وأنّثه في سورة «المؤمنين» للمعنى، فإن الْأَنْعامِ اسم جمع ولذلك عدّه سيبويه في المفردات كثوب، وأخلاق، ومن قال إنه جمع نعم، جعل الضمير للبعض، لأنّ اللبن لبعضها دون جميعها". (ضياء التأويل: ج٢/٢٣٠).

٢- ومثال الثاني من تفسير البيضاوي قوله في تفسير الآية الأولى من سورة النمل:﴿طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ (١)﴾:" طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ الإشارة إلى آي السورة، والكتاب المبين إما اللوح المحفوظ وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه، وتأخيره باعتباره تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود، أو القرآن وإبانته لما أودع فيه من الحكم والأحكام، أو لصحته بإعجازه وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى وتنكيره للتعظيم.(البيضاوي: ج٤/١٥٤).

ويقول ابن فودي عند تفسير الآية: :(طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ (١):" لكل ما هو كائن وهو اللوح أو هو القرآن المبين لما فيه من الحكم والأحكام عطف بزيادة صفة وعلى أنّه اللوح، أخّر هنا باعتبار تعلق علمنا به، وقدّم في الحجر باعتبار الوجود".(ضياء التأويل: ج٣/١٦٦).

٣-ومن هذا أيضا ما قاله البيضاوي عند تفسير الآية الرابعة من سورة الحجر:﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ (٤)﴾:"وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ أجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ، والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية، والأصل أن لا تدخلها الواو كقوله:إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ ولكن لما شابهت صورتها الحال أدخلت تأكيداً للصوقها بالموصوف.(البيضاوي: ج٣/٢٠٦).

---

[١] البيضاوي،عبد الله بن عمر، ١٤١٨ هـ،المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ط١، دار إحياء التراث العربي – بيروت،لبنان/ج١/٢٣٢.

ويقول ابن فودي:﴿وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ (٤)﴾... والأصل أن لا يدخلها الواو كقوله في الشعراء:" إِلاَّ لَها منذرون" لكن أدخلت عليه تأكيدا للصوقها بالموصوف لدلالة الواو على الجمع والمعيّة، لأنّ الوصف هنا ألصق بالموصوف ممّا في الشعراء أي لأنّه لازم عقلي و ذلك جرت به سنّة الله".(ضياء التأويل: ج٢/٢٠٨).

٣-**تفسير غاية الأماني في تفسير كلام الرّباني**:- للعلاّمة شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الكوراني (ت:٨٩٣هـ):وهو من التفاسير المهمّة للآيات القرآنية، وقد جمع بين تحليلات الزمخشري والبيضاوي من مسائل البلاغة واللغة والنحو في تفسيره، وقد ذكر الدكتور علي أبو بكر أنّ ابن فودي قد ذكر هذا التفسير ونقل منه في ضياء التأويل نحو من مائتين (٢٠٠) مرّة، ممّا يجعل القارئ يحكم بتوفر هذا الكتاب عند علماء الجهاد في صكتو، وقد تبيّن لي بعد مقارنة الجزء المتوفر لي من تفسير غاية الأماني[١] أنّ هذا العدد الذي ذكره الدكتور يمكن أن يتضاعف، لأنّني وجدت كثير من نقولات ابن فودي عنه غير منسوبة إليه وهي منه، ويظهر من تعامل عبد الله مع هذا التفسير أنّه يعتمد عليه كثيراً في توجيه الآيات المتشابهة، لأنّ الكوراني أحيانا يزيد كثيراً من الفوائد في توجيه الآيات المتشابهة بعدما نقل من البيضاوي أو الزمخشري، ونؤكّد هذا البيان بإيراد بعض الأمثلة المقارنة منه مع تفسير ضياء التأويل فنقول:

١-نأخذ -على سبيل المثال- الآية الأولى من سورة الحديد من تفسير غاية الأماني:(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... (١)(الحديد)، يقول شهاب الدين أحمد الكوراني عند تفسيرها:" جاء بلفظ الماضي في مواضع والمضارع في أخرى، دلالة على أنّ شأن من أسند إليه الفعل الاستمرار في جميع الأزمان، وحيث كانت هذه أطول ما صدرت بلفظ التسبيح لم يعد الجار في المعطوف بخلاف سائرها، ولم يغلب العقلاء؛ إشارة إلى أنهم في القِلَّة مغمورون في جملة لا تحصى كثرة.

---

[١] الجزء الذي عثرت عليه من تفسير غاية الأماني هو من سورة النجم إلى آخر القرآن، وهو جزء محقّق في رسالة دكتوراه في التفسير، في جامعة صاقريا بالجمهورية التركية، من قبل الدكتور محمد مصطفى كوكصو في سنة:١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، وذكر أنّ هذا التفسير قد عمل له دراسة= علمية من أول القرآن إلى سورة النجم فأراد أن يكون تحقيقه له من أول سورة النجم إلى آخر القرآن ليتمّ دراسة التفسير كله، إلا أنّني لم أجد هذا التفسير كله -للأسف الشديد- إلا الجزء المحقق من سورة النجم إلى آخر القرآن.

فَفِي كُل شيءٍ لَهُ آيةٌ ... تَدُل على أنهُ وَاحد".[1]

وعندما نعود إلى تفسير ضياء التأويل، سنرى أنّه قد ذكر نفس هذا التفسير لكنّه لم يحل إلى تفسير غاية الأماني كما يحيل إليه في أكثر النقولات عنه، يقول ابن فودي عند تفسير الآية:" (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...): أي نزّهه كلّ شيء، وعدّي باللام ليشعر إيقاع الفعل لله خالصا لوجهه، وجيء بلفظ الماضي في مواضع، والمضارع في أخرى، دلالة على أنّ شأن من أسند إليه الفعل الاستمرار به في جميع الأزمان، ولم يعد الجار لكون هذه السورة أطول ما صدّرت بالتسبيح، وجيء بـ"ما" تغليبا للأكثر".[2]

٢-والمثال الثاني من تفسير غاية الأماني قوله أيضا في سورة الحديد عند قوله تعالى:﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)﴾(الحديد) يقول الكوراني:"مسابقة الفرسان إلى إحراز قصب السبق.﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إنما ذكر العرض؛ لأنه أقصر الامتدادين، فإذا كان حاله كذلك فما ظنك بالطول؟! والمراد جنس السماء، لقوله: (عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ). فإن قلت: أيهما أبلغ؟ قلت: الثاني؛ لحذف أداة التِّشْبيه، والتصريح بما يدل على العدد. فإن قلت: لم اختص بموقعه؟ قلتّ: لأن الثاني في آل عمران، وهو متأخر نزولاً، فلو عكس لم يبق فائدة في ذكره. ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ الاستدلال به على أن مجرد الإيمان كافٍ"[3].

ويقول عبد الله بن فودي:"(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة:ذكر لأنّه أقصر من الطول، وإذا كان كذلك فما ظنّك بالطول، والمراد: جنس

---

[1] الكوراني، أحمد بن إسماعيل، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م،المحقق:محمد مصطفى كوكصو/ غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني/ جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا/ج١/٨٨.

[2] ابن فودي،عبد الله بن محمد/ضياء التأويل في معاني التنزيل/ج٤/١٧٣.

[3] غاية الأماني:ج١/٩٧.

السماء، لقوله: (عَرْضُهَا السَّمَوات وَالْأَرْضِ)(آل عمران:١٣٣) وهو أبلغ لحذف أداة التشبيه والتصريح بما يدل على العدد خصّ به لأنّ المتأخر في النزول، فلو عكس لم يبق فائدة في ذكره والله أعلم".[١]

٣-يقول الكوراني في تفسير قوله تعالى:﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾:" أصول نخل منقلع من مغارسها. وتذكير الصفة باعتبار لفظ النخل، وتأنيثه في قوله (أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) باعتبار المعنى. (غاية الأماني/ ج١/٤٤).

ويقول ابن فودي:﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾:"منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض، شبّهوا به في الطول وعدم الرؤوس والانقلاع لأنّ المنقلع هو الذي ينزع من قعره شبّه تلك الحفر بعد نزعهم بحفر أعجاز النخل المغروسة بعد قلعها، وذكّر وصف النخل هنا و أنّث في الحاقة مراعاة للفظ والمعنى والفواصل في الموضعين" (ضياء التأويل:ج٤/١٥٨) وهذا التوجيه أصله عند الزمخشري والبيضاوي أخذه الكوراني وابن فودي عنهما مع زيادة بعض الفوائد.

٤- ويقول الكوراني عند قوله تعالى في سورة القمر أيضا:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢):" لم يُعِد حديث الإنذار كما أعاده في قصة هود؛ اكتفاءً به، وكذا لم يعده في قوم نوح؛ لأنهم بذلك أولى إذ هم أظلم وأطغى، وتركه رأساً في قصة لوط، لتكرره مراراً، وترك ذكر التيسير والادكار في آل فرعون؛ لأنها آخر القصص فاختصر؛ ليدل الاختصار على الاقتصار. فهذا من أسرار التنزيل لله دره.(غاية الأماني/ج١/٤٧)

ويقول ابن فودي: :(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٢):"أعاده في كلّ قصّة تجديدا للاتّعاظ وحثّا على الاستيقاظ لئلاّ تستولي على الناس الغفلة وهكذا شأن كلّ تكرير في القرآن ك:"فبأي آلاء ربكما تكذبان" و"ويل يومئذٍ للمكذبين"...وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) لا يعجزه شيء، وترك ذكر التيسير والادّكار

---

[١] ضياء التأويل:ج٤/١٧٧.

هنا لأنّه آخر القصص، فاختصر ليدل الاختصار على الاقتصار و هذا من أسرار التنزيل كما قدّمنا مثله لله درّه". (ضياء التأويل: ج٤/١٥٩).

وفي هذه الأمثلة كفاية وإلا لو قدّر الله لنا الحصول على باقي الأجزاء من تفسير غاية الأماني، لتبيّن أنّ أكثر التوجيهات التي يذكرها ابن فودي فإنّه يأخذ من تفسير غاية الأماني، و هناك أمثلة غير ما ذكرنا في الجزء المحقق من سورة النجم إلى آخر القرآن تركناها خوف الإطالة.

٤-**تفسير الكواشي**:لأبي العبّاس أحمد بن يوسف الموصلي، وكواشة قلعة من بلاد الموصل (ت: ٦٨٠هـ)، هو من تلاميذ الإمام السخاوي صاحب أول منظومة في المتشابه اللفظي ومن أقران أبي شامة المقدسي، ومن تلامذة السخاوي أيضا، والذي شرح منظومة أستاذه السخاوي في المتشابه اللفظي، وله أيضا:«المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز»:- ألّف الكواشي تفسيرا كبيرا وسمّاه:"تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر" ثمّ عمل له تفسير ملخّص، ترجمه السيوطي في "بغية الوعاة" "١/ ٤٠١" ونقل عن الذهبي قوله فيه: برع في العربية والقراءات والتفسير. وكان عديم النظير زهدًا وصلاحًا وتبتلًا وصدقًا. وله "التفسير الصغير" و"الكبير"، جود فيه الإعراب وحرر أنواع الوقوف وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس.

قال السيوطي: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في "تفسيره"، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع "الوجيز" و"تفسير البيضاوى" و"ابن كثير".مات الكواشي بالموصل في جمادى الآخرة سنة "٦٨٠".[١] فلعلاقة الكواشي القوية بشيخه الإمام السخاوي صاحب أول منظومة في علم المتشابه، وكونه من كبار القرّاء الذين أسّسوا علم المتشابه فلا عجب إن قلنا بأنّ عبد الله بن فودي قد استفاد منه في جانب توجيه الآيات المتشابهة، وليت هذا التفسير متوفر ومطبوع متداول حتى نجد فرصة المقارنة بينه وبين تفسير ضياء التأويل حتّى نؤكّد ما قلناه.

---

[١] السيوطي،جلال الدين،عبد الرحمن بن أبي بكر، بدون تاريخ/بغية الوعاة في طبقات النحويين والنحاة/ المكتبة العصرية،صيدا، لبنان/ج١/٤٠١.

٥-**تفسير الجلالين**: -"تفسير الجلالين" هو تفسير لعالمين كبيرين، الأول هو جلال الدين المحليّ، والثاني هو جلال الدين السيوطي، وقد وجدت بعض توجيهات ابن فودي للآيات المتشابهة هي من تفسير الجلالين و قد أحال إليه بقوله:"قاله في المكمّل" ويعني بالمكمّل القسم المفسر من قبل جلال الدين السيوطي لتفسير أستاذه جلال الدين المحلي كما قدّمنا ذلك فيما سبق، و هذا المثال موجود عند تفسير الآية السابعة والثمانون من سورة النمل وهي:

١-﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧)﴾(النمل) يقول ابن فودي في تفسيرها:"عبّر بالماضي لتحقق وقوعه أي: خَافُوا الْخَوْف الْمُفْضِي إِلَى الْمَوْت كَمَا فِي آيَة أُخْرَى "فَصَعِقَ" قاله في المكمّل، قلت: وذلك بناءا على أنّ نفخة الفزع هي نفخة الصعق، وبعدها نفخة القيام وهما نفختان لقوله:"ثم نفخ فيه أخرى" وصحح ابن عطية أنّها ثلاث، كما ورد في حديث أبي هريرة: نفخةُ الفَزَعِ، ثمّ نفخةُ الصَّعْقِ، ثمّ نفخةُ".(ضياء التأويل:ج٣/١٨٠).[١]

٢-والمثال الثاني نجده في سورة السجدة عند تفسير قوله تعالى:﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)﴾(السجدة) جاء عند تفسير الآية في تفسير الجلالين:"(فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره أَلْف سَنَة مِمَّا تَعُدُّونَ) فِي الدُّنْيَا وَفِي سُورَة سَأَلَ خَمْسِينَ أَلْف سَنَة وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة لِشِدَّةِ أَهْوَاله بالنسبة إلى الكفار وَأَمَّا الْمُؤْمِن فَيَكُون أَخَفّ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاة مَكْتُوبَة يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا كَمَا جَاءَ فِي الحديث"(الجلالين:ج١/٥٤٥).

ويقول ابن فودي في تفسير الآية:"(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) هو يوم القيامة و في "سأل":خمسين ألف سنة، واختلاف ذلك باختلاف شدائده للكفار، فمنهم من يكون له مقدار ألف سنة، ومنهم من يكون له مقدار خمسين ألف سنة، وأما المؤمنون فمنهم من يكون له كمقدار يوم، وكما بين الظهر والعصر، وكمقدار صلاة مكتوبة..." :(ضياء التأويل:ج٣/٢٢٧).

---

[١] وانظر تفسير:جلال الدين، محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي بدون تاريخ/تفسير الجلالين/ط١، دار الحديث، القاهرة-مصر/ج١/٥٠٤.

٦-**تفسير الرّازي"مفاتيح الغيب"**: لفخر الدين محمد بن عمر الرّازي(ت:٦٠٦هـ): هذا التفسير من مصادر ضياء التأويل، ولكنّ الدكتور علي عبد الحميد ذكر بأنّ ابن فودي استفاد منه عن طريق تفسير الثعالبي الجواهر الحسان، لكنّنا نرى خلاف هذا القول، و هو مصادر ابن فودي بصفة عامة، ومن مصادره أيضا في توجيه الآيات المتشابهة بدليل هذا المثال الذي نقارن به بينهما يقول الإمام فخر الدين الرّازي في تفسيره للآية الخامسة والثمانون من سورة التوبة:﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ (٨٥)﴾: اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا بِعَيْنِهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَذُكِرَتْ هاهنا، وَقَدْ حَصَلَ التَّفَاوُتُ بَيْنَهُمَا فِي أَلْفَاظٍ: فَأَوَّلُهَا: فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ قَالَ: فَلا تُعْجِبْكَ بِالْفَاءِ. وَهَهُنَا قَالَ: وَلا تُعْجِبْكَ بِالْوَاوِ وَثَانِيهَا: أَنَّهُ قال هناك أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ وهاهنا كَلِمَةُ (لَا) مَحْذُوفَةٌ. وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ قَالَ هُنَاكَ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وهاهنا حَذَفَ اللَّامَ وَأَبْدَلَهَا بِكَلِمَةِ (أَنْ) وَرَابِعُهَا: أَنَّهُ قال هناك فِي الْحَيَاةِ وهاهنا حَذَفَ لَفْظَ الْحَيَاةِ وَقَالَ:فِي الدُّنْيا فَقَدْ حَصَلَ التَّفَاوُتُ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْأَرْبَعَةِ، فَوَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ فَوَائِدَ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْأَرْبَعَةِ فِي التَّفَاوُتِ، ثُمَّ نَذْكُرَ فَائِدَةَ هَذَا التَّكْرِيرِ.

أَمَّا الْمَقَامُ الْأَوَّلُ: فَنَقُولُ:أَمَّا النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مِنَ التَّفَاوُتِ وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ قَوْلَهُ: فَلا تُعْجِبْكَ بِالْفَاءِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَبِالْوَاوِ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ، فَالسَّبَبُ أَنَّ فِي الْآيَةِ الْأُولى إِنَّمَا ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ بَعْدَ قَوْلِهِ: وَلا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كارِهُونَ وَصَفَهُمْ بِكَوْنِهِمْ كَارِهِينَ لِلْإِنْفَاقِ، وَإِنَّمَا كَرِهُوا ذَلِكَ الْإِنْفَاقَ لِكَوْنِهِمْ مُعْجَبِينَ/ بِكَثْرَةِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ. فَلِهَذَا الْمَعْنَى نَهَاهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ الْإِعْجَابِ بِفَاءِ التَّعْقِيبِ، فَقَالَ: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ وأما هاهنا فَلَا تَعَلُّقَ لِهَذَا الْكَلَامِ بِمَا قَبْلَهُ فَجَاءَ بِحَرْفِ الْوَاوِ.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى: فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ فَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّرْتِيبِ يُبْتَدَأُ بِالْأَدْوَنِ ثُمَّ يُتَرَقَّى إِلَى الْأَشْرَفِ، فَيُقَالُ لَا يُعْجِبُنِي أَمْرُ الْأَمِيرِ وَلَا أَمْرُ الْوَزِيرِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ إِعْجَابُ أُولَئِكَ الْأَقْوَامِ بِأَوْلَادِهِمْ فَوْقَ إِعْجَابِهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ عِنْدَهُمْ.

أَمَّا النَّوْعُ الثَّالِثُ: وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ هُنَاكَ: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وهاهنا قَالَ: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ فَالْفَائِدَةُ فِيهِ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ التَّعْلِيلَ فِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى مُحَالٌ، وَأَنَّهُ أَيْنَمَا وَرَدَ حَرْفُ التَّعْلِيلِ فَمَعْنَاهُ «أَنْ» كَقَوْلِهِ:﴿وما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ [الْبَيِّنَةِ: ٥]﴾ أَيْ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا بأن يَعْبُدُوا اللَّهَ.

وَأَمَّا النَّوْعُ الرَّابِعُ: وَهُوَ أَنَّهُ ذَكَرَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا وهاهنا ذَكَرَ فِي الدُّنْيا وَأَسْقَطَ لَفْظَ الْحَيَاةِ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلَغَتْ فِي الْخِسَّةِ إِلَى أَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُسَمَّى حَيَاةً، بَلْ يَجِبُ الِاقْتِصَارُ عِنْدَ ذِكْرِهَا عَلَى لَفْظِ الدُّنْيَا تَنْبِيهًا عَلَى كَمَالِ دَنَاءَتِهَا، فَهَذِهِ وُجُوهٌ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ، وَالْعَالِمُ بِحَقَائِقِ الْقُرْآنِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا الْمَقَامُ الثَّانِي: وَهُوَ بَيَانُ حِكْمَةِ التَّكْرِيرِ فَهُوَ أَنَّ أَشَدَّ الْأَشْيَاءِ جَذْبًا لِلْقُلُوبِ وَجَلْبًا لِلْخَوَاطِرِ، إِلَى الِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا، هُوَ الِاشْتِغَالُ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ يَجِبُ التَّحْذِيرُ عَنْهُ مرة بعد أُخْرَى، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ فِي الْمَطْلُوبِيَّةِ وَالْمَرْغُوبِيَّةِ لِلرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ هُوَ مَغْفِرَةَ اللَّهِ تَعَالَى، لَا جَرَمَ أَعَادَ اللَّهُ قَوْلَهُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ مَرَّتَيْنِ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالتَّكْرِيرُ يَكُونُ لِأَجْلِ التَّأْكِيدِ فَهَهُنَا لِلْمُبَالَغَةِ فِي التَّحْذِيرِ، وَفِي آية المغفرة للمبالغة فِي التفريح، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّمَا كَرَّرَ هَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْآيَةِ الْأُولَى قَوْمًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَهُمْ أَمْوَالٌ وَأَوْلَادٌ فِي وَقْتِ نُزُولِهَا، وَأَرَادَ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَقْوَامًا آخَرِينَ، وَالْكَلَامُ الْوَاحِدُ إِذَا احْتِيجَ إِلَى ذِكْرِهِ مَعَ أَقْوَامٍ كَثِيرِينَ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، لَمْ يَكُنْ ذِكْرُهُ مَعَ بَعْضِهِمْ مُغْنِيًا عن ذكره مع الآخرين. (مفاتيح الغيب للرازي:١٦/١١٧-١١٨).

ويقول ابن فودي في توجيهه للآية:﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ (٨٥)﴾:" كرّر هذا للتّأكيد في التحذير لكونه من الأمور المهمة التي يجب أن تكون نصب العين، فإنّ النفوس مجبولة على حبّ الأموال و الأولاد، فأبصارها طامحة إلى ذلك و هي مغتبطة عليها، وما كان كذلك يجب التحذير منه مرّة بعد أخرى، وقيل هذه الآية في فريق غير الأول، وعبّر بالفاء هناك، وبالواو هنا؛ لترتيب الأولى على "كارهون" وكونهم كارهين للإنفاق إنّما هو لإعجابهم بالأموال، ولم يذكر هنا فلا وجه للفاء، و أسقط "لا"

هنا لأنّها دخلت هناك لزيادة التأكيد ليدل على أنّ الفريق الأول أكثر إعجابا بما ذكر أو ليدل على أنّ إسقاطها و ذكرها بمعنى، ولم يذكر هنا اللام بل "أنْ" إعلاما بأنّه لا تفاوت بين الأمرين إذ التعليل في أحكام الله محال، وحيثما ورد حرف التعليل فمعناه "أنْ" كقوله:" وما أمروا إلا ليعبدوا الله"، و أسقط الحياة هنا تنبيها على أنّ الحياة الدنيا خسيسة لا تستحق الذكر في كل محل والله أعلم". (ضياء التأويل: ج٢/ ٩٠).

وبتأمل هذا التوجيه نفهم أنّ ابن فودي لخّصه من كلام الرّازي في "تفسيره مفاتيح الغيب" ولا يجوز القول بأنّه استفاد هذا التوجيه من تفسير الجواهر الحسان أو غيره من التفاسير التي استفاد منها في توجيه الآيات المتشابهة أو في موضوعات أخرى، لأنّك لا تكاد تجد مثل هذا التوجيه عند الزمخشري أو البيضاوي أو غيرهما من مصادر ابن فودي في توجيه المتشابه اللفظي.

٧-**فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**:لشيخ الإسلام أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي،قاض، مفسر، من حفاظ الحديث،ولد في سنيكة (بشرقية مصر) سنة ٨٢٣ هـ، وتعلم في القاهرة، وكف بصره سنة ٩٠٦ هـ. من تصانيفه هذا الكتاب النفيس في علم المتشابه اللفظي من آيات القرآن قال في مقدّمة الكتاب:"وبعد: فهذا مختصرٌ في ذكرِ آياتِ القرآنِ المتشابهاتِ، المختلفةِ بزيادةٍ، أو تقديمٍ، أو إبدال حرفٍ بآخر، أو غيرِ ذلك مع بيان سبب تكراره، وفي ذكر أنْموذجٍ من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها، صريحاً أو إشارةً، جمعتُه من كلام العلماء المحققين، ما فَتح اللهُ به من فيضِ فضلِهِ المتين، وسميته بـ: " فتحُ الرحمن بكشف ما يَلْتبسُ في القرآن ".[1] وقد وجدت لابن فودي بعض نقولات قليلة من هذا الكتاب، ولكن ليس فيما يتعلق بالمتشابه اللفظي، ومن الممكن أن يكون ابن فودي قد استفاد منه في تعليقه بمعرفة وجوه الآيات المتشابهة من آي القرآن الكريم.

المبحث الثالث:الآيات التي انفرد ابن فودي بتوجيهها عن الزمخشري

[1] الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، المحقق:محمد علي الصابوني/ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن/ط١، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان/ج١/٨.

وقبل ذكر هذه الآيات وتوجيهاتها نبدأ بذكر منهج ابن فودي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن وهي:

١- الاستشهاد بالحديث.

٢-الاعتماد على علم التصريف والنحو في توجيه الفرق بين الآيات المتشابهة.

٣-يسلك منهج التلخيص والاختصار عند توجيه وجه الاختلاف والتشابه وعند تعليل سبب الاختلاف.

٤-أحيانا لا يذكر وجه الاختلاف ولا يوجه، ويكتفي بذكر تكرارها وحكمة ذلك أو الغرض منه.

٥-كان ابن فودي في بعض الأوقات يلخص ما جاء في توجيه الزمخشري.

٦-من أسباب الاختلاف بين الآيات المتشابهة عند ابن فودي مقصد الشارع في توجيه الخطاب، فقد تختلف الآيتان من حيث مقصد الشارع في توجيه الخطاب بها إلى الناس.

٧-ينفرد ابن فودي بتوجيه بعض الآيات دون الزمخشزي وقد ذكرنا أمثلة ذلك فيما سبق.

٨-أحيانا يزيد ابن فودي على توجيه الزمخشري ببعض الفوائد.

٩-إذا كان هناك أوجها كثيرة في الاختلاف بين آيتين مختلفتين يذكرها ويوجهها واحدا بعد واحد

١٠-يطول ابن فودي في بعض توجيهاته للآيات المتشابهة.

١١-من أسباب الاختلاف بين الآيات المتشابهة عند ابن فودي اختلاف المعنى في الموضعين.

١٢-أثبت ابن فودي أنّ ترك الاستئناف في بعض الآيات دون بعض هو عدم اتصال بين الكلامين، فترك العطف ببعض الآيات مع بعض، واستئناف الكلام بها يكون بعدم اتصال بين الكلامين.

١٣- يوجه ابن فودي الآية بدون أن يذكر الآيات التي شابهتها في اللفظ ويعبّر عنها بـ"وفي سائر القرآن" أو"وفي غيرها" أو "وتقدّم مثله" إلى غير ذلك من الألفاظ.

١٤-ينظر ابن فودي إلى سياق اللفظة ومناسبتها بالسورة التي ورد ذكرها.

١٥-في نوع التقديم والتأخير من الآيات المتشابهة يميل ابن فودي في أكثر توجيهاته إلى أنّ سببها هو:"الاهتمام بما قدّم في سياقه أكثر مما أخّر".

١٦-من شواهد ابن فودي في توجيه الآيات المتشابهة هو الاعتماد على مكان النزول في توجيه اختصاص الآية بما جاءت به.

١٧-أرجع ابن فودي التذكير في بعض الآيات والتأنيث في البعض الآخر: إلى مراعاة اللفظ والمعنى والفواصل، وإلى إرادة الاختصار.

١٨-يبدأ ابن فودي أحيانا بالتوجيه مباشرة، دون أن يشير إلى الآيات الأخرى التي تخالف الآية التي هو بصدد توجيهها.

١٩-أشار ابن فودي إلى أنّ نوع الذكر والحذف من بعض الآيات المتشابهة في القرآن الكريم أحيانا يكون بقصد الاختصار.

٢٠-يردّ ابن فودي في بعض توجيهاته على توجيه بعض العلماء، ويستشهد ببعض الأدلة لردّ ما جاء من توجيهاتهم.

٢١-من شواهد ابن فودي في توجيه المتشابه اللفظي من آيات القرآن هي الآثار المروية عن الصحابة.

٢٢-من العلوم التي يستعملها ابن فودي أحيانا عند توجيهه للمتشابه من الآيات: علم البلاغة و خاصّة علم البديع منه.

والآن نذكر هذه الآيات التي انفرد به ابن فودي عن الزمخشري فنقول:

١-تقديم"بالقسط" على "شهداء" في سورة النساء:(١٣٥)،وتأخيره في سورة المائدة:(٨):

-من قوله تعالى في سورة النساء:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ... (١٣٥)﴾الآية(النساء). وهناك آية مشابهة لهذه الآية في سورة المائدة وهي:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ...(٨)﴾الآية(المائدة). يقول

ابن فودي عند تفسير آية النساء:" قدّم القسط هنا، وأخّره في المائدة، اهتماما بالعدل في النفس والوالدين والأقربين، لأنّ ذلك مظنّة العدول". (ضياء التأويل: ج١/٢١٣).

وهذا التوجيه انفرد ابن فودي به عن الزمخشري ومن ثمّ البيضاوي، ولكن نجد توجيها لهذه الآية عند فخر الرّازي في مفاتيح الغيب لكنّه وجّه هذه الآية من سورة النساء(١٣٥) مع آية أخرى من سورة آل عمران التي قدّم فيها "الشهادة" على "القيام بالقسط" فلنسمع منه يقول:

"فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ تَعَالَى قَالَ: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨] فَقَدَّمَ الشَّهَادَةَ على القيام بالقسط، وهاهنا قَدَّمَ الْقِيَامَ بِالْقِسْطِ، فَمَا الْفَرْقُ؟

قُلْنَا: شَهَادَةُ اللَّه تَعَالَى عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِهِ تَعَالَى خَالِقًا لِلْمَخْلُوقَاتِ، وَقِيَامُهُ بِالْقِسْطِ عِبَارَةٌ عَنْ رِعَايَةِ الْقَوَّامِينَ بِالْعَدْلِ فِي تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَيَلْزَمُ هُنَاكَ أَنْ تَكُونَ الشَّهَادَةُ مُقَدَّمَةً عَلَى الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ، أَمَّا فِي حَقِّ الْعِبَادِ فَالْقِيَامُ بِالْقِسْطِ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِهِ مُرَاعِيًا لِلْعَدْلِ وَمُبَايِنًا لِلْجَوْرِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ مَا لَمْ يَكُنِ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ شَهَادَتُهُ عَلَى الْغَيْرِ مَقْبُولَةً، فَثَبَتَ أَنَّ الْوَاجِبَ في قوله شَهِدَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الشَّهَادَةُ مُقَدَّمَةً عَلَى الْقِيَامِ بالقسط والواجب هاهنا أَنَّ تَكُونَ الشَّهَادَةُ مُتَأَخِّرَةً عَنِ الْقِيَامِ بِالْقِسْطِ، / وَمَنْ تَأَمَّلَ عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْرَارَ مِمَّا لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا إِلَّا بِالتَّأْيِيدِ الْإِلَهِيِّ واللَّه أَعْلَمُ.(مفاتيح الغيب: ج١١/٢٤١).

و يرى الإمام البقاعي أنّ آية النساء قدّم فيها القيام بالقسط أنّ السورة مبنية على العدل الذي هو القسط فيقول:" ولما كان أعظم مباني هذه السورة العدل قدمه فقال: {بالقسط} بخلاف ما يأتي في المائدة فإن النظر فيها إلى الوفاء الذي إنما يكون بالنظر إلى الموفى له".[1]

٢- *تقديم اللعب على اللهو في سورة الأنعام (٣٢) وتأخيره في آيات أخرى:*

-﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٣٢)﴾(الأنعام).

-﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ..(٦٤)﴾الآية.(العنكبوت).

[1] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن/ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ بدون تاريخ/ دار الكتّاب الإسلامي، القاهرة/ج٥/٤٣١.

-﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...(٥١)﴾الآية(الأعراف) يقول ابن فودي عند تفسير آية الأنعام:"...وقدّم اللعب هنا، لأنّ الكلام مع الكفار الذين كالأنعام؛ إذ هو ردّ عن قولهم:" إن هي إلا حياتنا الدنيا" المتقدم". (ضياء التأويل: ج١/٢٧٠).

٣-*تقديم الضرّ على النفع في سورة يونس(٤٩) وتأخيره في سورة الأعراف(١٨٨):*

-من قوله تعالى:﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ(١٨٨)﴾(الأعراف).

-ومن قوله تعالى:﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(٤٩)﴾(يونس). يقول ابن فودي عند تفسيره لآية يونس:" قدّم الضرّ هنا، أخّره في الأعراف لأنّ الكلام هناك في الساعة وعدم الاطلاع على وقتها، فالأهمّ دفعه،أي لا أملك هذا لنفسي فكيف أملك لكم حلول العذاب".(ضياء التأويل: ج٢/١١٦).

أكثر المفسرين لم يوجهوا هذه الآية كما فعل ابن فودي لكن نجد توجيها آخر للآية عند أبي السعود العمادي في تفسيره فيقول:"{قل لا أملك لنفسى ضَرّا وَلاَ نَفْعًا} أي لا أقدِر على شيءٍ منهما بوجه من الوجوه وتقديمُ الضر لِما أن مساقَ النظمِ لإظهار العجزِ عنه وأما ذكرُ النفعِ فلتوسيع الدائرةِ تكملةً للعجز وما وقع في سورة الأعرافِ من تقديم النفعِ للإشعار بأهميته والمقامُ مقامُه"[١]

٤-*وصف الغلام ب(بغلام عليم) في سورة الحجر(٥٣) والذاريات(٢٨) وب(بغلام حليم) في سورة الصافات(١٠١):*

١-﴿قالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٥٣)﴾(الحجر).

٢-﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ (٢٨)﴾(الذاريات).

٣-﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾(الصافات).

---

[١] أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى/ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ بدون تاريخ/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ج٤/١٥١.

يقول ابن فودي عند آية الحجر:" أي بشّروه بالغلام ليسكن خوفه،والغلام هو إسحاق، وحيث ذكره الله في القرآن مع البشارة وصفه بالعليم، وحيث ذكر إسماعيل وصفه بالحليم، ولعل ذلك لتفاوت الأخلاق، وكان الغالب على كلّ منهما تلك الصفة".(ضياء التأويل: ج٢/٢١٣).

٥-تقديم القرآن على الناس في سورة الكهف(٥٤) وتأخيره في سورة الإسراء(٨٩) والروم(٥٨):

١-﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)﴾(الكهف).

٢-﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)﴾(الإسراء).

٣-﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨)﴾(الروم). يقول ابن فودي عند آية الكهف:"وتقديم القرآن على الناس في هذه السورة خاصة دون سائرها للاهتمام لأنّ السورة مصدّرة به". (ضياء التأويل: ج٣/١٦).

٦-حذف بعد أحرف الزيادة من الفعل من سورة الكهف و تركه في آية أخرى منها(٧٨،٨٢):

١-من قوله تعالى:﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)﴾(الكهف).

٢-ومن قوله تعالى:﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾(الكهف).

يقول ابن فودي عند الآية الثانية:" (مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) أصله "تستطيع" فحذف التاء تخفيفا، ففي هذا وما قبله، جمع بين اللغتين، واختصّ هذا المحل به دون الأول لأنّه آخر القصّة، فيدل الاختصار على الاقتصار، وهذا من غامض كلامه تعالى، كما نوعت العبارة في:"فأردت" "فأردنا" "فأراد ربّك": رعيا في كل مقام من المقامات الثلاث، ما يليق به، فإنّ خرق السفينة لما كان عيبا واقعا بمباشرة الخضر، أسنده إلى نفسه، وإبدال الغلام بما هو خير منه، كان بقتله، وإيجاد الله فأسند الإرادة إليهما، وبلوغ الغلامين وحفظ الكنز لهما لم يكن له في ذلك مدخل،

فأسند إليه تعالى، ويحتمل ذلك باعتبار حال العارف في النظر إلى الوسائط وارتفاعها و هذا أولى والله أعلم". (ضياء التأويل: ج٣/٢١).

٧-العطف بالواو في سورة الأنبياء(٩٣) والعطف بالفاء في آية أخرى من سورة المؤمنون(٥٣):

١- ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ(٩٣)﴾(الأنبياء).

٢- ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)﴾(المؤمنون).

يقول ابن فودي عند تفسير آية الأنبياء:" (وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) و هذا أبلغ من قوله:"فتقطّعوا بالفاء في سورة المؤمنين لمجيء الواو للمقارنة، ولذا أمر هنا بالعبادة، وهناك بالتقوى إشارة إلى بعد هؤلاء عن تلك الرتبة قاله في غاية الأماني".(ضياء التأويل: ج٣/٧٩) وهناك مثال آخر لهذا أيضا، في الآية التي بعد الآية السابقة وهي:(فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤)(الأنبياء) فعطف بالفاء في:(فمن يعمل)، وفي سورة طه استعمل الواو فقال:(ومَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢)(طه). يقول ابن فودي عند تفسير آية الأنبياء:" والفاء في:"فمن يعمل" لإشعار التعقيب بعد التفرق، والواو فيه في السورة السابقة لكونه هناك ابتداء للكلام، والله أعلم". (ضياء التأويل: ج٣/٧٩).

٨-التعبير بـ "السين" في سورة الشعراء(٦) وبـ"سوف" في سورة الأنعام(٥):

١-﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦)﴾(الشعراء).

٢-﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)﴾(الأنعام).

يقول ابن فودي عند تفسير آية الشعراء:" وعبّر في الأنعام بسوف، وهنا بالسين، وكلتا السورتين مكيّة، لأنّ آية الأنعام سابقة نزولا، و التراخي بسوف أكثر من السين، والله أعلم"(ضياء التأويل: ج٣/١٥١).

٩-***تقديم قارون في سورة العنكبوت(٣٩) وتأخيره في سورة غافر(٢٤):***

١-﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا.(٣٩)﴾الآية(العنكبوت).

٢-﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)﴾(غافر).

يقول ابن فودي عند آية العنكبوت:"تقديم قارون لشرف نسبه، وتأخيره في سورة غافر نظراً إلى الوجود).(ضياء التأويل: ج٣/٢٠٤).

وقد ذكر البيضاوي هذا التوجيه لكنّه اقتصر على قوله:"وتقديم قارون لشرف نسبه"(أنوار التنزيل: ج٤/١٩٥) وهذا يدل على أنّ ابن فودي لم يعتمد اعتمادا كليّا على مصادره في توجيه المتشابه اللفظي، بل كان يجتهد في إبراز آرائه الشخصية.

١٠-***تقديم الجار "فيه" على "مواخر" في سورة فاطر(١٢) وتأخيره في سورة النحل(١٤):***

١-﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾(فاطر).

٢-﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤)﴾(النحل).

يقول ابن فودي عند تفسير آية فاطر:" وإنّما قدّم الجار هنا، وأخّره في النحل، لأنّ الكلام هناك في تعداد النعم، وكون الفلك ماخرة سبب قريب وهنا وقع استطرادا أو تتمة للغرض".(ضياء التأويل: ج٣/٢٦٧).

١١-***تقديم(خالق كلّ شيء) على(لا إله إلا هو) في سورة غافر(٦٢)وتأخيره في سورة الأنعام(١٠٢):***

١-(ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢)﴾(غافر).

٢-﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ... (١٠٢)﴾(الأنعام).

يقول ابن فودي عند تفسير آية غافر:" أخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها، أو بدل من سابقه، إن جوز البدل من البدل، وإلا فالكل من الأول، وقدّم "خالق" هنا، وأخّره في الأنعام؛ لأنّ خالقية كلّ شيء دليل توحيده، وقدّم في الأنعام قوله:"خلق كلّ شيء وهو بكل شيء عليم" فكان نتيجة المقدمتين: (لا إله إلا هو)، ثمّ أردفه بقوله:(خالق كلّ شيء) على سبيل التقرير والتوكيد، وهنا لم يتقدّم مثله، فكان حقّه أن يقدّم لتكون كلمة التوحيد نتيجة له، والله أعلم بأسرار كتابه".(ضياء التأويل:ج٤/٦٠).

١٢-***إفراد "اليوم" في سورة القمر(١٩) وجمعه في سورتي الفصلت(١٦) والحاقة(٧):***

١-﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩)﴾(القمر).

٢-﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ(١٦)﴾(فصلت).

٣-﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا(٧)﴾(الحاقة).

يقول ابن فودي عند تفسير آية القمر:"... وإنّما أفرد "اليوم" هنا مع جمعه في "فصلت" و"الحاقة" لإرادة الوقت، واستمرار امتداده أياما فوافق ما هناك".(ضياء التأويل:ج٤/١٥٨).

ويقول الإمام الرّزاي في توجيه الآية:" قَالَ هُنَا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ وقال في السجدة: فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ [فُصِّلَتْ: ١٦] وَقَالَ فِي الْحَاقَّةِ: سَبْعَ لَيالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً [الْحَاقَّةِ: ٧] وَالْمُرَادُ مِنَ الْيَوْمِ هُنَا الْوَقْتُ وَالزَّمَانُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا [مَرْيَمَ: ٣٣] وَقَوْلُهُ: مُسْتَمِرٍّ يُفِيدُ مَا يُفِيدُهُ الْأَيَّامُ لِأَنَّ الِاسْتِمْرَارَ يُنْبِئُ عَنْ إِمْرَارِ الزَّمَانِ كَمَا يُنْبِئُ عَنْهُ الْأَيَّامُ، وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ اللَّفْظُ مَعَ اتِّحَادِ الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْحِكَايَةَ هُنَا مَذْكُورَةٌ عَلَى سَبِيلِ الِاخْتِصَارِ، فَذَكَرَ الزَّمَانَ وَلَمْ يَذْكُرْ مِقْدَارَهُ وَلِذَلِكَ لَمْ يَصِفْهَا، ثُمَّ إِنَّ فيه قراءتين أحدهما:يَوْمِ نَحْسٍ بِإِضَافَةِ يَوْمٍ، وَتَسْكِينِ نَحْسٍ عَلَى وَزْنِ نَفْسٍ، وَثَانِيَتُهُمَا: يَوْمٍ نَحِسٍ بِتَنْوِينِ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْحَاءِ عَلَى وَصْفِ الْيَوْمِ بِالنَّحِسِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ.(مفاتيح الغيب:ج٢٩/٣٠٣).

١٣-***ذكر كاف التشبيه في سورة الحديد(٢١) وحذفه في سورة آل عمران(١٣٣):***

١-﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ(٢١)﴾(الحديد).

٢-﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣)﴾(آل عمران).

يقول عبد الله بن فودي عند تفسير آية الحديد:"(وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة:ذكر لأنّه أقصر من الطول، وإذا كان كذلك فما ظنّك بالطول، والمراد: جنس السماء، لقوله: (عَرْضُهَا السَّمَوات وَالْأَرْضِ)(آل عمران:١٣٣) وهو أبلغ لحذف أداة التشبيه والتصريح بما يدل على العدد خصّ به لأنّ المتأخر في النزول، فلو عكس لم يبق فائدة في ذكره والله أعلم".(ضياء التأويل:ج٤/١٧٧).

١٤-ترك ذكر ضمير الفصل "هو" في سورة لقمان(٣٠) وذكره في سورة الحج(٦٢):

١-﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْباطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)﴾(لقمان).

٢-﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)﴾(الحج).

يقول ابن فودي عند تفسير آية لقمان:" و ترك ضمير الفصل هنا، المؤكد به في سورة الحج؛ إذ الكلام هناك في نصر المظلوم، والمشركون يزعمون أنّ آلهتهم تنصرهم فلاق المكان هناك بالتأكيد، بخلاف ما هنا، والله أعلم."(ضياء التأويل:ج٣/٢٢٤).

١٥-استعمال "ثمّ" في سورة الأعراف (١٢٤) واستعمال "الواو" في سورتي طه (٧١) والشعراء(٤٩):

١-من قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)﴾.

٢-ومن قوله تعالى في سورة طه:﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى(٧١)﴾.

٣-ومن قوله تعالى في سورة الشعراء:﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير آية الأعراف:"(ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) تفضيحا لكم و تنكيلا لأمثالكم، دلّت لفظة "ثمّ" على أنّه بعد القطع لم يصلبهم على الفور، بل تركهم زمانا مطروحين على الأرض، احتقاراً لشأنهم، ولما أفاد هذا المعنى هنا، ذكره في سائر السور اختصارا". {ضياء التأويل:٢/٢٣}.

١٦-***التشابه والاختلاف بين "الفاء" و"الواو":***

١-من قوله تعالى في سورة التوبة:(فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ(٥٥)﴾.

٢-ومن قوله تعالى فيها أيضا:﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ(٨٥)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير الآية الثانية:" كرّر هذا للتأكيد في التحذير لكونه من الأمور المهمة التي يجب أن تكون نصب العين، فإنّ النفوس مجبولة على حبّ الأموال والأولاد، فأبصارها طامحة إلى ذلك وهي مغتبطة عليها، وما كان كذلك يجب التحذير منه مرّة بعد أخرى، وقيل هذه الآية في فريق غير الأول، وعبّر بالفاء هناك، وبالواو هنا، لترتيب الأولى على "كارهون" و كونهم كارهين للإنفاق إنّما هو لإعجابهم بالأموال، ولم يذكر هنا فلا وجه للفاء، وأسقط "لا" هنا؛ لأنّها دخلت هناك لزيادة التأكيد ليدلّ على أنّ الفريق أكثر إعجابا بما ذكر، أو ليدلّ على أنّ إسقاطها وذكرها بمعنًى، ولم يذكر هنا "اللام" بل "أن"، إعلاما بأنّه لا تفاوت بين الأمرين إذ التعليل في أحكام الله محال، و حيثما ورد حرف التعليل فمعناه: "أن" كقوله:(و ما أمروا إلا ليعبدوا الله) وأسقط "الحياة" هنا، تنبيها على أنّ الحياة الدنيا خسيسة لا تستحق الذكر في كلّ محل والله أعلم". {ضياء التأويل:٢/٩٠}.

١٧-التشابه والاختلاف في ذكر "الفاء" في سورتي هود(٢٧) والمؤمنون(٢٤) وحذفها في سورة الأعراف(٦٠):

-من قوله تعالى في سورة هود:﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ(٢٧)﴾.

-ومن سورة المؤمنون قوله تعالى:﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤)﴾.

-ومن سورة الأعراف قوله تعالى:﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير آية الأعراف:

"(قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ) أي من أشرافهم لأنّهم يملأون العيون رعبا، ولم يذكر "الفاء" كما في سائر السور إشارة هنا إلى أنّهم لفرط جهلهم كأنّ كلامهم لم يعقب كلامه إذ ردّوا نصحه من غير تأمّل بقولهم:(إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)". {ضياء التأويل:١٤/٢}.

١٨-التشابه والاختلاف بين "على" و"اللام":

-من قوله تعالى في سورة العنكبوت:﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٨)﴾.

-ومن سورة لقمان قوله تعالى:﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير آية العنكبوت:

"وعدّي "جاهداك" هنا بـ"اللام" وفي لقمان بـ"على" لكون الكلام هناك في أثناء وصيّة لقمان فدلّ على شدّة الاهتمام بعدم الإشراك بـ"على" الدال على القهر والإلجاء أي:قهراك عليه، و "ما" هنا، إشارة إلى الصارف عن الإيمان الذي سبق ذكره". {ضياء التأويل:١٩٩/٣}.

١٩-الإفراد والتثنية والجمع:

-من قوله تعالى في سورة المزمل:﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا(٩)﴾.

-ومن سورة الشعراء:﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)﴾.

وفي هاتين الآيتين من سورتي المزمل والشعراء قراءة بجمع المشرق "مشارق" والمغرب "مغارب".

-ومن سورة الرحمن قوله تعالى:﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧)﴾.

-ومن سورة المعارج قوله تعالى:﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠)﴾.

-ومن سورة الأعراف قوله تعالى:﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...(١٣٧)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير آية الرحمن:

"...ولا تخفى مناسبة تثنية "المشرق"و"المغرب" في هذه السورة لأنّ سياقها زوجان".{ضياء التأويل:١٦٢/٤}.

٢٠- تأخير "الافتراء" عن الشعر في سورة الطور(٣٣-٣٠) وعكسه في سورة الأنبياء(٥):

-من قوله تعالى في سورة الطور:﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠)قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾.

-ومن قوله تعالى في الأنبياء:﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير آية الأنبياء:

"...وإنّما أخّر الافتراء عن الشعر في سورة الطور عكس ما هنا؛ لأنّ الكلام هنا في الذكر المتجدد النزول فكأنّهم قالوا: قائله كذّاب بل شاعر شأنه الإتيان بالأكاذيب، وما لا حقيقة له، بخلافه هناك؛ فإنّ الكلام في رسالته، وكونه شاعرا أقرب من كونه مفتريًا؛ لاشتهاره عندهم بالأمانة والصدق".{ضياء التأويل:٣/٦٤}

٢١-تقديم البصر على السمع وعكسه:

-من قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا (١٧٩)﴾.

-ومن قوله تعالى فيها أيضا:﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا...(١٩٥)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة الكهف:﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ...(٢٦)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة هود:﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ(٢٠)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة مريم:﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا...(٣٨)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير آية الأعراف:(وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) الكاملون في الغفلة كالتأكيد للأولى، ولذا لم يدخل العاطف،وإنّما قدّم البصر هنا، والسمع في سائر الآيات لكون الآية مسوقة للتشبيه بالأنعام، وهي بفقد البصر أشد تضرّراً من فقد السمع لأنّه مدار تعيشها في طلب الماء والكلأ على حاسة البصر". {ضياء التأويل:٣٩/٢}.

٢٢-***حذف كلمة من سورة التوبة(٩٣) وحذفها من آية أخرى منها(١٠٥):***

-من قوله تعالى في سورة التوبة:﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)﴾.

-ومن قوله تعالى فيها أيضا:﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾.

يقول ابن فودي عند هذه الآية الثانية:

"...وإنّما أردف ذكر المنافقين بقوله:" وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ" وزاد هنا بعد ذكر التائبين " وَالْمُؤْمِنُونَ"؛ لأنّ الاطلاع عالى حال المنافقين خاص بالله أو رسوله بالوحي، وأما الاطلاع على أحوال المؤمنين فمعلوم عند المؤمنين بالأعمال الظاهرة والقرائن. والله أعلم".{ضياء التأويل:٩٦/٢}.

٢٣-***تقديم الليل على النهار في سورة الليل(١) وتأخيره في سورة الضحى(٢):***

-من قوله تعالى في سورة الليل:﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢)﴾.
-ومن سورة الضحى قوله تعالى:﴿وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)﴾.
يقول ابن فودي عند تفسير آية الضحى:
"وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الأصل، وتقديم النهار هنا باعتبار الشرف". {ضياء التأويل:٢٨٣/٤}. وهذا التوجيه أخذه ابن فودي من البيضاوي.(أنوار التنزيل:ج٥/٣١٩).

٢٤-إضافة الآيات إلى الله في سورة النور(٥٩) وتركه في آيات منها (١٨،٥٨،٦١):

-من قوله تعالى في سورة النور:﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)﴾.
-ومن قوله تعالى فيها:﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨)﴾.
-ومن قوله تعالى فيها:﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)﴾.
-ومن قوله تعالى فيها:﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)﴾.
يقول ابن فودي عند تفسير هذه الآية الأخيرة:
"كرّره مبالغة في شأن الاستئذان وتوكيدًا له، وأضاف الآيات إليه زيادة في التوكيد لأنّ الاستئذان مما يتساهل فيه، وعن ابن عباس:ثلاث آيات تهاونها الناس:"آيات الإذن" و"إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم"و"إذا حضر القسمة أولو القربى".{ضياء التأويل:١٣٥/٣}.

٢٥-التشابه والاختلاف في الاستكبار والإباء من قصّة إبليس في سورة البقرة(٣٤) والحجر(٣١) وص (٧٤):

-من قوله تعالى في سورة البقرة:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)﴾.
-ومن قوله تعالى في ص:﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤)﴾.
-ومن سورة الحجر قوله تعالى:﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١)﴾.
يقول ابن فودي عند تفسير آية الحجر:

"فالاستثناء إن جعل منقطعا اتّصل به "أبى" أي لكن إبليس أبى، وإن جعل متّصلا كان استئنافًا على أنّه جواب سائل ما الباعث له على ذلك فقيل أبى، وجمعه مع استكبر في "البقرة" والاقتصار هنا على الإباء، وفي "ص" على الاستكبار تفنّن يسمى بـ"الاقتدار" في أنواع البديع، لأنّ تلك الأفعال كلّها صادرة منه دالة على كفره وتمرّده". {ضياء التأويل: ٢١١}.

٢٦-التشابه والاختلاف بين "يوم مقداره خمسين ألف سنة" من سورة المعارج(٤) و"يوم مقداره ألف سنة" من سورتي الحج (٤٧) والسجدة (٥):

-من قوله تعالى في سورة المعارج:(تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤).

-ومن سورة الحج قوله تعالى:﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧)﴾.

-ومن سورة السجدة قوله تعالى:﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير آية السجدة:

"(فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) هو يوم القيامة وفي "سأل":خمسين ألف سنة، واختلاف ذلك باختلاف شدائده للكفار، فمنهم من يكون له مقدار ألف سنة، ومنهم من يكون له مقدار خمسين ألف سنة، وأما المؤمنون فمنهم من يكون له كمقدار يوم، وكما بين الظهر والعصر، وكمقدار صلاة مكتوبة...". {ضياء التأويل: ج٣/٢٢٧}.

الفصـــــــــــــــــــل الرابـــــــــــــــــــع:

دراسة مقارنة في الآيات المتشابهة بين الزمخشري وابن فودي.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

دراسة المتشابه اللفظي في الحروف.

المبحث الثاني:

دراسة المتشابه اللفظي في اللفظ والتركيب.

المبحث الثالث:

دراسة المتشابه اللفظي في فواصل الآي.

الفصل الرابع: دراسة مقارنة في الآيات المتشابهة بين الزمخشري وابن فودي

المبحث الأول: دراسة المتشابه اللفظي في الحروف

١-التشابه والاختلاف في التعدّي بـ"إلى" و"اللام":

-من قوله تعالى:﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾(الرعد:٢،الزمر:٥،فاطر:١٣)

-ومن قوله تعالى:﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى (٢٩)﴾(لقمان).

يقول الزمخشري عند آية لقمان:

"فإن قلت: يجرى لأجل مسمى، ويجرى إلى أجل مسمى: أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن. ولكن المعنيين؛ أعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض؛ لأنّ قولك يجرى إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهى كل

واحد منهما ملائم لصحة الغرض، لأنّ قولك يجرى إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهى إليه. وقولك: يجرى لأجل مسمى: تريد يجرى لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى. ألا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة، وجرى القمر مختص بآخر الشهر، فكلا المعنيين غير ناب به موضعه" {كشاف:٥٠٢/٣}.

ويقول ابن فودي عند تفسير آية لقمان:

"وإيقاع "إلى" هنا صلة الجري؛ لأنّ معناه الانتهاء، ومعنى اللام الاختصاص، وهو أبلغ، فكثر في القرآن، ولم يقع "إلى" إلّا في هذا الموضع". {ضياء التأويل:٢٢٤/٣}.

٢- التشابه والاختلاف بين "ثمّ" في قوله تعالى في سورة الأنعام:"ثمّ انظروا" و"الفاء" في "فانظروا" في سورة النمل وغيرها:

-قال تعالى في سورة الأنعام:﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(١١)﴾.

-وقال تعالى في سورة النمل:﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ(٦٩)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية الأنعام:

" فإن قلت: أى فرق بين قوله:(فَانْظُروا وبين قوله ثُمَّ انْظُرُوا) قلت: جعل النظر مسبباً عن السير في قوله فَانْظُروا فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين. وأما قوله سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين. ونبه على ذلك بثم، لتباعد ما بين الواجب والمباح".{الكشاف:٨/٢).

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"قال هنا "ثمّ" وفي آية أخرى "فانظروا" لأنّ السير هنا مقصود بذاته للتجارة، وغيرها، وهناك للنظر فقط، إذ دلّ الفاء على سببيّة الأول للثاني".{ضياء التأويل:٢٦٥/١}.

٣-التشابه والاختلاف بين "الفاء" و"الواو":

-النموذج الأول:

-من قوله تعالى:﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧)﴾(الأعراف).

-ومن قوله تعالى:﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨)﴾(الأعراف).
-ومن قوله تعالى:﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾(الأعراف).
يقول الزمخشري عند الآية الأولى:
" فإن قلت: ما المعطوف عليه؟ ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو؟ قلت: المعطوف عليه قوله فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وقوله وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى إلى يَكْسِبُونَ وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه. وإنما عطف بالفاء، لأنّ المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى؟ وقرئ: أو أمن، على العطف بـ "أو" وَهُمْ يَلْعَبُونَ يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون". {الكشاف:١٣٤/٢}.
ويقول ابن فودي عند تفسيرها:
"وإنّما عطف الثاني بالواو والأول والثالث بالفاء؛ لأنّ المعنى أخذناهم بغتة لما صنعوا ما صنعوا، أبعد ذلك أمن أهل هذه القرى من مجيء بأسنا بياتا، وأمنوا إتيانه ضحىً، فالمنكر أمنهم إتيان البأس في هذين الوقتين من غير ترتيب، وأما الثالث فتكرير للأول على طريقة الجمع بعد التقسيم مبالغة في التحذير". {ضياء التأويل:٢٠/٢}.

-النموذج الثاني:

-من قوله تعالى في سورة الحج:﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥)﴾.
-و من قوله تعالى في سورة الحج أيضا:﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨)﴾.
يقول الزمخشري عند تفسير الآية الثانية:
" فإن قلت: لم كانت الأولى معطوفة بالفاء، وهذه بالواو؟ قلت: الأولى وقعت بدلا عن قوله فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ وأمّا هذه فحكمها حكم ما تقدّمها من الجملتين المعطوفتين بالواو، أعنى قوله وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ". {الكشاف:١٦٣/٣}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"و كرّر هذا لجلب معنى آخر، وهو الإملاء، ثمّ التعذيب لئلّا يفرح هؤلاء بتأخر العذاب عنهم، وعطف ما تقدّم بالفاء لكونه بدلا عن قوله:"فكيف كان نكير" وللتعقيب".{ضياء التأويل:٣/٩٥}.

-النموذج الثالث:

-من قوله تعالى في سورة المؤمنون:﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة المؤمنون أيضا:﴿وَقالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ما هذا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣)﴾

يقول الزمخشري عند الآية الثانية:

"فإن قلت: ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الأعراف وسورة هود بغير واو: قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ، قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ وهاهنا مع الواو، فأي فرق بينهما؟ قلت: الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال: فما قال قومه؟ فقيل له: قالوا كيت وكيت. وأما الذي مع الواو، فعطف لما قالوه على ما قاله. ومعناه: أنه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل، وشتان ما هما بِلِقاءِ الْآخِرَةِ بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب، كقولك: يا حبذا جوار مكة: أي جوار الله في مكة". {الكشاف:٣/١٨٦}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"وعطف قولهم على قول الرسول هنا بالواو لعدم الاتصال كلامهم بكلامه، بخلاف قول نوح، وحيث استؤنف فعلى تقدير سؤال كأنّه قيل: ما قالوا في جوابه فقيل:كيت وكيت. ومعنى عدم الاتصال كلامهم بكلامه أنّهم لم يخاطبوه بل قال بعضهم لبعض كلامًا، فأشير إلى الفرق بين قوله الحق وقولهم الباطل فلا مساغ للاستئناف".{ضياء التأويل:٣/١٠٧}.

٤-التشابه والاختلاف في بقاء الواو وحذفها:

-النموذج الأول:

-من قوله تعالى في سورة الحجر:﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)﴾.

-و من قوله تعالى في سورة الشعراء:﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨)﴾.

يقول الزمخشري عند آية الحجر:

"وَلَها كِتابٌ جملة واقعة صفة لقرية، والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَها مُنْذِرُونَ وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف، كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب". {الكشاف:٢/٥٧٠}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

":(وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَها كِتابٌ مَعْلُومٌ)... والأصل أن لا يدخلها الواو كقوله في الشعراء:" إِلاَّ لَها منذرون" لكن أدخلت عليه تأكيدا للصوقها بالموصوف، لدلالة الواو على الجمع والمعيّة، لأنّ الوصف هنا ألصق بالموصوف ممّا في الشعراء أي لأنّه لازم عقلي و ذلك جرت به سنّة الله".(ضياء التأويل:ج٢/٢٠٨).

-النموذج الثاني:

-من قوله تعالى في سورة غافر:﴿يا قَوْمِ إِنَّما هذِهِ الْحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دارُ الْقَرارِ (٣٩)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة غافر أيضا:﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير الآية الثانية:

"فإن قلت: لم كرر نداء قومه؟ ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني؟ قلت: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة. وفيه: أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم، ويستدعى بذلك أن لا يتهموه، فإنّ سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على تنصيحه لهم، كما كرر إبراهيم عليه السلام

في نصيحة أبيه: يا أبت. وأما المجيء بالواو العاطفة، فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له، فأعطى الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو، وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة.{الكشاف:٤/١٦٨-١٦٩}.

و يقول ابن فودي عند تفسيرها:

"كرّر نداءهم لما لاح له أنّهم مستغرقون في بحر الغفلة، إيقاظًا لهم واهتمامًا بالمنادى له، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه، وأعاد الواو هنا دون قوله"يا قوم إنّما هذه الحياة الدنيا..." إلى آخره، لأنّه بيان لما أجمل قبله، لأنّ ذمّ الدنيا وتعظيم الآخرة هو عين الإرشاد، وأما قوله:ما لي أدعوكم" فموازنة بين دعوته التي ثمرتها الجنّة، ودعوتهم التي ثمرتها النار، فليس من تفسير الإرشاد، ولذا عطف ليقتضي التغاير، والله أعلم".{ضياء التأويل:٤/٥٧}.

-النموذج الثالث:

-من قوله تعالى في سورة ق:﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣)﴾.

-و من قوله تعالى فيها أيضا:﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ(٢٧)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير الآية الثانية:

"فإن قلت: لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الأولى؟ قلت: لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون. فإن قلت، فأين التقاول هاهنا؟ قلت: لما قال قرينه هذا ما لَدَيَّ عَتِيدٌ وتبعه قوله قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وتلاه لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ: علم أنّ ثم مقاولة من الكافر، لكنها طرحت لما يدل عليها، كأنه قال: رب هو أطغاني، فقال قرينه: ربنا ما أطغيته. وأمّا الجملة الأولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول، أعنى مجيء كل نفس مع الملكين: وقول قرينه ما قال له ما أَطْغَيْتُهُ ما جعلته طاغيا، وما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى: وَما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي.{الكشاف:٤/٣٨٧}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"والعطف في الأولى للدلالة على الجمع بين مجيء كلّ نفس وقول قرينه".{ضياء التأويل:٤/١٣٧}.

-النموذج الرابع:

١-﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)﴾(إبراهيم).

٢-﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)﴾(البقرة).

٣-(وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)(الأعراف).

يقول الزمخشري: فإن قلت: في سورة البقرة يُذَبِّحُونَ وفي الأعراف يُقَتِّلُونَ وهاهنا وَيُذَبِّحُونَ مع الواو، فما الفرق؟ قلت: الفرق أنّ التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أو في على جنس العذاب، وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر. (الكشّاف:ج٢/١٤٠-١٤١).

ويقول ابن فودي عند تفسير آية إبراهيم:" والجمل الثلاث أحوال من آل فرعون، أو من ضمير المخاطبين، زيد الواو هنا لأنّ المراد هنا بالعذاب غير المراد به في البقرة والأعراف، لأنّه مفسر بالذبح والقتل، والذبح معطوف عليه هنا، فهو هنا جنس من العذاب، كالاستعباد".(ضياءالتأويل: ج٢/١٩٦).

وقد أخذا هذا التوجيه من الزمخشري كل من يستمد من يأخذ منه كالبيضاوي والرّازي وإن زاد عليه ببعض البيان والشرح، ولا بأس أن ننقل كلام البيضاوي والرّازي ليتبيّن تأثرهما بالكشّاف من هذه الناحية يقول البيضاوي عند تفسير الآية:﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ﴾ أحوال من آل فرعون، أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ها هنا غير

المراد به في سورة «البقرة» و «الأعراف» لأنه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ها هنا، وهو إما جنس العذاب أو استعبادهم أو استعمالهم بالأعمال الشاقة.(أنوار التنزيل: ج٣/١٩٣).

وأما الإمام الرّازي في تفسيره فقد وجّه الآية بنحو هذا الكلام فقال:

ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: يُذَبِّحُونَ [الْبَقَرَةِ: ٤٩] وَفِي سورة الأعراف: يُقَتِّلُونَ [الأعراف: ٤١] وهاهنا وَيُذَبِّحُونَ مَعَ الْوَاوِ فَمَا الْفَرْقُ؟

وَالْجَوَابُ: قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: يُذَبِّحُونَ بِغَيْرِ وَاوٍ لِأَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: سُوءَ الْعَذابِ وَفِي التَّفْسِيرِ لَا يَحْسُنُ ذِكْرُ الْوَاوِ تَقُولُ: أَتَانِي الْقَوْمُ زَيْدٌ وَعَمْرٌو. لِأَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تُفَسِّرَ الْقَوْمَ بِهِمَا وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ [الْفُرْقَانِ: ٦٨، ٦٩] فَالْأَثَامُ لَمَّا صَارَ مُفَسَّرًا بِمُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ لَا جَرَمَ حُذِفَ عَنْهُ الْوَاوُ، أَمَّا فِي هَذِهِ السُّورَةِ فَقَدْ أَدْخَلَ الْوَاوَ فِيهِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُعَذِّبُونَهُمْ بِغَيْرِ التَّذْبِيحِ وَبِالتَّذْبِيحِ أَيْضًا فَقَوْلُهُ: وَيُذَبِّحُونَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْعَذَابِ لَا أَنَّهُ تَفْسِيرٌ لِمَا قَبْلَهُ.(مفاتيح الغيب: ج١٩/٦٦).

وكذلك نجد ابن عطية اتفق معهم بنحو هذا التوجيه فقال: وقد تقدم تفسير هذه الآية وقصصها بما يغني عن إعادته، غير أن في هذه الآية زيادة الواو في قوله: وَيُذَبِّحُونَ وفي البقرة:يُذَبِّحُونَ [البقرة: ٤٩]- بغير واو عطف. فهناك فسر سوء العذاب بأنه التذبيح والاستحياء، وهنا دل بسوءالعذاب على أنواع غير التذبيح والاستحياء، وعطف التذبيح والاستحياء عليها.[1]

و أعتقد أنّ كل من سبق ذكره من المفسرين أخذا هذا الكلام من الفرّاء لأنّ الإمام البغوي ذكر له نحو هذا الكلام،[2] أو يمكن القول بأنّهم أخذوه من تفسير الطبري لأنّه جاء بمثل هذا التوجيه

---

[1] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب/ المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ط١، ١٤٢٢هـ/ دار الكتب العلمية – بيروت–لبنان/ج٣/٣٢٥.

[2] يقول البغوي قَالَ الْفَرَّاءُ: الْعِلَّةُ الْجَالِبَةُ لِهَذِهِ الْوَاوِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَهُمْ أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ كَانُوا يُعَذِّبُونَهُمْ بِأَنْوَاعٍ الْعَذَابِ غَيْرِ التَّذْبِيحِ، وَبِالتَّذْبِيحِ، وَحَيْثُ طرح الواو في يذبحون ويقتلون أراد تفسيرالْعَذَابِ الَّذِي كَانُوا يَسُومُونَهُمْ.(معالم التنزيل للبغوي: ج٣/٣٠-٣١)

فقال:"وأدْخلت الواو في هذا الموضع، لأنه أريد بقوله: (ويذبحون أبناءكم) ، الخبرُ عن أن آل فرعون كانوا يعذبون بني إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح. وأما في موضعٍ آخر من القرآن، فإنه جاء بغير الواو: (يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) [سورة البقرة: ٤٩] ، في موضع، وفي موضع (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ) [سورة الأعراف: ١٤١] ، ولم تدخل الواو في المواضع التي لم تدخل فيها لأنه أريد بقوله: (يذبحون) ، وبقوله: (يقتلون) ، تبيينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم. وكذلك العملُ في كل جملة أريد تفصيلُها،فبغير الواو تفصيلها، وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فبالواو.(جامع البيان: ج١٦/٥٢٤).

٥- التشابه والاختلاف في بقاء "أنْ" وحذفها:

-من قوله تعالى في سورة النمل:﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ(١٠)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة القصص:﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية النمل:

" فإن قلت: علام عطف قوله وَأَلْقِ عَصاكَ؟ قلت: على بورك، لأن المعنى: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك: كلاهما تفسير لنؤدي. والمعنى: قيل له بورك من في النار، وقيل له: ألق عصاك. والدليل على ذلك قوله تعالى وَأَنْ أَلْقِ عَصاكَ بعد قوله أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ على تكرير حرف التفسير، كما تقول: كتبت إليك أن حج وأن اعتمر، وإن شئت أن حج واعتمر".

{الكشاف:٣/٣٥٠}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"وأظهر حرف التفسير في القصص وحذفه هنا، والكل سائغ، تقول:كتبت إليه:أن حجّ وأن اعتمر، وإن شئت قلت:أن حجّ واعتمر". {ضياء التأويل:٣/١٦٧}.

المبحث الثاني:دراسة المتشابه اللفظي في اللفظ والتركيب.

١-*التعريف والتنكير*:

-من قوله تعالى في سورة البقرة:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)﴾.

-و من قوله تعالى في سورة إبراهيم:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية إبراهيم:

"فإن قلت: أَى فرق بين قوله اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وبين قوله اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً؟ قلت: قد سأل في الأوّل أَن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف، فاجعله آمناً". {الكشاف:٢/٥٥٧).

و يقول ابن فودي عند تفسيرها:

"و"أل" إشارة إلى ما في الذهن، ونكّر في البقرة؛ لأنّ المسئول هناك جعله بلدًا من البلاد، ثمّ جعله آمنًا، والمسئول هنا: الأمن فقط، بعد أن كان بلدًا، والله أعلم". {ضياء التأويل:٢/٢٠٢}.

٢-*الإفراد و التثنية:*

-من قوله تعالى في سورة طه:﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى(٤٧)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة الشعراء:﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية الشعراء:

"فإن قلت: هلا ثنى الرسول كما ثنى في قوله إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ؟ قلت: الرسول يكون بمعنى المرسل، وبمعنى الرسالة، فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بدّ من تثنيته، وجعل هاهنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه- إذا وصف به- بين الواحد والتثنية والجمع، كما يفعل بالصفة بالمصادر، نحو: صوم، وزور. قال:

ألكنى إليها وخير الرّسو ... ل أعلمهم بنواحي الخبر

فجعله للجماعة. والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله:

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ... بسرّ ولا أرسلتهم برسول

ويجوز أن يوحد، لأنّ حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة، واتحادهما لذلك وللإخوة كان حكما واحدا، فكأنهما رسول واحد. أو أريد أنّ كل واحد منا أَنْ أَرْسِلْ بمعنى: أى أرسل، لتضمن الرسول معنى الإرسال. وتقول: أرسلت إليك أن افعل كذا، لما في الإرسال من معنى القول، كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك". {الكشاف:٣/٣٠٤-٣٠٥}.

و يقول ابن فودي عند تفسيرها:

" (فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك، وأفرد الرّسول لاتّحاد المرسل به، فكأنّهما واحد، أو لأنّه مصدر وُصِفَ به؛ لأنّه مشترك بين المرسل والرّسالة كقوله:

ألا أبلغ أبا عمرو رسولا **

وقوله:

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ** بسرّ ولا أرسلتهم برسول.

{ضياء التأويل:١٥٢/٣}.

٣-***التذكير والتأنيث:***

-من قوله تعالى في سورة القمر:﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة الحاقة:﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية القمر:

"كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ يعنى أنهم كانوا يتساقطون على الأرض أمواتا وهم جثث طوال عظام، كأنهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع، منقعر: منقلع: عن مغارسه. وقيل: شبهوا بأعجاز النخل، لأنّ الريح كانت تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس. وذكر صفة نَخْلٍ على اللفظ، ولو حملها على المعنى لأنّث، كما قال أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ".{الكشاف:٤٣٦/٤}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ):"منقلع عن مغارسه ساقط على الأرض، شبّهوا به في الطول وعدم الرؤوس والانقلاع لأنّ المنقلع هو الذي ينزع من قعره شبّه تلك الحفر بعد نزعهم بحفر أعجاز النخل المغروسة بعد قلعها، وذكّر وصف النخل هنا و أنّث في الحاقة مراعاة للفظ والمعنى والفواصل في الموضعين".{ضياء التأويل:ج١٥٨/٤}.

٤-***تذكير الضمير و تأنيثه:***

-من قوله تعالى في سورة النحل:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة المؤمنون:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية النحل:

"ذكر سيبويه الأنعام في باب مالا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال، كقولهم:ثوب أكياش، ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً. وأمّا فِي بُطُونِهَا في سورة المؤمنين، فلأنّ معناه الجمع. ويجوز أن يقال في الأنعام وجهان، أحدهما: أن يكون تكثير نعم «١» كأجبال في جبل، وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم، فإذا ذكر فكما يذكر «نعم» في قوله:

فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَه ... يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتِجُونَهْ

وإذا أنث ففيه وجهان: أنه تكسير نعم. وأنه في معنى الجمع". {الكشاف:٢/٦١٥}.

و يقول ابن فودي عند تفسيرها:

"(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ):"أي الأنعام، ذكّر الضمير ووحّده هنا للفظ، وأنّثه في سورة «المؤمنين» للمعنى، فإن الْأَنْعامِ اسم جمع ولذلك عدّه سيبويه في المفردات كثوب، وأخلاق، ومن قال إنه جمع نعم، جعل الضمير للبعض، لأنّ اللبن لبعضها دون جميعها".{ضياء التأويل: ج٢/٢٣٠}.

٥-تذكير وصف النخل في سورة القمر(٢٠) وتأنيثه في سورة الحاقة (٧):

-من قوله تعالى في سورة القمر:﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة الحاقّة: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية القمر:

"وذكّر صفة نَخْلٍ على اللفظ، ولو حملها على المعنى لأنث، كما قال أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ".{الكشّاف:٤/٤٣٦}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"وذكّر وصف النخل هنا وأنّث في الحاقة مراعاة للفظ والمعنى والفواصل في الموضعين".{ضياء التأويل:٤/١٠٨}.

٥-التقديم والتأخير:

-النموذج الأول:تقديم التعذيب على المغفرة:

-ومن قوله تعالى فيها:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)﴾(المائدة).

-من قوله تعالى في سورة المائدة:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة آل عمران:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة الفتح:﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا(١٤)﴾.

يقول الزمخشري عند آية المائدة الثانية:

"فإن قلت: لم قدّم التعذيب على المغفرة؟ قلت: لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة".

ويزيد أحمد بن المنير في الانتصاف على هامش الكشاف بيانا فيقول:

" قال محمود: «فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة ... الخ» قال أحمد: هو مبنى على أن المراد بالمغفور لهم التائبون، وبالمعذبين السراق. ولا يجعل المغفرة تابعة للمشيئة إلا بقيد التوبة، لأن غير التائب على زعمه لا يجوز أن يشاء اللَّه المغفرة له، فلذلك ينزل الإطلاق على المتقدم ذكره. ونحن نعتقد أن المغفرة في حق غير التائب من الموحدين تتبع المشيئة، حتى أن من جملة ما يدخل في عموم قوله: (وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ) السارق الذي لم يتب. وعلى هذا يكون تقديم التعذيب لأن السياق للوعيد فيناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر واللَّه أعلم". {الكشاف: ٦٣٢/١}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"قدّم التعذيب لأنّ الكلام في موجب العقاب". {ضياء التأويل: ٢٣٨/١}

-النموذج الثاني: تقديم الكتاب على القرآن:

-من قوله تعالى في سورة الحجر:﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ(١)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة النمل:﴿ طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ (١)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية النمل:

" فإن قلت: ما الفرق بين هذا وبين قوله: الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين؟ قلت: لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدّم والتأخر، وذلك على ضربين: ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب، وضرب فيه ترجح، فالأول نحو قوله تعالى وَقُولُوا حِطَّةٌ، وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً ومنه ما نحن بصدده. والثاني: نحو قوله تعالى:﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾".{الكشاف:٣٤٧/٣}.

ويقول ابن فودي عند تفسير الآية: :﴿طس تِلْكَ آياتُ الْقُرْآنِ وَكِتابٍ مُبِينٍ (١)﴾(النمل):" لكل ما هو كائن و هو اللوح أو هو القرآن المبين لما فيه من الحكم والأحكام عطف بزيادة صفة وعلى أنّه اللوح، أخّر هنا باعتبار تعلق علمنا به، وقدّم في الحجر باعتبار الوجود".{ضياء التأويل:ج١٦٦/٣}.

-النموذج الثالث: تقديم "هذا" على "نحن":

-من قوله تعالى في سورة النمل:﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)﴾.

-ومن قوله تعالى في سورة المؤمنون:﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية النمل:

" فإن قلت: قدّم في هذه الآية هذا على نَحْنُ وَآباؤُنا وفي آية أخرى قدّم نَحْنُ وَآباؤُنا على هذا؟ قلت:التقديم دليل على أن المقدّم هو الغرض المتعمد بالذكر، وإن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دلّ على أن اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام، وفي الأخرى على أن اتخاذ المبعوث بذلك الصدد".{الكشاف:٣٨٠/٣}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"وتقديم "هذا" على "نحن" لأنّ المقصود بالذكر هو البعث، وحيث أخّر فالمقصود به المبعوث إليهم". {ضياء التأويل:٣/٧٨}.

٦-الذكر والحذف:

لقد ذكر الله تعالى جملة من الأنبياء وأممهم في سورة الشعراء، وكلّهم قال فيهم "كذّبت" و"أخوهم" إلا في قصّة شعيب فإنّه قال فيه:﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ(١٧٧)﴾ ولم يقل فيهم:"كذّبت" وكذلك لم يقل فيه:"أخوهم" ولا بأس أن نذكر بقية القصص لنفهم الفرق فيما بين الآيات:

١-قال في عادٍ:﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)﴾.

٢-قال في ثمود:﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢)﴾.

٣-قال في قوم لوط:﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١)﴾.

٤-قال في أصحاب الأيكة:﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير الآية الأخيرة:

" فإن قلت: هلا قيل: أخوهم شعيب، كما في سائر المواضع؟ قلت:قالوا: إن شعيبا لم يكن من أصحاب الأيكة. وفي الحديث: إن شعيبا أخا مدين، أرسل إليهم وإلى أصحاب الأيكة".{الكشاف:٣/٣٣٢}.

و يقول ابن فودي عند تفسيرها:

"(إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ) لم يقل أخوهم لكثرة ذكره في القصص فحذف هنا، إشارة إلى أنّ القصص قد تمّت، وقد رمز إلى ذلك بحذف التاء أيضًا في "كذّب" وهو من غوامض أسرار القرآن، واختصاراته، وأمّا من يقول لأنّه ليس منهم فذلك وهم، لحديث:" إنّما يبعث كل نبي إلى

قومه، وبعثت إلى الأحمر والأسود"[1] نبّه على هذا حذّاق أهل التفسير".{ضياء التأويل:٣/١٦٣}.

٧-:الفرق بين "أساور من ذهب" من سورة الكهف(٣١) والحج (٢٣) و"أساور من فضة" من سورة الإنسان (٢١):

-من قوله تعالى في سورة الكهف:﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا(٣١)﴾.

-ومن سورة الحج قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣)﴾.

-ومن سورة الإنسان قوله تعالى:﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية الإنسان:

"فإن قلت: ذكر هاهنا أنّ أساورهم من فضة، وفي موضع آخر أنها من ذهب. قلت: هب أنه قيل: وحلوا أساور من ذهب ومن فضة، وهذا صحيح لا إشكال فيه، على أنهم يسوّرون بالجنسين: إما على المعاقبة، وإما على الجمع، كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينها، وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران:سوار من ذهب، وسوار من فضة".{الكشاف:٤/٦٧٤}.

و يقول ابن فودي عند تفسيرها:

---

[1] لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ في كتب التخريج،و ربما ذكره ابن فودي بالمعنى، و هو عند مسلم بلفظ:"كان كلّ نبي يبعث إلى قومه خاصة و بعثت إلى كلّ أحمر و أسود"صحيح مسلم:ك:المساجد و مواضع الصلاة/ج١/ص:٣٧٠/حديث:٥٢١. وعند البيهقي في السنن الكبرى بهذا اللفظ أيضا:ك:الحيض/ باب الصلاة في الكعبة/ج٢/ص:٣٢٩/ حديث:٣٦١٢.

"(وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) وفي موضع آخر من ذهب ولؤلؤاً للإيذان أنّهم يحلّون بالجميع معًا ومفرّقًا، و عن ابن المسيب:" لا أحد من أهل الجنّة إلا وفي يديه ثلاثة أسورة؛ واحد من فضّة و آخر من ذهب، و آخر من لؤلؤ". {ضياء التأويل:٤/٢٠}.

٨- ***الفرق بين"أُنْزِلَ علينا" في سورة آل عمران(٨٤) و"أُنْزِلَ إلينا" في سورة البقرة (١٣٦):***

-من قوله تعالى في سورة البقرة:﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)﴾.

-ومن سورة آل عمران:﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آية آل عمران:

" فإن قلت: لم عدّى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلت: لوجود المعنيين جميعا، لأن الوحى ينزل من فوق وينتهى إلى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين، وأخرى بالآخر. ومن قال: إنما قيل (عَلَيْنا) لقوله: (قُلْ) و (إلينا) لقوله (قولوا) تفرقة بين الرسل والمؤمنين، لأن الرسول يأتيه الوحى على طريق الاستعلاء، ويأتيهم على وجه الانتهاء، فقد تعسف. ألا ترى إلى قوله: (بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ) ، (وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ) وإلى قوله: (آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا) .

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"والنزول يعدّى بـ"إلى" كما في البقرة(١٣٦) لأنّه ينتهي إلى الرسل، وبـ"على" كما هنا، لأنّه من فوق". {ضياء التأويل:١٣٢/١}.

٩-***الذكر والحذف من قصّة موسى في البقرة(٥٨-٦٠) والأعراف(١٦١-١٦٢):***

-من قوله تعالى في البقرة:﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)﴾.

-ومن سورة الأعراف قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير آيات سورة الأعراف:

"فإن قلت: كيف اختلفت العبارة هاهنا وفي سوره البقرة؟ قلت: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض، ولا تناقض بين قوله، اسكنوا هذه القرية وكلوا منها، وبين قوله فكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها، فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها. وسواء قدّموا الحطة على دخول الباب أو أخروها، فهم جامعون في الإيجاد بينهم، وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته، وقوله نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ موعد بشيئين: بالغفران، وبالزيادة، وطرح الواو لا يخلّ بذلك، لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل: وماذا بعد الغفران؟ فقيل له: سنزيد المحسنين، وكذلك زيادة مِنْهُمْ زيادة بيان، وأرسلنا، وأنزلنا. ويَظْلِمُونَ ويفسقون من واد واحد. وقرئ: يغفر لكم خطيئاتكم، وتغفر لكم خطاياكم. وخطيئاتكم، وخطيئتكم، على البناء للمفعول.

يقول ابن فودي عند تفسير آيات سورة البقرة:

"واعلم أنّ هذه القصص لبني إسرائيل لما سيقت في البقرة لتذكير النعم ناسبت فيها نسبة القول في:"و إذ قلنا ادخلوا" إلى الله تعالى، وناسب ذكر "رغدا" و"فانفجرت" لأنّه أبلغ من"انبجست" وتقديم"ادخلوا الباب سجّدا" و"يغفر لكم" و"خطاياكم" لأنّه جمع كثرة، والواو في "وسنزيد" الدالة على الجمع بينهما، والفاء في:"فكلوا" لأنّه يعلم تعقبه بالدخول، بخلاف آيات الأعراف؛ فإنّها لما فتحت بالتوبيخ في:"اجعل لنا" ناسب"وإذ قيل" وترك"رغدا" والسكنى تجامع الأكل ولذا قال:"فكلوا" وناسب ترك الواو في:"سنزيد"، ولما تقدّم تبعّض الهادين في قوله:(و من قوم موسى أمة) ناسب تبعّض الظالمين بقوله:"منهم" وناسب"فأرسلنا" لأنّ الإرسال أشدّ من الإنزال، وناسب "يظلمون" لأنّ الظلم يلزم منه الفسق، ولا يلزم منه الظلم فاعتبر مناسبات القرآن و الله يفتح لمن يشاء". {ضياء التأويل:١/٣٣}.

المبحث الثالث:دراسة المتشابه اللفظي في فواصل الآي.

١-*من سورة البقرة:*

١-﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)﴾.

يقول الزمخشري عند تفسير هذه الآية:

" فإن قلت: فلم فصلت هذه الآية بـ: (لا يَعْلَمُونَ) ، والتي قبلها ب: (لا يَشْعُرُونَ) ؟ قلت: لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحقّ وهم على الباطل، يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة.وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدّى إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيويّ مبنى على العادات، معلوم عند الناس، خصوصا عند العرب في جاهليتهم، وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب، فهو كالمحسوس المشاهد، ولأنه قد ذكر السفه وهو جهل، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له". {الكشاف: ١/٦٤-٦٥}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"و إنّما فصّلت الآية (بلا يعلمون)، و التي قبلها (بلا يشعرون)؛ لأنه أكثر طباقاً لذكر السفه، و لأنّ الوقوف على أمر الدين و التمييز بين الحقّ و الباطل، مما يفتقر إلى نظرٍ و تفكّرٍ، و أمّا النفاق و ما فيه من الفتن و الفساد؛ فإنّما يدرك بأدنى تفطّنٍ و تأمّلٍ فيما يشاهد من أقوالهم و أفعالهم اهـ". {ضياء: ١/١٤}.

٢- قوله تعالى في سورة البقرة:﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٢٢٩)﴾ وقال في آية أخرى في نفس السورة:﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧).

يقول الزمخشري عند تفسير هذه الآية الأخيرة:

" فإن قلت: كيف قيل:(فَلا تَقْرَبُوها) مع قوله: ﴿فَلا تَعْتَدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ ؟ قلت: من كان في طاعة اللَّه والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهى أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهى أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل، وأن يكون في الواسطة متباعداً عن الطرف فضلا عن أن يتخطاه، كما قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم «إنّ لكل ملك حمى، وحمى اللَّه محارمه فمن رتع حول الحمى

يوشك أن يقع فيه» فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد. ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا، لقوله: (وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ) وهي حدود لا تقرب".{الكشّاف:١/٢٣٣}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

" (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا) أبلغ من (لا تعتدوها) المعبّر به في آية أخرى، لأنّ هذه في المناهي و تلك في الأوامر...".{ضياء التأويل:١/٧١}.

٣-من سورة الأنعام:

-قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)﴾(الأنعام).

يقول الزمخشري عند تفسير هذه الآيات:

"فإن قلت: لم قيل يَعْلَمُونَ مع ذكر النجوم، ويَفْقَهُونَ مع ذكر إنشاء بني آدم؟ قلت كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له".{الكشّاف:٢/٥٠-٥١}

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"ذكر مع النجوم (يعلمون) لأنّ أمرها ظاهر، و ذكر مع خلق بني آدم (يفقهون) ؛ لأنّ إنشائهم من نفس واحدة و تصريفهم بين أحوال مختلفة، دقيق يحتاج إلى استعمال فطنة."{ضياء التأويل:١/٢٨٨}.

٢-من سورة القصص:

-﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرْمَداً إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)﴾

يقول الزمخشري عند تفسيرها:

" فإن قلت:هلا قيل: بنهار تتصرفون فيه، كما قيل: بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ؟ قلت ذكر الضياء وهو ضوء الشمس: لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة، ليس التصرف في المعاش وحده، والظلام ليس بتلك المنزلة، ومن ثمة قرن بالضياء أَفَلا تَسْمَعُونَ، لأنّ السمع يدرك ما لا يدركه البصر، من ذكر منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل أَفَلا تُبْصِرُونَ؛ لأنّ غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره. وأنت من السكون ونحوه وَمِنْ رَحْمَتِهِ زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة:لتسكنوا في أحدهما وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار، ولإرادة شكركم".{الكشاف:٣/٤٢٨-٤٢٩}.

ويقول ابن فودي عند تفسيرها:

"لم يقابل الضياء بالظلام؛ لكونه غير مقصود، و لنفرة النفس من سماعه في معرض الامتنان، و ذكر السكون في الليل و لم يقابل بالتصرف في النهار؛ لانحصار نفع الليل فيه دون النهار، لم ينحصر نفعه في التصرف؛ لأنّ منافع الضوء أكثر مما يقابله؛ ولذا فصّل (بأفلا تسمعون)، و الليل (بأفلا تبصرون)؛ لأنّ استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر، و التوبيخ (بأفلا تسمعون)، أبلغ منه في أفلا تبصرون، و الله أعلم اهـ." {ضياء:٣/١٩٤}.

منفردات ابن فودي في توجيه فواصل الآي المتشابهة

١-*من سورة البقرة:*

١-قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) ﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير هذه الآيات:

"(وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)خافوني في ذلك دون غيري، وإعرابه كما تقدّم، أي: فاتقوني بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا، ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانية، فصّلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى، والخطاب بها لما عمّ العالم والمقلّد: أمرهم بالسلوك، والخطاب بالثانية لما خصّ أهل العلم: أمرهم بالتقوى التي هي منتهاه" {ضياء:١/٢٨} وهذا التوجيه أخذه ابن فودي من البيضاوي{أنوار التنزيل:١/٧٦} و لم يتعرض له الزمخشري في الكشّاف.

٢-*من سورة النساء:*

١-قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾. {النساء:٤٨} هذه الآية هي التي جاءت أولًا، ثم الثانية قوله تعالي:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)﴾{النساء}.

يقول ابن فودي عند تفسير الآية الثانية:

"ختم هذه بالضلال، مناسبة لقصة طعمة و قومه الضالين الساعين في إضلال سيد المعصومين، و ختم المتقدمة بقوله:﴿فقد افترى إثماً عظيماً﴾ لاتصالها بقصة أهل الكتاب المحرّفين للكلم،المفترين في أشياء كثيرة اهـ"{ضياء:١/٢٠٩}.

٢- قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ(١٣٢)﴾ {النساء:١٢٦،١٣١،١٣٢} فقد تكرّرت هذه الآية في سورة النساء ثلاث مرّات، و ختمت الأولى بقوله:﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (١٢٦) ﴾ و الثانية بقوله:﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١)﴾ و الثالثة بقوله:﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٣٢)﴾ يقول ابن فودي في بيان سرّ اختلاف هذه الفواصل:"فقوله :﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الأولى تقرير لسعته، و تمهيد لقبول وصيّته، و في الثانية تقرير لعدم تضرره بكفر من كفر، و عدم انتفاعه بطاعة من أطاع، و تمهيد لغناه، و الثالثة تقرير لغناه، و تمهيد لأن يتوكل عليه". {ضياء التأويل:١/٢١٣}.

٣-من سورة الأعراف:

١-قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ وَكَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير هذه الآيات:

"(وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) الكافرين الكاملين في الإجرام، وإنّما عبّر عن الكفر بالإجرام تقبيحا له وزجراً عن ارتكابه، وإنّما أعاد الكلام مؤكّدا له بالتأكيدات البالغة لئلّا يتوهم من الخلود المكث الطويل، وليرتب عليه شديد العذاب الذي خلت عنه الآية السابقة من قوله:(لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ وَكَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) و هذا الحكم أخص من الأول؛ إذ لا يلزم من عدم دخول الجنّة، دخول النار، عبّر عنهم بـ"المجرمين" تارة، وبـ"الظالمين" أخرى إشعاراً بأنّهم اتصفوا بجميع هذه الأوصاف الذميمة، وذكر الجرم مع الحرمان من الجنّة، والظلم والتعذيب بالنار تنبيها على أنّه أعظم الإجرام" {ضياء:٩/٢}.

٢-﴿قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)﴾ مع قوله تعالى بعد ذلك:﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشاءُ أَنْتَ وَلِيُّنا فَاغْفِرْ لَنا وَارْحَمْنا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغافِرِينَ (١٥٥)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير هذه الآية الأخيرة:

"...وإنّما فصّل الآية الأولى بـ "أرحم الراحمين"؛ لأنّ غضبه كان لله، وظهرت براءة أخيه، بخلاف سؤال الرؤية من قومه؛ فإنّها جريمة عظيمة تناسب الغفران". {ضياء:٣٢/٢}.

٣-﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٥٧)﴾ مع قوله تعالى بعد ذلك:﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِماتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٥٨)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير الآية الثانية:

"...وإنّما ختم الآية الأولى بـ"الفلاح" وهذه بالاهتداء لأنّ مضمون تلك أنّ المتصف بتلك الصفات مفلح، ومضمون هذه:الأمر بالاتباع للإهتداء الموصل إلى ذلك الفلاح، وقدّمه في الذكر لأنّه المقصود بالذات". {ضياء:٢/٣٣}.

٤-من سورة التوبة:

١-﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير الآية الأخيرة:

"و هذه الآية كالبيان لقوله:(وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ) ولذا كرّر:"ولو كره" ووضع "المشركون" موضع"الكافرون" للدلالة على أنّهم ضمّوا بالرسول إلى الإشراك بالله". {ضياء:٢/٧٤}.

٥-ومن سورة النحل:

١-﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير الآية الثانية عشر من سورة النحل:

"(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يستعملون عقولهم، جمع الآية وذكر العقل؛ لأنّ ما ذكر يدل على أنواع من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة، لا تحتاج إلى فكر كأحوال النبات.(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) ولما كان اللون في في غاية الظهور ختم الآية بالتذكير الذي هو الالتفات النفس إلى الحاصل عندها بلا تكلف". {ضياء:٢/٢٢١}.

٦-من سورة الجاثية:

﴿حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)﴾.

يقول ابن فودي عند تفسير هذه الآيات:

"و اختلاف الفواصل الثلاث، لاختلاف الآيات في الدقة و الظهور، على رعي الترقي في الدليل و المدلول؛ و ذلك أنّ السموات و الأرض أظهر الكائنات،فجعلت دليلاً على الإيقان الذي هو أعلى درجات الإيمان، و لما كان التأمل في الاختلاف و التصريف و ما بينهما أدلّ على استحكام اليقين لأنه يتجدّد حيناً فحيناً، و يتجدد فيه النظر و الاعتبار جعل دليلاً على التعقل الذي هو مدار الإيمان و اليقين." {ضياء:٤/٩٨}